

يا قمر مشغرة

المحسوبيّة | الاقتصاد | التوازن الطائفي



فـواز طرابلسي

يا قمر مشغرة

المحسوبيّة | الاقتصاد | التوازن الطائفي



رياض الريّس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES
BOOKS

MASHGHARA
Patronage and Sectarian Balance
By
Fawwaz Traboulsi

First Published in August 2004

BEIRUT- LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb . www.elrayyes-books.com
. www.elrayyesbooks.com

ISBN 97 89953 21163 3

لوحة الغلاف: لنوال عبود
الخطوط: جنى طرابلسي
التصميم: محمد حمادة
الطبعة الأولى: آب/أغسطس ٢٠٠٤

المحتويات

تقديم

تعتمد هذه الدراسة كمادة أولية على أوراق عائلية أو أرشيف عائلي. إنها ممارسة للبحث التاريخي بالاعتماد على المصادر الأولى، أي الوثائق والبيانات والمدوّنات المباشرة لفترة زمنية معيّنة. ونظراً إلى مضمون تلك الوثائق، فالنص مساهمة في التاريخ الاجتماعي.
تخصّ الأوراق العائلية أسرة مالك عقاري ووجيه محلّي من بلدة مشغرة في البقاع الغربي، يعود قسم منها إلى إلياس طرابلسي والقسم الآخر إلى ابنه سليمان وأسرته.
عثرتُ على هذه الوثائق منذ أكثر من ثلاثة عقود عند أحد أبناء سليمان المذكور. وتشكل مجموعة الوثائق التي نجحتُ في فرزها والاحتفاظ بها أو تسجيل ملاحظات عنها جزءاً صغيراً من أرشيف مدهش في حجمه وفي

الدأب الذي به جمعه ونظمه صاحبه محتفظاً بأصغر وصل أو قصاصة ورق، مدوّناً كل تفصيل حتى لو تعلّق الأمر بالأجر اليومي لأحد أحفاده الذي هو عبارة عن لوح شوكولاته! أما سائر الوثائق فأجهل مصيرها لانقطاعي عن التنقيب في ذلك الأرشيف بداعي السفر للدراسة في الخارج. والأرجح أنها فُقدت وأتلفت أو تبددت ولم يبقَ لها أثر.

يمكن تصنيف الوثائق كما يلي[1]:

١) الوثائق الزراعية وتشمل:

أ ـ الحجج، وهي وثائق ملكية وعقود بيع وشراء ومبادلات أراض. يبلغ عددها ٦٨ حجة ويعود أقدمها إلى العام ١٨٦٣؛

ب ـ سندات الدين والإيجارات والمقاسمات، وهي تشمل عقود إيجار الأرض وسندات الدين والطرائق المختلفة لإيفاء الديون ورهونات الأملاك والمخالصات الفردية والجماعية بين الدائنين والمدينين؛

ج ـ دفاتر الحسابات الجارية والموازنات والأرصدة وقيود المحاصيل الزراعية وجردات الديون وقيود الأملاك؛

د ـ وصولات وقيود متعلقة بالحرير؛

٢) المراسلات. ومعظمها موجّه إلى سليمان طرابلسي مع أن البعض منها مكتوب بخطه وتنقسم إلى:

أ ـ مراسلات شخصية وعائلية صادرة عن أنحاء مختلفة من لبنان وعن مصادر مختلفة في بلدان الاغتراب والمهاجر (العراق، السودان، مصر ـ الإسكندرية، مانشستر ـ إنكلترا، أنحاء مختلفة من الولايات المتحدة الأميركية، البرازيل، أوستراليا، أفريقيا وسواها) وهي تضم أيضاً بطاقات معايدة ورسائل أو

بطاقات تعزية؛

ب ـ مراسلات سياسية وإدارية وقضائية واردة من وجهاء البقاع وشخصيات سياسية وطنية (وزراء ونواب) ومحامين ورجال دين وموظفي دولة في ظل الانتداب ثم في دولة الاستقلال؛

ج ـ مراسلات تجارية ومالية من تجار وأصحاب مصارف وتجار آلات زراعية ومواد بناء في زحلة ومعمل لحلّ شرانق الحرير؛

هـ ـ مراسلات زراعية من قبل وكلاء سليمان طرابلسي في المزارع تتعلق باستثمار الأرض والديون والنزاعات مع الفلاحين والشركاء، إلخ؛

و ـ مراسلات ماسونية. وهي مجموعة رسائل ودعوات موجهة إلى سليمان طرابلسي من الأستاذ الأكبر لمحفل الماسونيين الأحرار في لبنان، جورج رزق الله؛

تسمح هذه الوثائق بدراسة ثلاث ظواهر من حياة مشغرة والجوار خلال الفترة التي يغطيها الأرشيف وهي تمتد بين منتصف القرن التاسع عشر ومطلع الأربعينيات من القرن العشرين.

أولاً، تكوّن ونمو وانحلال ملكية عقارية كبيرة نسبياً، شملت حوالى عشر مزارع في جوار مشغرة بالإضافة إلى عقارات في البلدة ذاتها، انطلاقاً من الالتزام الضريبي ومن التجارة والربا. ويزداد الأمر أهمية إذا علمنا أن أسرة الملاك العقاريين هذه مسيحية كاثوليكية في حين أن أكثرية سكان مشغرة كما أهالي مزارع الجوار وقراه هم من المسلمين الشيعة. فانعكست النزاعات وتوازنات القوى الناجمة عن ذلك التكوين الديموغرافي على توازنات القوة بين الطائفتين داخل البلدة ذاتها كما على

توازنات القوى بين البلدة والقرى والمزارع المجاورة.

ثانياً، تشكل المحفوظات آثاراً مكتوبة نادرة لدور الوساطة والخدمات الذي يضطلع به وجيه ريفي محلي ضمن شبكة محسوبية[٢] مثلثة الأضلاع:

أ ـ مع المحسوبين المحليين، أي المنضوين في الحزبية المحلية التابعة التي يرأسها سليمان طرابلسي في مشغرة وجوارها من المزارع والقرى الدائرة في فلكها؛

ب ـ مع زعماء وموظفين حكوميين وشخصيات سياسية واقتصادية ودينية على صعيد منطقة البقاع؛

وج ـ مع سياسيين وموظفين إداريين وشخصيات عامة على المستوى المركزي، في العاصمة بيروت.

٣) تسمح الوثائق، أخيراً، بإعطاء فكرة عن نمط حياة وجيه ريفي طرفي أسهم موقعه الاجتماعي وعلاقاته البيروتية والمهجرية وميوله الثقافية والفكرية في أن يبتكر لنفسه نمط حياة وسلوك شكّلا إحدى علامات تمايزه الاجتماعي عن بيئته.

القسم الأكبر من هذا النص هو إذاً قراءة لوثائق حاولنا من خلالها استبيان فحوى العناوين الثلاثة المشار إليها أعلاه.

يقدم الفصل الأول البلدة والجوار والسكان.

ويعطي الفصل الثاني لمحة عن تاريخ مشغرة في إطار منطقة البقاع والكيان اللبناني. ومع أن هذا الجهد لا يزعم لنفسه إيفاء تاريخ البلدة حقه إلاّ أنه يقدم أقلاً علامات استدلال تسمح بفهم التطورات التي سوف نعرض لها في دراستنا.

يعالج الفصل الثالث نشوء وتكوّن وانحلال الملكية العقارية التي أسسها إلياس طرابلسي ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي تعهدها بعده سليمان طرابلسي وأخوته وأبنائه.

أما الفصل الرابع فيحلّل آليات الوساطة والتصوّرات الإيديولوجية لأطراف شبكة المحسوبية ويصنّف الخدمات المتبادلة بين أطرافها المختلفة ويعرض للنزاعات التي تخترمها بين مالكي أرض وفلاحين خصوصاً.

ويرسم الفصل الخامس لوحة لنمط حياة سليمان طرابلسي وأسرته ملقياً الضوء على عناصر التفرجُ التي شكّلت علامات تمايزه الاجتماعي عن محيطه الريفي بما في ذلك انتسابه إلى البنّائين الأحرار المعروفين باسم الماسونيين وترؤسه المحفل الماسوني المحلي.

مع أن الفصل السادس لا يعتمد بالدرجة الأولى على الوثائق إلاّ أنه يسعى لاستكمال قصة شبكة المحسوبية والحزبية العائلية في مشغرة في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية وأيضاً السياسية والأمنية التي طرأت عليها في العهود الاستقلالية. وتجري رواية تلك القصة في أطوار ثلاثة:

١ ـ وفود الحزبيات الحديثة إلى البلدة وتراكبها مع الحزبيات العائلية؛

٢ ـ بروز قيادات جديدة للحزبية العائلية تعتمد أكثر فأكثر على الارتباط بالسياسة الوطنية؛

٣ ـ تطورات حرب ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠ والاحتلال الإسرائيلي ودخول المليشيات المختلفة إلى البلدة المترافق مع انحسار دور الأحزاب والهيئات النقابية العابرة للطوائف لصالح الحزبيات الطوائفية.

أخيراً، تحاول الخلاصات الاستدلال على العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين شبكات المحسوبية والنزاعات الاجتماعية والتوازنات الطائفية.

قرأ المخطوطة جاك كولان ومارتا مانداي، وقدّما عدداً من الملاحظات المنهجية عليها كلٌّ من موقعه الأكاديمي. كذلك اطّلع عليها جورج البطل وحسن عواضة وأفاداني من معرفتهما الواسعة بأحوال البلدة. وأنا أيضاً مدين لنصري الصايغ وغسان حجّار وسامي ورياض طرابلسي الذين وضعوا معارفهم وتجاربهم بتصرّفي. كذلك سمح لي رياض طرابلسي باستخدام عدد من الصور من أرشيف صوره. إذ أشكرهم جميعاً، أتحمّل وحدي كامل المسؤولية عما ورد في هذه الصفحات. وغني عن القول أن مثل هذا الجهد معدٌّ لاستدعاء الشهادات والإضافات والمناقشات والمعارضات.

فواز طرابلسي

بيروت، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣

هوامش

(١) راجع الملحق رقم ٣ لتفاصيل محتويات الأرشيف.

(٢) نستخدم في هذا النص، كما في نصوصنا الأخرى، مصطلح «المحسوبية» بديلاً من «الزبونية» الدارج والمترجم حرفياً عن الفرنسية clientelisme لأن الأول أكثر تعبيراً عن علاقة التبعية بين الزعيم والمحسوبين عليه من الفلاحين والعامة.

الفصل الأول

البلدة والمزارع

تقع مشغرة على السفح الشرقي لجبل نيحا في سلسلة جبال لبنان الغربية. تبعد حوالى ٨٢ كيلومتراً عن بيروت وحوالى ١٠٥ كيلومترات عن دمشق و٤٨ كيلومتراً عن كل من زحلة وصيدا. وعلى مسافة ٢٠ كيلومتراً منها إلى الغرب، تقع المختارة الشوفية.

من جهة أخرى، تختتم مشغرة سلسلة من القرى المسيحية على الضفة الغربية من نهر الليطاني في مقابل سلسلة من القرى الإسلامية السنّية على الضفة الشرقية تنتهي ببلدة القرعون، ويلتقي الطريقان المحاذيان لضفتي النهر في بلدة شتورا على طريق بيروت - دمشق.

من حيث موقعها، شكّلت مشغرة نقطة تقاطع جغرافية بين البقاع

وجبل لبنان والجنوب، وقد لعبت تاريخياً دور حلقة الوصل بين هذه المناطق وحلبة نزاع بينها، كلما كان هناك نزاع، كما لعبت دور المركز المحلي المتعدد الوظائف لعدد من «المزارع» والقرى المجاورة هي عين التينة وميدون وسحمر ويحمر وقليا وزلاية ولبّايا ولوسيا.

يرتبط اسم البلدة بالماء: شغرت الماء، في العربية كما في الآرامية، تعني غزرت أو كانت سريعة التدفّق أو الانحدار. ومنها «شاغور»، كما في شاغور حمانا، و«مشغرة»، وهي الأمكنة الغزيرة بالمياه المتدفقة. في البلدة عدة ينابيع ماء وفيرة تنبع من أسفل جبل نيحا، يبلغ تعدادها ٤٢ نبعاً حسب إحصاء الأهالي، منها عين الضيعة وعين بوزيد ونبع التنّور وعين الكنيسة وعين أبو شنة وعين الحجل ونبع شقّ العجوز وعين شويته ونبعة جامع الحرّ وعين العروس وعين الفوار وعين الوشواشة وسواها. وتغذي تلك العيون الينابيع شبكة من الأقنية والسواقي تخترق البلدة وتنبت على ضفافها أشجار الجوز.

الرواية الشيعية المحلية عن أصل البلدة تتصل بالماء هي أيضاً وتقول إن فاطمة الزهراء مرّت في البلدة خلال رحلة طويلة ومرهِقة وطلبت ماء من أهلها. فرووا ظمأها ومَن معها فباركت القرية وأهلها قبل أن تكمل مسيرتها وأطلق عليها اسمها.

وحين قام عبد الغني النابلسي برحلته الشهيرة عام ١٧٠٠ من دمشق إلى صيدا، مرّ براشيّا، واجتاز الليطاني واصلاً مشغرة ونزل في ساحة المسجد فيها، وامتدح أول ما امتدح ماء البلدة «العذب الدفّاق» فوصفه أنه «من ماء النعيم، وفيه شفاء لكل جسم سقيم». وقد بات النابلسي ليلته في البلدة ثم ارتقى تومات نيحا إلى

كفرملكي فصيدا[1].

غزارة مياه مشغرة جعلت منها محطة قديمة للقوافل ومركزاً لطحن القمح والحبوب قبل أن تصير مركزاً رئيسياً من مراكز دباغة الجلود، وهي صناعة تحتاج إلى الماء الوفير.

ومشغرة بلدة مختلطة بلغ عدد سكانها في الستينيات ١٣,٦٤٠ نسمة منهم عشرة آلاف أو أكثر بقليل مقيمون كلياً أو جزئياً فيها. ويشكل المسلمون، وجميعهم من الشيعة، الأكثرية بين الأهالي إذ يبلغ عددهم نسبة ٥٨,٧ بالمئة مقابل ٤١,٥ بالمئة من المسيحيين. وعدد المسيحيين ٥,٥٦٠ نفساً، ٧٤٪ منهم من طائفة الروم الكاثوليك (٤,١٨٨ نسمة) وحوالى ٢٠ بالمئة من الروم الأرثوذكس و٣,٨ بالمئة من الموارنة (٢١٥ نسمة) و١,٧ من البروتستانت (٧٩ نسمة)[2].

تنقسم البلدة إلى قسمين، الحارة التحتا، الشيعية، والحارة الفوقا، المختلطة ذات الأغلبية المسيحية، يفصل بينهما أحد متفرعات الطريق الرئيسية التي تربط مشغرة بشتورة من جهة وبجزين وصيدا من جهة أخرى. حارة الفوقا هي مشغرة القديمة المتمحورة حول عين الضيعة وكنيسة سيدة النياح للروم الكاثوليك والكاراج وهو السوق القديم. في امتدادها الشمالي، تشكل حيّ الخان بين ١٩٢٠ و١٩٤٠ حول الكنيسة الأرثوذكسية. يليه حيّ التعمير وهو عدد من البيوت شيّدتها مصلحة التعمير الرسمية لأهالي مشغرة الذين دمرت منازلهم خلال زلزال عام ١٩٥٦ وأخيراً المطلّ، وهو امتداد للتعمير وأحدث أحياء البلدة. في الامتداد الجنوبي الغربي لحارة الفوقا، تقع أحياء الجامع وشاويتا والنبع التابع لها والبلانة وعين الحجل حول نبع الحجل. أما

حارة التحتا، فتمتد بين الطريق العام ونهر الشتا وتضم سبعة أحياء: الحناشية والساحة (وفيها معظم المتاجر) والمزراب والحسينية والشحارة والصهاريج (على الضفة الثانية من النهر) وحي البجوجية (نسبة إلى إحدى العائلات). وفي حارة التحتا تقع البيادر والمنطقة الصناعية التي تضم مباني الدباغات البالغ عددها ٤٣ مبنى أقدمها يعود إلى العام ١٨٨٢.

تمتاز العائلة المشغرانية بتركيبها الأبوي البطريركي بالإضافة إلى وجود العائلات الموسعة التي تنتسب إلى جدّ واحد، حقيقي أو مفترض. لكن الوحدة الاجتماعية الرئيسية تبقى هي «الجبّ»، إطار المحافظة على الملكية وتوزيع الأعمال وتوازع مياه الري والموارد. ويلعب الجبّ أيضاً دوراً سياسياً وعسكرياً كوحدة تعبئة كما يلعب دوراً ثقافياً في إعادة إنتاج القيم المتوارثة عن المجتمع القبلي البدوي الذي ينحدر منه عدد لا بأس به من عائلات البلدة، المسيحية منها والمحمدية.

العائلات الشيعية الموسعة الرئيسية ثلاث:

١ ـ آل الشايب (وتسمّى «الشيّب» في البلدة) وهي العائلة الأكبر وتضم ٢٦ جباً وزعامتها معقودة لجبّ آل عواضة؛
٢ ـ آل فخر الدين، وتتكون من ٢٧ جبّاً والزعامة فيها لجبّ منصور؛
٣ ـ آل الزيات، وهم أسرة من السادة تتكون من ٧ أجباب والزعامة فيها لجب مرعي.

ومن العائلات الاثنتي عشرة التي لا تنتسب إلى إحدى العائلات الكبيرة، آل سرحان وهم عائلة عريقة تعود أصولها إلى إحدى قبائل

نجد، وآل القزويني، ذات الأصل الفارسي، وآل الحسيني، وهم من السادة الهاشميين. وتضم مشغرة عدداً من البيوت البهائية (يبلغ مجموعها ٧١ فرداً مسجّلين فيها، لا تزال لهم مقبرتهم) يمثلون بقايا علاقة قديمة بإيران.

يبلغ عدد العائلات المسيحية المئة عائلة تقريباً. تضم البلدة حوالى ٢٠ عائلة من الروم الكاثوليك منهم آل عبود وعبودي وأبو عرّاج وأبو غنام وبركة وأبو خليل والحاج وبارود وبولس وشرارة ودبس وغطاس وغزال وحجار وإبراهيم وناصيف ورزق ورفول وسلمون وطرابلسي. ومن بين هؤلاء، توجد على الأقل عائلتان موسعتان، هما آل طرابلسي والجب الرئيسي فيهم هو جب أبو جرجس إبراهيم، وآل إبراهيم، والجب الرئيسي فيهم هو آل ناصيف. وتوجد أيضاً ١١ عائلة أرثوذكسية منها سبع تحمل أسماء الأسر الكاثوليكية ذاتها ـ أبو عراج وإبراهيم ومعلولي ودبس وغطاس وبركة وحجار ـ وسبع عائلات مارونية منها آل كرم، وثلاث عائلات بروتستانتية هم آل حبوش وعبود وبطرس.

تتصف عيل مشغرة بطابع التنقل من طائفة إلى أخرى وأحياناً من دين إلى آخر أسوة بسائر المناطق اللبنانية. والأرجح أن عائلات مشغرة، باستثناء الأقليتين المارونية والبروتستانتية، كانت كلها كاثوليكية. وقد تحوّل عدد منها إلى الأرثوذكسية. تتعدد الأسباب التي دفعت إلى ذلك، منها المنازعات والخصومات السياسية داخل العائلات والأجباب، والتي غالباً ما ترتبط بملكية الأرض والميراث. والمعروف أن عائلتين كاملتين تحولتا كلياً من المذهب الكاثوليكي إلى المذهب الأرثوذكسي معارضة منهما لحزبية آل طرابلسي الكاثوليكية المسيطرة على البلدة. وهما من آل الحجار (باستثناء بيت واحد) وآل

إبراهيم. ويصل هذا التحوّل من مذهب إلى آخر حدّاً تلقى فيه شقيقين في البيت الواحد ينتمي واحدهما إلى المذهب الكاثوليكي والثاني إلى المذهب الأرثوذكسي. في المقابل، فالذين تحولوا إلى المذهب البروتستانتي، وهم أفراد عائلتين كاثوليكيتين من أصل متواضع، إنما فعلوا ذلك بالدرجة الأولى للاستفادة من فرص التعليم والتوظيف التي يوفّرها المرسلون البروتستانت[٣]. في النهاية، يرجح أن بعض العائلات المسيحية شيعية الأصل، كآل شرارة وهم عائلة شيعية معروفة في جبل عامل. وعكساً، ثمة حالات فردية لمسيحيين تحولوا إلى الإسلام. نعرف أقلاً عن مسيحي واحد، هو شاكر إبراهيم، تشيّع في الأربعينيات وتزوج من امرأة شيعية من الحارة التحتا وانتقل إليها.

هوامش

(١) عبد الغني النابلسي، **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية**، تحقيق هيربرت بوسه، إصدار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، بيروت ١٩٧١، ص ٤ - ٦.

(٢) علي الزيات، *Contribution à l'étude des forces Politiques libanaises: les forces socio-politiques à Machghara,* أطروحة لنيل الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة باريس الخامسة، السوربون، ١٩٨٢، الصفحات ٦٠ و٦٢. وقد احتسب الزيات عدد السكان بناء على الناخبين المسجلين في انتخابات ١٩٦٣ و١٩٧٢.

(٣) مغالطة عجيبة يقع فيها الزيات في مسألة تغيير المذاهب بين الطوائف المسيحية. لكي يبرهن على تماسك الطائفة المسيحية، يفسّر ضعف التناقضات بين الأرثوذكس والبروتستانت من جهة والكاثوليك من جهة ثانية بـ «وجود كاثوليك داخل العائلات الأرثوذكسية» (ص ١١٦). هكذا فالمسلمون والمسيحيون، عند الزيّات، جوهران لا يتغيران، بل إن المذاهب داخل كل ديانة تصبح بدورها جواهر لا تتبدل ولا تتغيّر. فالملتحقون من الكاثوليك بالمذهب الأرثوذكسي ليسوا سوى كاثوليك في أوساط الأرثوذكس. فعندما يتحوّل شخص ما إلى المذهب الكاثوليكي، يبقى كاثوليكياً إلى النهاية أي في الجوهر. فكيف يمكن والحالة هذه تفسير إقدام بعض العائلات أو بعض الأفراد على تغيير مذاهبهم؟ هل يتم بدافع التسلّل إلى صفوف «الخصم»، حتى لا نقول إلى معسكر «العدو»، وفق نظرة مؤامراتية لا شك في أنها مبتكرة؟

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

صلة وصل تجارية وثقافية

تعود أصول مشغرة[١] إلى التاريخ البعيد، إلى زمن الآراميين والكنعانيين[٢]. والمرجّح أنها كانت مأهولة في الحقبة الإغريقية - الرومانية كما تدل أسماء القرى المجاورة والاكتشافات الأثرية[٣]. خلال تلك الحقبة، سكنت مشغرة وقسماً كبيراً من البقاع والجنوب، قبائل عربية أغلبها ذو أصل يمني. والمعروف أن جبل عامل وجبل بهراء (العلويون اليوم) ووادي التيم مسمّاة على أسماء قبائل من عرب اليمن: عاملة وبهراء وتيم الله بن ثعلبة. ويقول كمال صليبي بِقِدَم الوجود العربي في بلاد الشام منذ قيام ممالك النبط في البتراء ثم في تدمر. ففي أواخر القرن الثالث، أيام الزبّاء (زنوبيا)، مدّت تدمر سيطرتها على كامل المناطق الشامية. ثم جاء دور ملوك غسّان، العرب المنسوبين إلى ماء شهير في اليمن،

فسيطروا على أراضي مملكة نبط البتراء. ويواصل صليبي قائلاً:

«ويبدو أن الجليل الأعلى ووادي التيم والبقاع وربما كذلك أجزاء من الأجزاء الجنوبية من جبل لبنان كانت جميعها مناطق تابعة في زمن الحكم الروماني لملوك نبط البتراء ثم ملوك غسان، مما يشير إلى أن معظم سكان هذه المناطق كانوا في ذلك الحين إما من النبط وإما مزيجاً من النبط وأقحاح العرب»[٤].

مع الفتح الإسلامي، اعتنقت معظم تلك القبائل العربية الوثنية الديانة الجديدة. أما القبائل المسيحية فقد أسلم البعض وحافظ البعض الآخر على معتقده الديني. ويبدو أن التشيّع بدأ باكراً في المناطق الشامية قبل القرن العاشر، مع أن رواية شائعة تنسب تشيّع أبكر لأهالي الجنوب والبقاع اللبنانيين على يد الصحابي أبي ذرّ الغفاري خلال منفاه الشامي. وما لبث أن انتشر الخوارج في بلاد الشام، وهي المتمردة ضد الحكم العباسي، على ما يعلمنا الطبري[٥]. في السياق ذاته، تقرمط العديد من سكان تلك المنطقة. وأخذ القرامطة يغيرون على دمشق ابتداء من سنة ٩٠٢م وحاصروها ودخلت طليعة منهم مدينة حلب إلاّ أنهم ما لبثوا أن ارتدّوا إلى البقاع بعد أن هزمهم الجيش العباسي قرب حلب سنة ٩٠٥. وتواصلت غارات القرامطة على الشام خلال القرن العاشر إلى أن هزمهم الخلفاء الفاطميون سنة ٩٧٧. وقد استقر قسم من القرامطة في وادي التيم والبقاع الغربي فيما لجأ آخرون إلى الجبل وبنوا عدة قرى يعرف منها عين دارا والعبادية وعبيه والمختارة[٦].

بهذا الصدد تأتي إحدى أولى الإشارات إلى مشغرة عند المؤرخين

العرب في مؤلف أبو شامه «كتاب الروضتين والصالحية» (دمشق، ١٢٠٣ - ١٢٦٧) الذي يقول إنه إزاء فشل الفاطميين في احتواء الهجوم الصليبي، نمت النزعة الباطنية وأخذت تتفشى بين الإسماعيليين واستعان بها طاغكين لرد الفرنجة بعد أن أخذ هؤلاء صُوْر من الفاطميين سنة ١١٢٤م. وانتشرت الباطنية بقيادة بهرام في وادي التيم وجوارها خاصة بين الذين يسمّيهم أبو شامة «جهّال الأعمال، وسقّاف الفلاحين من الصناع، وغوغاء الرعاع»[٧]. ويروي أبو شامه في هذا الصدد (١:٢٥١) أن رجلاً من أهل المغرب ظهر في مشغرة، التي يسمّيها «هذه القرية من سورية»، وادّعى النبوءة و«تبعه عالم عظيم من الفلاحين وأهل السواد وعصى على أهل الشام ثم هرب من مشغرة في الليل وصار إلى بلد حلب وعاد إلى إفساد عقول الفلاحين بما يريهم من الشعبذة والتخاييل وهوى امرأة وعلّمها ذلك وادّعت أيضاً النبوّة»[٨].

وذكر صالح بن يحيى[٩] أن بني ثعلب ظلوا يسكنون جوار وادي التيم حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي. ويرد ذكر «بني ثعلب» في مشغرة في أخبار العام ١٢٨٨م وكذلك عند ابن عبد الظاهر، «تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور» (القاهرة، ١٩٦١، ص ١٢٢) الذي يتحدث عن «أمير ثعلبة» و«العربان الثعالبة» في مشغرة.

أيام المماليك، قام قلاوون ١٢٧٩ - ١٢٩٠، الملقّب بـ «الملك المنصور»، بتوزيع إقطاعات أمراء جبل لبنان على «أمراء الحلقة» بعد احتلاله طرابلس. فثار عليه بنو ثعلب (أو ثعلبة) في مشغرة بقيادة الأمير فارس الدين رُمَيح. فألقى نائب دمشق القبض على زعمائهم وأودعهم السجن[١٠].

وكانت مشغرة في نهاية العهد المملوكي وتحديداً أيام دولة المماليك البُرجية (١٤٨٨ ـ ١٥١٨) عاصمة إمارة آل ابن الحنش الممتدة من صفد في الجنوب إلى حماه وحمص وحلب في الشمال وإلى دمشق شرقاً. وكان الأمير نصر الدين محمد ابن الحنش (١٤٩٩ ـ ١٥١٨)، مؤسس السلالة والمعروف باسم «شيخ العرب» قد انتزع هذه المقاطعة الكبيرة من يد نائب دمشق وأنهى زعامة آل بشارة التي دامت حوالى القرن من الزمن على المنطقة الواقعة جنوبي الليطاني والتي سوف تحمل تالياً اسم العائلة: «بلاد بشارة». وكان ابن الحنش زعيماً للحزب اليمني وما لبث أن قاد تمرداً ضد العثمانيين فألقي القبض عليه وقطع رأسه سنة ١٥١٨ بأمر من السلطان سليم[١١].

في القرن السابع عشر أصبحت مشغرة محطة هامة على طريق القوافل التي تربط مرفأي صيدا وصور بسورية والأناضول مروراً بمعلقة زحلة وبعلبك وحمص وحماه وحلب وديار بكر. كما كانت سوقاً ومركزاً حِرَفياً لأشغال الحديد وصناعة البارود وطحن الحبوب.

ولعبت مشغرة على الصعيدين الديني والثقافي دوراً هاماً في إحياء تقليد علمي شيعي في القرى والبلدات التجارية في البقاع وجبل عامل، إلى جانب كرك نوح، عاصمة البقاع القديمة، وجزين والنبطية وميس الجبل وجباع. وهي ظاهرة يعتبرها ألبرت حوراني فريدة من نوعها في تاريخ الإسلام[١٢]. وقد ذكر ياقوت في «معجم البلدان» أحد علماء الشيعة المعروفين، هو أحمد بن قلاّب الدمشقي الملقّب بأبي الجهم المشغراني، إمام البلدة المتوفى عام ٩٣٢هـ[١٣]. منذ ذلك الوقت، بقيت مشغرة وبدون انقطاع، حلقة وصل فكرية

ودينية بين جبل عامل والبقاع إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ظهرت في البلدة أسرة من علماء الشيعة، هم آل الحرّ، الذين كانت لهم فروع في الكوفة وحلب وجباع (إقليم التفاح). وآل الحرّ من العلماء الشيعة العرب الذين أسهموا في النهضة الصفوية في إيران. وإلى أسرة آل الحرّ، ينتسب محمد ابن الحسين وأبناؤه الثلاثة، ومنهم محمد بن محمد، الشاعر واللغوي (توفي عام ١٥٧٢). والأكثر شهرة بينهم هو حفيد ابن الحسين الذي يحمل اسمه وقد لقّب بـ «الحر العاملي». ولد في مشغرة عام ١٦٢٣ ودرس في مراكز الإسلام الشيعي قبل أن يستقرّ في طوس مشهد في إيران حيث حاز لقب «شيخ الإسلام» وألّف حوالى سبعين مؤلفاً في الفقه والاجتهاد الشيعيين، إضافة إلى كتاب لا يزال يعتبر مرجعاً عن تاريخ علماء جبل عامل[١٤]. وقد انطفأ هذا الدور الثقافي الديني في القرن التاسع عشر مع هجرة العائلات الدينية من مشغرة باتجاه إقليم التفاح وجبل عامل، فبقي التعليم الديني التقليدي القائم على الكتّاب يلعب دوراً هاماً في الحياة التعليمية والثقافية للبلدة.

في ظل إمارة جبل لبنان

الظاهرة البارزة في تاريخ مشغرة الحديث هي الانقلاب الديموغرافي الذي حوّل هذه القرية الشيعية إلى قرية ذات غالبية مسيحية في فترة تراوحت بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر.

لسنا نملك بيانات أكيدة عن تاريخ الهجرة المسيحية إلى مشغرة. ولكن يجوز الافتراض، جرياً على ما نعرفه من تاريخ تلك المنطقة، أن الوفود المسيحي إلى البلدة من نتائج الفتح العثماني والنزاعات

بين المقاطعجية الدروز والشيعة للسيطرة على البقاع الغربي وإقليم جزين. جراء تلك النزاعات، تمَّ الإجلاء التدريجي لأعداد كبيرة من شيعة البقاع الغربي باتجاه الجنوب وإسكان الفلاحين المسيحيين مكانهم.

في نهاية القرن السادس عشر، كانت المملكة الصفوية الشيعية في إيران قد استعادت قوتها بعد هزيمتها أمام العثمانيين الذين انتزعوا منها مدينة بغداد. فعقدت التحالفات السرّية مع آل حرفوش، أمراء بعلبك الشيعة، وساندتهم في وجه العدو العثماني المشترك. ومن أجل تأمين اتصال مباشر مع شيعة جبل عامل، وسّع آل حرفوش نفوذهم إلى مشغرة. فصارت البلدة مقراً من عدة مقارّ للأمراء الحرافشة أسوة بكرك نوح وقبّ إلياس وسِرعين[١٥].

ولكن سرعان ما تحالف العثمانيون مع المعنيين، أعداء الحرافشة لمجابهة الخطر الشيعي. وفي العام ١٦٣٩، احتل الأمير علي علم الدين مشغرة وباقي القرى الواقعة على المنحدر الشرقي لجبل لبنان وأخذ يطرد الشيعة بصورة تدريجية من العدد الأكبر من تلك القرى. وفي عهد فخر الدين الثاني، قامت الأسر المحاربة من بلدة عماطور، وخصوصاً آل عبد الصمد وآل أبو شقرا، بإجلاء ما تبقى من شيعة تلك القرى وأسكنت الفلاحين والحرفيين المسيحيين مكانهم ولزّمتهم الأراضي على طريقة المزارعة[١٦].

في عهد الأمراء الشهابيين (١٦٩٧ - ١٨٢٤) ألحق البقاع الغربي بأمراء الجبل وصار جزءاً من الشوف البيّاضي الممتد من زحلة إلى ميدون. على أن النزاع على مشغرة استمر بين الزعامات الشيعية في السهل وجبل عامل من جهة وبين الزعامات الدرزية في الجبل من

جهة أخرى. في الربع الأول من القرن السابع عشر، أسّس مقاطعجية جبل عامل، آل العلي الصغير الوائليون، ذوو الأصل اليمني، إقطاعة مستقلة كانت عاصمتها بلدة تبنين الحصينة. وخلفهم آل أبو نصّار الذين التحقوا بظاهر العمر في فلسطين، بقيادة أبرز مشايخهم الشيخ ناصيف نصار، وتمرّدوا على أحمد باشا الجزّار. وبناء على أوامر هذا الأخير، قام المقاطعجية الدروز بطرد آل أبو نصّار وأعادوا ضم المنطقة إلى إمارة الجبل. وخلال الاضطهاد الذي تعرّض له آل الصغير بعيد مقتل الشيخ ناصيف نصّار (١١٩٥هـ/١٧٨١م). لجأ قسم منهم إلى مشغرة. لكن الأمير يوسف الشهابي ما لبث أن غدر بهم، وقد كانوا في حمايته، وسلّمهم إلى الجزار في عكّا فشنق منهم ١٧ ولداً. أما الذين نجوا من أحفاد آل الصغير فسوف يعرفون بآل الأسعد ابتداء من القرن التاسع عشر ويعيدون إحياء زعامتهم[١٧].

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ألحقت مشغرة وباقي البقاع الغربي بإقطاع آل جنبلاط، إذ التزم الشيخ علي جنبلاط (المتوفى سنة ١٧٧٨) قرى البقاع الغربي من والي الشام وكان من نصيبه قرى ميدون، لوسيا، عين التينة، مشغرة، عين زبدة، خربة قنافار، عمّيق، قلايا [قليا]، لبايا، سحمر، يحمر، الشميسة، المحيدثة، مجدل بلهيص، جرن النحاس، غزة، الذكوة، خيارة، مظلوم، القرعون، بعلول، ولالا. وقد أعاد الشيخ الجنبلاطي توزيع قسم من أراضي تلك الإقطاعة على حلفائه من المقاطعجيين الدروز ومنهم آل العماد ونكد وأبي علوان وعيد وعطالله وتلحوق، محتفظاً لنفسه ولأسرته بأراضي قرى مشغرة وصغبين والقرعون[١٨].

خلال إقطاع آل جنبلاط، كان المتسلّمون المحليون لمشغرة والمزارع

من أحفاد الحرّ العاملي. على أنه بعد اغتيال بشير جنبلاط العام ١٨٢٥، تمَّ إجلاء آل جنبلاط عن الشوف وهدم منازلهم والجامع في المختارة وصادر الأمير بشير ممتلكاتهم ووضعها في عهدة ابنه الأمير خليل الذي عيّن عليها وكلاء معظمهم من النصارى. فغادر آل الحرّ العاملي مشغرة وتمركزوا في بلدة جباع في إقليم التفاح. ومهما يكن من أمر، فقد استصلح أهالي مشغرة وزرعوا تدريجياً وتملكوا قسماً كبيراً من أراضي البلدة وجوارها من خلال إحياء أراضي الموات. وكذلك أفادوا من المصائب التي لحقت بزعماء المختارة ونفيهم المتكرّر إلى حوران لوضع اليد على أراضيهم. هكذا نشأت ملكيات زراعية صغيرة في البلدة.

مشغرة في حوادث الستّين

عند عودتهم إلى الشوف، أوكل آل جنبلاط إدارة أملاكهم في مشغرة إلى آل الحسيني القزويني، وهم أسرة من السادة فارسية الأصل[١٩]. ويجوز الافتراض أن أهل مشغرة، والمسيحيين منهم خصوصاً، دخلوا في نزاع مع المقاطعجية الدروز العائدين، الذين كانوا يطالبون بحصتهم من المحصول وبالضرائب والرسوم المتأخرة، كما كانت الحال في باقي المناطق المختلطة في الأشواف والأقاليم. فعند قيام الحركات الأولى (١٨٤١ ـ ١٨٤٥) اشترك مسيحيون مسلحون من مشغرة والبقاع الغربي في الهجوم على القرى والبلدات الدرزية في الشوف بقيادة «مشايخ الشباب» من منطقة جزين ممن برز خلال المقاومة ضد المصريين. فردّت العائلات الدرزية المحاربة بهجمات مضادة ضد القرى المسيحية في البقاع. وقد شارك مقاتلون من مشغرة وكفرحونة وجبل الريحان ومرجعيون ـ قدّر صاحب «الحركات» عددهم بـ ٢٥٠٠ مسلح، ولعلّه رقم مبالغ فيه ـ في معارك الحرب الأهلية عام ١٨٦٠ فأحرقوا مزارع عائدة

للمقاطعجية الدروز من آل النكد في منطقة جزين وهاجموا الشوف بقيادة أبو سمرا البكاسيني. وقد اقتصّ منهم سعيد جنبلاط باحتلال صغبين وطرد السكان المسيحيين مؤقتاً من قراهم إلاّ أنهم عادوا إليها بعد وقت قصير بطلب من الزعيم الدرزي إياه[٢٠].

يدلّ سلوك المسيحيين في البلدة والجوار خلال «الحركات» أنهم، إن لم يكونوا قد شكلوا بعد أكثرية السكان، فقد كانوا يملكون الوزن الكافي فيها لكي يتمكنوا من التصرّف بشكل مستقل. وفي مطلق الأحوال، المؤكد أن مسيحيي المنطقة أفادوا، في صراعهم مع الدروز، من حياد شيعة مشغرة إن لم نقل من تواطؤهم والدعم. والمعروف أن آل الحرّ في جباع وآل العلي الصغير كانوا من الأسر الشيعية التي استقبلت المسيحيين المهجّرين من منطقة جزين ودافعت عنهم. وجدير بالذكر أيضاً عن تلك الأحداث أن فؤاد باشا، ناظر الخارجية العثماني الذي أوفده الباب العالي لحل الأزمة اللبنانية، مرّ بمشغرة في طريقه من صيدا إلى الشام. وفي مشغرة، استقبل الباشا العثماني وفداً من جبل عامل بزعامة علي بك الأسعد على رأس ألف فارس عاملي فعيّن الباشا العثماني الزعيم الوائلي عضواً في «المجلس الأعلى» وأوكل إليه حفظ الأمن في دمشق وحوران ووادي التيم وحماية منكوبي المسيحيين ومطاردة الثوار الفارين. وتمكّن المسلحون الشيعة التابعون للزعيم الوائلي من القبض على عدد من زعماء الدروز، بينهم حسين بك جنبلاط، وهم يحاولون الفرار من الشوف إلى حوران[٢١].

بعيداً عن المتصرفية، قريباً من المتصرفيّة (١٨٦١ ـ ١٩٢٠)

مثلّت المتصرفية فترة من التحوّلات الشاملة أثرت تأثيراً حاسماً في موقع ودور مشغرة اللاحقين على كافة الصعد الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية والثقافية كما أسهمت في ولادة وجاهة محلية فيها وبسط نفوذها على المزارع والقرى المجاورة.

وأول تلك التحولات الإلغاء الرسمي للنظام المقاطعجي وانتقال جباية الضرائب إلى يد الموظفين الحكوميين العثمانيين. تمَّ الإلغاء بصورة سريعة بالنسبة للبقاع الغربي. فبعيد وفاة سعيد جنبلاط في معتقله ببيروت، سنة ١٨٦١، نزع الباب العالي من آل جنبلاط التزام البقاع الغربي واحتل العسكر العثماني أراضيهم فيه [٢٢]. شكل هذا الإجراء مقدمة لانفكاك مشغرة والمنطقة المجاورة عن الإقطاع الجنبلاطي ولإطلاق نمط جديد من الالتزام يمارسه أبناء الطبقة الوسطى التجارية المالية من ذوي الأصول العاميّة. وآل رزق والصائغ وتالياً آل طرابلسي في مشغرة والجوار مثال بارز على هذا النمط من الملتزمين. ترافق إلغاء النظام المقاطعجي مع تحرير الأرض وتسليعها انطلاقاً من قانون العام ١٨٥٨ الذي أطلق حركة بيع وشراء محمومة للأراضي انتقلت بموجبها مساحات شاسعة من الأسر المقاطعجية ومن الأسر الفلاحية على حد سواء إلى أيدي التجار والمرابين وسماسرة الحرير وأغنياء المزارعين. هي فترة من إعادة تكوين الملكيات الزراعية الكبيرة انطلاقاً من توظيف رأس المال التجاري والربوي في الأرض.

لم يكتفِ أهالي البقاع الغربي بإلغاء النظام المقاطعجي الجبلي، بل طالب أهالي أقضية راشيا وحاصبيا والبقاع الغربي بالانفصال إدارياً وسياسياً عن جبل لبنان. وكان لهم ما أرادوا عام ١٨٦٤ فصارت مشغرة وقرى الجوار ومزارعه ناحية عثمانية يدير شؤونها مديرٌ تابع مباشرة لولاية دمشق[٢٣]. وسوف تصبح مشغرة تالياً جزءاً من قضاء البقاع ومركزه معلّقة زحلة من ضمن التقسيم العثماني

اللاحق للبقاع إلى ثلاث وحدات إدارية - بلاد بعلبك والبقاع العزيز ووادي التيم - بإدارة قائم مقام عثماني. وكانت زحلة قد سلكت مساراً مشابهاً في الانفكاك عن جبل لبنان للتخلّص من سيطرة مقاطعجيي الجبل عليها. ولعل مثال زحلة قد ألهَمَ سكان البقاع الجنوبي للمطالبة بالمثل. ففي عام ١٨٥٧ قامت في البلدة حركة استقلالية بقيادة أسرها السبع التجارية العسكرية للتحرر من سيطرة آل أبي اللمع. وفي ظل ما سمّي «جمهورية زحلة» طالب الزحليون بالانفصال عن جبل لبنان فألحقت زحلة ببيروت ثم بصيدا ابتداء من العام ١٨٥٩. وكان ذلك بمثابة الحدث التأسيسي لتحوّل زحلة إلى العاصمة الفعلية للبقاع ومركزه التجاري والصناعي والمالي[٢٤].

على أن المفارقة في أمر هذا الانفصال الإداري والسياسي لما كان يسمّى الشوف البيّاضي عن جبل لبنان أنه سوف يشكل الإطار لإعادة ارتباط وثيق بين البقاع الغربي والجبل على الصعيدين الاقتصادي، والاجتماعي - السكاني.

وأبرز عامل في إعادة الارتباط هذه هو أن نصف القرن أو أزود من الاستقرار النسبي الذي وفّرته المتصرفية بعد حوادث الستين الدامية شكل الإطار الملائم لنمو متسارع لاقتصاد الحرير الذي كان يشغّل نصف سكان الجبل ويؤمّن ثلث مجموع مداخيله. انعكس ذلك انعكاساً مباشراً على البقاع الغربي في أكثر من وجه.

أولاً، مع انتشار الإنتاج السوقي صار الجبل لا ينتج أكثر من ثلث استهلاكه من الحبوب واللحوم، فازداد اتكاله على البقاع للتزوّد بالحبوب واللحوم الحيّة. بكلمة، صار القمح البقاعي المصدر الرئيسي لغذاء سكان الجبل. وقد شكلت دير القمر ومشغرة مركزين تجاريين

أساسيين في تلك الشبكة التجارية الناشئة بين البقاع والجبل الجنوبي. ولم يكن التبادل وحيد الجانب إذ كان الجبل يصرّف أيضاً بعض منتجاته الزراعية في البقاع (من زيتون وزيت وفاكهة وما شابه) إضافة إلى تصريفه السلع المصنّعة المستوردة عبر بيروت.

ثانياً، انتقل اقتصاد الحرير نفسه إلى مشغرة والجوار عندما انتشرت فيها أيضاً زراعة أشجار التوت وتربية دود القز. مع أن إنتاج الحرير لم يكن بحجم يسوّغ بناء حلالات للشرانق ومعامل للغزل فظلّ المنتجون البقاعيون يتكلون في ذلك على معامل جبل لبنان.

ثالثاً، أدت الرسملة المتزايدة في الجبل وبيروت وخصوصاً في أوساط الأرستقراطية التجارية إلى سعي متزايد للسيطرة على الأراضي المنتجة للحبوب، فقد كانت تجارة تصدير الحبوب إلى أوروبا لا تزال رائجة آنذاك. وكان للبقاع الغربي نصيبه الهام من هجرة رؤوس الأموال تلك. فمثلما عمد تجار بيروت من مسيحيين ومسلمين إلى إنشاء شركة لاستثمار أراضي الحولة في الجنوب، كذلك سعوا إلى التوسّع نحو أراضي البقاع الخصبة. ففي العام ١٨٩٥ أخذ نجيب سرسق من السلطات العثمانية امتياز تجفيف واستصلاح مستنقعات عمّيق فاستحصل على أربعة آلاف دونم من الأراضي بالغة الخصوبة. ولحق بآل سرسق عدد من أسر الأرستقراطية التجارية البيروتية في استملاك الأراضي في البقاعين الأوسط والغربي ومنهم آل دي فريج في حوش سنيد وآل بسترس في كفريا وتالياً آل إدي في عميق وتل ذنوب وغيرهم. إن هذه الحركة التي سوف يسمّيها المطالبون بإنشاء لبنان الكبير «استعمار اللبنانيين لسهل البقاع» سوف تشكل إحدى الركائز للمطالبة بضمّ البقاع إلى جبل لبنان، إبان الحرب العالمية الأولى وما بعدها. وقد

زادت من إلحاح تلك المطالبة المجاعة الكبرى التي نزلت ببيروت والجبل خلال الأعوام ١٩١٦ - ١٩١٨ وكانت وطأتها ثقيلة بنوع خاص عليهما بسبب طغيان المنتجات السوقية والافتقار إلى الزراعات التقليدية.

رابعاً، شهدت فترة المتصرّفية حركات انتقال سكانية واسعة النطاق، أبرزها طبعاً الهجرة إلى خارج البلاد ابتداء من الربع الأخير من القرن التاسع عشر. فبين ١٨٦٠ و١٩٠٠ غادر جبل لبنان لا أقل من ١٢٠ ألف نسمة. لكن تلك الهجرة، ذات الوجهة الأميركية خصوصاً، لم تكن الشكل الوحيد للحركات السكانية. فالفائض السكاني المتجمّع في الجبل، المدفوع إلى البحث عن سبل خارجية لتحصيل المداخيل النقدية، بسبب عدم كفاية الإنتاج الزراعي أو صعوبة استملاك الأرض وأيضاً بسبب الرسملة المتسارعة لمختلف أوجه الحياة، أخذ يتدفق إلى المناطق التي سوف يتكوّن منها لبنان الكبير لاحقاً. وكان للبقاع نصيبه من تلك الهجرة التي يبدو أن الدافع الرئيسي إليها كان البحث عن العمل أو عن موارد رزق.

ومعلوم أيضاً أن تلك الفترة حسمت في انتقال بوابة المشرق العربي من مرفأي صيدا وطرابلس إلى مرفأ بيروت وهو انتقال تزامن وتكامل مع انتقال المركز التجاري للداخل السوري من حلب إلى دمشق، فتولد عن ذلك محور للتجارة الكولونيالية الجديدة، هو محور دمشق - بيروت القائم بالدرجة الأولى على تصدير المواد الأولية (من حبوب وحرير) واستيراد المنتجات المصنّعة. وسرعان ما ارتبطت المدينتان بطريق عربات سريع أنجز عام ١٨٦٥ وتالياً عام ١٨٩٥ بخط سكة حديد عرف باسم سكة حديد دمشق - حماه وامتداداتها. ولكن لا يبدو أن التحول في طريق دمشق عن خط

صيدا ـ جزين ـ مشغرة نحو خط بيروت ـ دمشق الذي أعلنه بناء طريق بيروت ـ دمشق وإنشاء خط سكة الحديد، قد ترك أثراً سلبياً كبيراً على اقتصاد البلدة. فكأنما جرى تعويضه فوراً من خلال الأدوار المتعددة التي سوف تلعبها مشغرة في علاقتها بالجبل وسائر أجزاء البقاع.

أسر مشغرة المسيحية

أغلب الظن أن أكثرية أسر مشغرة المسيحية وفدت إلى البلدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكما هو واضح فإن الدافع الاقتصادي كان الغالب في جذب أسر متفرقة الأصول إلى تلك البلدة الطرفية من البقاع.

يؤكد عيسى إسكندر المعلوف، الذي أرّخ لأسر مشغرة، على تعدد مصادر الأسر المسيحية وتنوّع الأصول. فالأقلية المارونية جاءت من قرى الشوف والمناطق المختلطة ومن صغبين، البلدة المجاورة ذات الأكثرية المارونية. أما الأكثرية الكاثوليكية، فتعود أصول أسرها إلى مناطق متعددة من سورية وفلسطين. فآل الصايغ والحجّار وفدوا من حلب؛ وآل إبراهيم من صيدنايا، وآل الشلبي والحموي من دمشق، وآل أبو غنّام من حوران؛ وآل جدع من حيفا وآل رفول من شفا عمرو في فلسطين. ووفد آخرون من البقاع أو جبل لبنان أمثال آل أبو عراج القادمين من الكفير (حاصبيا) وآل أبو خليل من مرجعيون وآل غطاس وعبودي من ضهور الشوير (المتن) وآل رزق من بسكنتا (المتن الأعلى) وآل بركة من دوما (البترون) وآل نجيمة من معاصر الشوف وآل طرابلسي وحِمْيَري من دير القمر.

وكان قسم كبير من هذه العائلات من الحرفيين أمثال آل طرابلسي

وأبو عراج وبركة الذين امتهنوا أعمال الحدادة وصهر المعادن، علماً أن مشغرة ومنطقتها، وبالأخص سحمر ويحمر وميدون، غنية بخام الحديد والفحم الحجري وقد تمّ استخراجه على نطاق واسع في عهود عديدة آخرها عهد إبراهيم باشا المصري (١٨٣١ ـ ١٨٤١). وكان صبّ الحديد وصهره صناعة تقليدية قديمة من صناعات البلدة[٢٥]. ومن جهة أخرى، عمل آل الصايغ في صياغة الفضة والذهب وآل حبوش في صناعة الجلود ـ الدباغة ـ واشتهرت أسرتا أبو غنّام وغزال بالإسكافة، إلخ.

يشكّل آل طرابلسي لفيفاً من الأسر الكاثوليكية يدّعي بعضها الانحدار من عائلة الأمراء الصليبيين من آل البرنْس Le Prince[٢٦]. ومع أنهم يسمون نسبة إلى انتمائهم الأصلي إلى مدينة طرابلس، فليس من دليل قاطع يشير إلى أن الكنية الطرابلسية تجعل من حامليها بالضرورة أقارب وأنسباء. والمعروف أن الذين يحملون ذاك الاسم، شأنهم شأن جميع من ينتسب إلى قرية أو مدينة، يتوزعون حسب مناطق انتشارهم. فآل طرابلسي ينتشرون على رقعة واسعة من المدن والمواقع في بلاد الشام. يرد ذكرهم في حلب منذ بداية الحقبة العثمانية (ومنهم رجال أدب على شيء من الشهرة) كما تلقاهم في دمشق والبترون ودير القمر وزحلة وكفرحونة إضافة إلى مشغرة.

اعتنق آل طرابلسي في دير القمر المذهب الماروني في منتصف القرن الثامن عشر، وتصاهروا مع آل البستاني وهم عائلة مارونية تضم رجال دين وقلم. واشتهر منهم إبراهيم طرابلسي (المتوفى عام ١٨٢٠) وكان من التجار الأغنياء المقرّبين من الأمير بشير الشهابي الثاني. وقد ورث ابناه خليل وملحم تجارة أبيهم وكانوا في عداد

دائني الأمير [٢٧]. أما حفيد إبراهيم المذكور، سليم ابن خليل طرابلسي (١٨٣٨ - ١٨٩٧) فانخرط في «الجند اللبناني»، زمن المتصرفية، وتدرّج إلى رتبة أميرالاي [٢٨].

يضم لفيف آل طرابلسي في مشغرة وكفرحونة أربع عائلات، ولا تعرف درجة القرابة بينهم وبين طرابلسيي دير القمر، خاصة وأن فرعهم المشغري ينتمي إلى المذهب الكاثوليكي. وتحتل إحدى العائلات وهي عائلة أبو إبراهيم جرجس، موقعاً مميزاً بين تلك الفروع. أما الفروع الثلاثة الأخرى (وهم فرع إلياس وفرع جرجس وفرع أبو إبراهيم مخّول) التي تدعّي الانتساب إلى جدّ مشترك اسمه يوسف، مثلها مثل آل أبو إبراهيم جرجس، فليس مؤكداً أنها كانت كلها تحمل اسم طرابلسي في الأصل ولا أنها كانت على صلة نسب مع العائلة الرئيسية. فلعله جرى تبني تلك العائلات ضمن العائلة الأصلية الموسعة لتشكل لفيفاً من خلال المصاهرات والتحالفات.

وصل إبراهيم جرجس إلى كفرحونة قادماً من دير القمر على الأرجح وكان يعمل حداداً. وكان له ولدان، إبراهيم وهو الابن البكر، وقد أقام في كفرحونة، بينما انتقل الثاني، إلياس، ليستقر في مشغرة وفيها أصبح تاجراً وملتزم جباية وسمسار حرير ومالك أرض كبيراً [٢٩].

شكل دخول تربية دود القز القاعدة التي تكونت على أساسها ملكية أرض كبيرة نسبياً في يد عائلة واحدة من عائلات مشغرة. وقد شملت تلك الملكية كامل مزارع الجوار التي أصبحت أكثر تبعية للبلدة من أجل تسويق منتجاتها والتزود بالبذار وبزر دود القز

وتصريف محاصيل الحرير والحبوب والاستحصال على القروض المالية وشراء السلع المستوردة والأدوات والأدوية الزراعية وطحن الحبوب. وقد أفاد مسيحيو مشغرة من ارتباطهم المبكر باقتصاد الحرير ومن حيازتهم ومراكمتهم رأس المال التجاري والمرابي ومن امتيازاتهم التعليمية للتوصل إلى السيطرة الاقتصادية على البلدة والمزارع. فاستطاعوا نزع ملكية عدد كبير من الفلاحين وتحقيق مركزة الإنتاج الزراعي الذي بات موجهاً أكثر فأكثر نحو الإنتاج السلعي (الحرير والتبغ). وقد أدت هذه المتغيرات في ميزان القوى بين الطائفتين إلى تغيير تركيبة البلدة وهويتها من بلدة شيعية إلى بلدة مختلطة يهيمن عليها المسيحيون إن لم يكونوا قد باتوا أكثرية بين سكانها.

وقد أسهم تطوّر التعليم الإرسالي في تعزيز النمو غير المتكافىء بين الطائفتين. إذ جاءت مدارس الإرساليات المسيحية الحديثة تنافس نظام الكُتّاب التقليدي. ففي سنة ١٨٨٥ افتتحت أول مدرسة إنجيلية بمبادرة من الدبّاغ بطرس حبّوش وهي سوف تلعب دوراً بالغ الأهمية في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية للبلدة. وسوف تليها مدرسة القلب الأقدس الكاثوليكية والمدرسة الأسقفية الأرثوذكسية عام ١٩١٠. وبعد أربع سنوات من ذلك افتتحت أول مدرسة رسمية للصبيان. أما مدرسة البنات فلن تبدأ إلاّ في العهد الاستقلالي عام ١٩٤٩.

في موازاة ذلك شهدت تلك المرحلة أيضاً نشوء قطاع صناعي حرفي هو دباغة الجلود. ففي سنة ١٨٦٩ أنشأ فارس حبّوش، العائد من مصر، مدبغة في صيدا ثم ما لبث أن نقلها إلى مشغرة عام ١٨٨٢. فقد كانت مياه البلدة مناسِبة للدباغة بسبب تركيبتها

المعدنية فيما كانت تربية المواشي تؤمّن الجلود والحرف المعدنية تشكل رافداً إضافياً لتلك الصناعة. في تلك المرحلة كانت الدباغة تعمل على الطريقة «النباتية» وهي عملية إنتاج بطيئة ومتعِبة تستعمل فيها المواد الدابغة ذات المصدر النباتي وهي تتطلّب قوة بدنية وجهداً جسدياً عظيمين.

كانت دباغة الجلود أيضاً قطاعاً اقتصادياً احتكره المسيحيون أول الأمر. فلم يشارك شيعة البلدة إلاّ متأخرين في أعمال الدباغة لاعتبارها مهنة نجسة. ولن تبدأ مشاركتهم الفعلية إلاّ بُعيد الحرب العالمية الثانية حيث أنشأ آل غزالي الدّباغة الوحيدة المملوكة من الشيعة. ثم نزل الشباب الشيعي إلى العمل في الدباغات كعمال. ونشأ أيضاً معمل غراء لصاحبه عباس عاصي.

وقد شهدت الدباغة تطوراً سريعاً خلال الحرب العالمية الأولى حيث عملت الدبّاغات بشكل متواصل لتأمين حاجات الجيش العثماني من الأحزمة والأحذية وسواها من المصنوعات الجلدية، وقد اعتبرت صناعة حربية فأعفي أبناء مشغرة العاملون في تلك الصناعة من الخدمة العسكرية وتمكن الميسورون بينهم من النجاة من المجاعة بل مراكمة الأموال الطائلة عند بعضهم.

تدليلاً على الأهمية المتزايدة التي اكتسبتها البلدة، أكان من حيث الدور الاقتصادي أم من حيث النفوذ على جوارها، صارت مشغرة مركزاً لمديرية من قسمين عشية الحرب العالمية الأولى: يقع القسم الأول على الضفة الغربية لنهر الليطاني ويضم البلدة نفسها، مركز إقامة المدير، إضافة إلى مزارع وقرى لوسيا، ميدون، عين التينة، عيتنيت، مزرعة باب مارع، دير عين الجوزة وصغبين؛ أما القسم

الثاني، فكان على الضفة الشرقية من النهر ويضم قرى القرعون ومجدل بلهيص وسحمر ويحمر وزلايا ولبايا وقليا[٣٠].

الالتحاق بلبنان الكبير

لم تلتحق البلدة و«المزارع» بلبنان الكبير أيام الانتداب الفرنسي من دون لأي، بل مقاومة. فخلال فترة الثورة العربية (١٩١٧ - ١٩٢٠) انضم شيعة مشغرة والمزارع، كما سنّة الضفة الشرقية لليطاني، مع عدد لا يستهان به من المسيحيين، إلى حركة الشريف حسين، وطالبوا بضم البقاع برمّته إلى سورية. وقد ترأس الحركة في البقاع الغربي أحد أبناء مشغرة، حسن عبود، ابن أستاذ المدرسة القرآنية في البلدة، لكن قيادة الثورة كانت متمركزة في القرعون. وعندما أعلن الشريف فيصل حكومته في دمشق، أعلنت البلدات والقرى المسلمة في البقاع الحكم الذاتي وقدمت ولاءها لدمشق. فوضع مدير مشغرة عارف الخطيب نفسه في تصرّف السلطة الجديدة، ورفع العلم العربي فوق سرايا مشغرة، بينما نزل جنود الجيش العربي في جامع الحارة التحتا.

مال مسيحيو مشغرة إلى تأييد الثورة. وقد تضافرت عوامل عدة على تحقيق ذلك.

أولاً، كان الروم الكاثوليك يستوحون مواقفهم من مواقف زعمائهم وأبناء طائفتهم في زحلة. ومعروف أن أكثرية كاثوليك زحلة أيّدت الانضمام إلى سورية خلال الاستفتاء الذي أجرته لجنة كِنْغ - كراين.

ثانياً، كان لآل طرابلسي مصلحة، بما هم ملاكو أرض، في مسايرة

مشاعر «شركائهم» الفلاحين والمزارعين الشيعة في القرى والمزارع وقد التحقوا جماعياً بالثورة العربية.

ثالثاً، كان آل طرابلسي الحلفاء السياسيين للزعيم الوائلي كامل الأسعد، ممثل الأمير فيصل في جبل عامل.

رابعاً، كان الدبّاغون والتجار في مشغرة، وجلّهم من المسيحيين، يرتبطون بأكثر من رابطة وثيقة بدمشق التي كانت سوقاً هامة لتصريف منتجاتهم وسلعهم.

وخامساً وأخيراً، كان الأرثوذكس والبروتستانتيون أكثر تقبلاً للأفكار السورية والعروبية وأكثر تأثراً بالسياسات الأنكلو - سكسونية المؤيدة للثورة، أو هكذا بدا لهم على الأقل.

وقد تجلى تلاقي هذه المواقف بمناسبة زيارة لجنة كِنغ - كراين إلى زحلة حيث دعي إلى تجمع شعبي في ١٢ تموز ١٩١٩ في باحة كنيسة سيدة النيّاح للروم الكاثوليك، فالتقى أهالي مشغرة من جميع الطوائف وهم يعتمرون الكوفية والعقال التقليديين، وراحوا ينشدون نشيد الثورة العربية. وخطب فيهم حسن عبود فهاجم فرنسا والصهيونية وطالب بضم البقاع إلى سورية وتحقيق الوحدة العربية.

بعد دخول قوات الجنرال غورو إلى بيروت استمرت بعض المجموعات الوطنية في شن الهجمات العسكرية ضد الجنود الفرنسيين في المنطقة. في آذار ١٩٢٠ اغتيل حسن عبود على يد أحد العملاء الفرنسيين. وفي اليوم ذاته دخلت مشغرة قوة عسكرية

فرنسية. فهرب المدير الموالي لفيصل، عارف الخطيب، من البلدة بمساعدة سليمان طرابلسي وانسحب الثوار إلى سحمر. استقبل أهالي مشغرة الفرنسيين ببرود ظاهر. وحدهم أنصار الأب بَرْصَة، كاهن القرية الكاثوليكي، رحّبوا بهم وهم يرددون أناشيد تمجد العَلَم الفرنسي المثلث الألوان[٣١].

عند مجيء الفرنسيين جرى تعيين سليمان طرابلسي مديراً لناحية مشغرة. وكان اختيار سلطة الانتداب ذكياً لأنه سمح باستمالة المسيحيين المترددين وطمأنة الشيعة في الآن ذاته. وقد أدى هذا التعيين إلى تثبيت هذا الوجيه وحزبيته في السلطة في البلدة. لكن سليمان لن يلبث أن يستقيل من هذا المنصب سنة ١٩٢٤ لأسباب لم نتمكن من الوقوف عليها[٣٢].

نعرف عن تلك الفترة أن سليمان أقام علاقات وثيقة مع ساسة المنطقة المرتبطين بالفرنسيين، وظلت حزبية آل طرابلسي في البلدة لأمد طويل منحازة للفرنسيين ومناصرة لحزبية إميل إده.

ازدادت وطأة الانتداب الفرنسي على البقاع الغربي بعد هزيمة الثورة السورية الكبرى في السنوات ١٩٢٥ - ١٩٢٧ ويبدو أن أبناء مشغرة وقفوا خلالها على الحياد وبقيت البلدة خارج المعارك[٣٣]. وسنة ١٩٢٥ تمَّ تعيين مجلس بلدي في مشغرة، وبعد سنتين من ذلك، ألحقت البلدة إدارياً بشتورة وبعدها بزحلة ثم ألحقت بجب جنين عندما أصبحت زحلة عاصمة لمحافظة البقاع. ويؤكد أول إحصاء للسكان أجراه الفرنسيون عام ١٩٢٢ أن البلدة أصبحت مسيحية بنسبة الثلثين إذ إنها شهدت خلال الحرب العالمية الأولى موجة هجرة واسعة يبدو أنها طاولت الشيعة أكثر من المسيحيين

بسبب المجاعة ونزع ملكية الفلاحين. تأكدت تلك الأكثرية في الثلاثينيات، حين قُدِّر عدد السكان بحوالى الأربعة آلاف، ثلاثة آلاف مسيحي وألف شيعي. لكن عدد دافعي الضرائب كان ٤٥٠ مسيحياً و٢٠٠ شيعي[٣٤]. المفارقة في نسبة المسيحيين إلى الشيعة بين عدد السكان وعدد دافعي الضرائب تحتاج إلى تفسير. وأغلب الظن أنها عائدة إلى ضعف الإقبال الشيعي على استفتاءي ١٩٢٢ و١٩٣٢ في عموم المناطق اللبنانية.

مهما يكن، يجوز الافتراض أن البلدة قد أضحت ذات أكثرية سكانية مسيحية. فصارت البلدة القديمة غربي الطريق وحول النبع مأهولة بكاملها من المسيحيين وقد تهدم الجامع المشاد في ساحة القرية في ما يشبه إعلاناً رمزياً عن تبدّل هويتها الديموغرافية[٣٥].

هوامش

(١) ورد اسمها في المصادر العربية مكتوباً بأشكال مختلفة: مشغرا ومشغرى ومشغرة. وقد درج استخدام هذا الشكل الأخير.

(٢) بينما أنا أدفع هذه المخطوطة إلى الطبع صدر كتاب الشيخ حسين الخشن، «مشغرة في التاريخ ـ الحركة العلمية والسياسية خلال عشرة قرون» (تقديم السيد محمد حسين فضل الله، بيروت، دار القماطي، ٢٠٠٣) وهو مبادرة في تدوين تأريخ للبلدة جمع لها المؤلف مقداراً لا بأس به من البيانات التاريخية خاصة من المصادر الأولى. على أن ما يصدم في تأريخ الشيخ حسين أمران مترابطان: الأول، هو قصره تاريخ مشغرة على فترة ما بعد الفتح الإسلامي. يكرر هذا الطمس تقليداً بات شائعاً في التأريخ للبنان يفترض ـ خطأ بالطبع ـ أن قصر تاريخ لبنان أو أي جزء من أجزائه على الفتح العربي الإسلامي دون ما قبله يؤكد أو يرسّخ عروبة أو إسلامية البلد والعكس بالعكس: الاعتراف بأن للبلد ماضياً سابقاً على الفتح كأنه يخلط الانتماء ويوهن الإيمان! والأمر الثاني، وثيق الارتباط بالأول، هو أن «مشغرة في التاريخ» تأريخ لمشغرة الشيعية. مع أن شيخنا يعترف بوفود المسيحيين إلى البلدة منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر، ويعترف للوجود المسيحي بـ «دور أساسي في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية لمشغرة في القرن المنصرم» إلاّ أنه يستدرك أن ذلك الدور يحتاج إلى دراسة خاصة به لم يضطلع بها شيخنا لأنها «خارج عن إطار بحثنا الذي رسمناه». لو كان الأمر كذلك لوجب أن يعنون شيخنا بحثه «شيعة مشغرة في التأريخ»، علماً أن شيعة مشغرة لا يردون عنده إلاّ بما هم أسر دينية.
وإنني أستغرب حقاً كيف أن السيد محمد حسين فضل الله، الذي قدّم للكتاب، لم ينتبه إلى مثل هذه الإغفالات والإسقاطات وهو الحريص على الشمولية والبعيد كل البعد عن الاختزال في تناوله للشأن اللبناني.

(٣) يروي عيسى إسكندر معلوف (**سورية المجوّفة**، ص ٨٠) أن قرية زلايا هي Zéléa المدينة طروادية الوارد ذكرها في إلياذة هوميروس. وقد عُثِر في مشغرة، فترة الحرب العالمية الأولى، على قطع نقود فضية يونانية ونقود عبرية (المصدر ذاته، ص ٢٩٦). أما ميدون فقد اشتهرت منذ ذلك الحين بأنها مركز لاستخراج الحديد.

(٤) صليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، ص ٣٤.

(٥) **تاريخ الطبري**، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٦) راجع: يحيى حسين عمار، **تاريخ وادي التيم والأقاليم المجاورة**، ينطا، ١٩٨٥، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٧) حسب تعبير ابن القلانسي، ص ٢٢١، انظر الصليبي، **منطلق**، ص ٩٩.

(٨) كما ورد في عيسى المعلوف، **تاريخ سورية المجوفة**، المصدر نفسه.

(٩) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٥٤، ٧١، و٨٥.

(١٠) صليبي، **منطلق**، ص ٣٢ - ٣٣.

(١١) انظر: محمد علي مكي، **لبنان من الفتح**... المصدر نفسه، ص ٢٧٣ - ٢٧٥؛ وفرنسيس هورز وكمال الصليبي: "Muhammad Ibn al-Hanach: muqqadam de la Biqâ, 1499-1518. Un épisode peu connu de l'histoire Libanaise". *Mélanges de l'Université Saint Joseph*, Beyrouth, tome XLIII, 1968, pp. 3-23.

(١٢) ألبرت حوراني، "Political Society in Lebanon. A Historical Introduction", London, Center for Lebanese Studies, s.d., p.6: "From Jabal Amil to Persia", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, London, vol. XLIX, part 1, 1986, pp. 133-140.

(١٣) راجع المعلوف، **تاريخ سورية المجوفة**، ص ١١٣ و١٤٢.

(١٤) المعلوف، **تاريخ البقاع**، ص ١٤٦، ١٥١، ١٥٧.

(١٥) الحرافشة فرقة من الشيعة نسبت إلى جدها الأمير حرفوش الخزاعي، الذي قاد حملة أبي عبيدة الجراح على بعلبك حيث سكنوها. أول أمرهم، قاتلوا تركمان كسروان بقيادة علاء الدين بن الحرفوش (١٣٠٩ - ١٣٠٣). وأول من تولى حكم بعلبك منهم الأمير موسى (أو يونس) في أوائل القرن السابع عشر واصطدام مع الأمير فخر الدين المعني الثاني. وآخر أمراء الحرافشة الأمير محمد الذي ثار على السلطنة العثمانية في بعلبك ووادي العجم ومعلولا في ٥ تشرين الأول ١٨٥٠ وانتهت ولايتهم سنة ١٨٦٠ (راجع، عيسى المعلوف: **دواني القطوف**، ص ١٥٥).

(١٦) Polk, *The Opening of South Lebanon*, 1788-1840, Harvard University Press, 1963, pp. 63-81.

(١٧) انظر: الشيخ علي الزين، **فصول من تاريخ الشيعة في لبنان**، بيروت، دار

الكلمة للنشر، ١٩٧٩، ص ٦٧.

(١٨) أبو شقرا، **الحركات**، ص ١٣٤.

(١٩) الزيات، المصدر نفسه، ص ٩٥،والمعلوف، **تاريخ الأسر**، ص ٢٠٢٩.

(٢٠) أبو شقرا، **حركات**، ص ٥٣ و٥٤ و١٣٣. وكان المؤلف ذاته وكيلاً لآل جنبلاط في صغبين.

(٢١) علي الزين، المصدر ذاته، ص ١٩٢!.

(٢٢) John Spagniolo, *France and Ottoman Lebanon, 1861-1914*, London, 22, Ithac Press, 1977, p. 68.

(٢٣) سبانيولو، مصدر سابق، ص ٦٨.

(٢٤) راجع عيسى إسكندر المعلوف، **تاريخ زحلة**، مطبعة «زحلة الفتاة»، زحلة ١٩١١، Alixa NAFF: *A Social History of Zahle, the Principal market Town in Nineteenth Century Lebanon*. Ph D. Thesis in History, University of California, Los Angeles, 1972.

(٢٥) بحسب ذكريات أهل البلدة أن شخصاً من آل طرابلسي يدعى أسعد كان يقوم بصبّ النقود العثمانية في محترفه. على أنهم لا يتذكرون ما إذا كان ذلك يتم بتكليف رسمي من السلطنة العثمانية أو أنه كان من قبيل تزوير العملة.

(٢٦) انظر: عيسى إسكندر المعلوف، **دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف**، بعبدا، المطبعة العثمانية، ١٩٠٧ - ١٩٠٨، هامش الصفحة ٢٥٨.

(٢٧) Paul Saba, "The Creation of the Lebanese Economy-Economic Growth in the Nineteenth and Early Twentieh Centuries," in Roger Owen (ed.), *Essays on the Crisis in Lebanon*, London, Ithaca Press, 1976, p.10.

(٢٨) سوف يترقّى أحد أبناء سليم، فوزي طرابلسي، إلى رتبة كولونيل في الجندرمة اللبنانية هو أيضاً وتنعقد بينه وبين سليمان طرابلسي في مشغرة خدمات متبادلة تنمّ عنها المراسلات.

(٢٩) نتبع تاريخ السلالات كما وضعه عيسى المعلوف.

(٣٠) المعلوف، **تاريخ البقاع**، ص ٩١.

(٣١) الزيات، مصدر سابق، ص ١٢٦ - ١٣٠. ضمت القوة التي احتلت القرعون لصالح الفرنسيين وقضت على التمرد فيها ٥٠ فارساً متطوعاً من أهالي زحلة كانوا قد قاتلوا إلى جانب الفرنسيين في ميسلون بقيادة القبضاي الماروني

ميخائيل أبو عينين. ويروي أبو عينين في مذكراته أنه نزل في بيت سليمان طرابلسي في مشغرة عندما قاد الحملة ضد الثوار البقاعيين. وعندما كافأ الفرنسيون أبا عينين على ولائه عام ١٩٢١ وأدخلوه سلك الدرك، تمَّ تعيينه رئيساً لمخفر الدرك بمشغرة. انظر: ميخائيل أبو عينين، **صراع الحزم والظلم**، ساو باولو، ١٩٦١، المجلد الأول، ص ٣٦٠.

(٣٢) **أرشيف س. ط.**، نسخة عن القرار رقم ٢٣٥٧ المؤرخ في ١٥ آذار ١٩٢٤ بتوقيع المسيو أوبوار، حاكم لبنان الكبير بالوكالة، وسكرتير الحاكمية أوغست أديب، يقضي بقبول استقالة سليمان طرابلسي ويقرر تعيين الموظف الحكومي الكاثوليكي إميل مشاقة مكانه.

(٣٣) يروي مخائيل سليمان في إحدى رسائله إلى سليمان طرابلسي عن المراحل الأخيرة من الثورة فيتحدث عن استسلام الثوار للسلطات الفرنسية، وفي مقدمهم الشيخ قيس كنج في حاصبيا، وعن استمرار التفاوض لتأمين استسلام قاضي المذهب الدرزي الشيخ حسن قيس. وفي الرسالة ذاتها يطلب ميخائيل من سليمان أن يرسل إليه عائلته إلى حاصبيا بعد أن عاد إليها الوضع الطبيعي وقد كانت العائلة لاجئة عند سليمان طرابلسي. ويستدل من هذا أن مشغرة كانت بعيدة عن نشاط الثوار المناهضين للانتداب. **أرشيف س .ط.**، ميخائيل سليمان إلى سليمان طرابلسي، راشيا، ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٢٦.

(٣٤) المعلوف، **تاريخ سورية المجوّفة**، ص ١١٣.

(٣٥) الزيات، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

الفصل الثالث

نشوء وتطوُّر وانحلال ملكية عقارية

الالتزام والتجارة والحرير

إن قصة آل الطرابلسي من خلال فرعها الرئيسي آل أبو إبراهيم جرجس، هي قصة تكوّن ملكية أرض كبيرة نسبياً في البلدة وخاصة في «المزارع» المجاورة ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر وانطلاقاً من الالتزام والتجارة والربا وسمسرة الحرير.

مطلع المتصرفية، كانت الغالبية العظمى من سكان مشغرة لا تزال تعمل في الزراعة وتربية المواشي التقليدية. وكان الماعز يطلق للرعاية في الجرود والأحراج الجنوبية والجنوبية الغربية. أما الزراعات الرئيسية فكانت الحبوب على أنواعها، والتبغ والكرمة والتين والأشجار المثمرة من تفاح وإجاص وخوخ وكرز ودرّاق. في تلك الفترة كان البقاع ينتج التبغ المحلي وإن يكن تقلّص الإنتاج مع منافسة التبغ العثماني

ابتداء من العقد الأخير من القرن التاسع عشر بعدما شكّلت السلطنة شركة لحصر التبغ والتنباك. وتنبئنا وثائقنا أن سليمان طرابلسي عُني عناية خاصة بإنتاج التبغ وبيعه. وكان العنب لفترة طويلة مادة أولية لصناعة الدبس، وهي صناعة اشتهرت بها القرية (ولعل اسم عائلة الدبس منسوب إلى تلك الصناعة)، إضافة، طبعاً، إلى «شَيْل» العرق (تقطيره). وكان القطاع الحرفي يشتمل على معمل قديم للبارود (وربما منه جاء اسم آل بارود) وعلى أشغال الحديد من مسابك وأكوار إلى جانب طحن الحبوب.

احتلت التجارة على الدوام موقعاً رئيسياً في اقتصاديات القرية نظراً إلى فقر أراضيها وإلى موقعها الجغرافي على الطريق التجارية التي تربط صيدا بدمشق وسائر الداخل السوري. وكانت البلدة تصرّف إنتاجها وإنتاج المزارع والقرى المجاورة، في كل من دمشق وزحلة، بما فيها عدس سحمر ويحمر المشهور إضافة إلى التبغ.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أخذت البضائع المستوردة من أقمشة وبهارات وكماليات تدخل البلدة فنشأت وتطورت فيها فئة من التجار والمرابين وتزايد عدد المكارية الذين يتولون نقل البضائع بين مختلف المراكز التجارية التي ترتبط بها البلدة[1]. وشكل دخول تربية دودة القز وتجارة الشرانق، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تطوراً اقتصادياً ـ اجتماعياً بارزاً في حياة القرية والجوار، كما أسلفنا. ومن أبرز نتائجه المزيد من ربط المنتجين الزراعيين بالسوق.

كان آل طرابلسي روّاداً في هذا المضمار. ففي منتصف القرن التاسع عشر، فتح إلياس طرابلسي دكاناً لبيع البهارات وتجارة المانيفاتورة

(البضائع المصنّعة المستوردة) وتعاطي الربا. ثم أخذ يشتري أحمال ورق التوت والشرانق من فلاحي المزارع، ويتولى إرسالها إلى معامل حلّ الحرير في جبل لبنان. ومن أوائل الوثائق في أرشيفنا المؤرخة في ٤ حزيران ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م. والموقعة من قبل إبراهيم طرابلسي، شقيق إلياس، المقيم في كفرحونة، وَصْلٌ باستلام شرانق حرير من فلاحين. وفي مطلع القرن كانت العائلة ترسل إنتاج مشغرة والجوار إلى معمل الحل الفرنسي الكبير في القُرَيَّة (قضاء عاليه، تابعة لبحمدون المحطة) لصاحبه «الأرملة غِيْران وأولادها» Veuve Guérin & Fils أو «الخواجات ڤاف كيرين وأولاده»، كما يسميها سليمان في دفتره. وسوف يستمر تعامل العائلة مع هذا المعمل نحو ثلاثة عقود من الزمن، أي خلال العصر الذهبي لاقتصاد الحرير في لبنان. عام ١٩٠٠ أرسل سليمان طرابلسي إلى ذلك المعمل ٣٤٥٣ أوقية من الشرانق قدّرت قيمتها بـ ٧٦٤١٧/٢٠ غرشاً وعشرين بارة[2]. وكانت تلك الشرانق التي يجري حلّها في المعمل الفرنسي على حساب سليمان طرابلسي مجمّعة من أعداد كبيرة من المنتجين المحليين في مشغرة والجوار. أما المراسلة الأخيرة مع هذه المؤسسة فمؤرخة في تشرين الثاني ١٩٢٩ حيث يتم الإعلان عن إرسال ٨٤٤٣٠٠ شرنقة. تتولى الشركة تخنيق الشرانق وفرزها بين فئات الشرانق المصنّفة ـ شرانق صالحة للحل وشرانق موات ومبقّعة وسوداء ومزدوجة. ولكل صنف سعره والأغلى طبعاً هي الشرانق الصالحة للحلّ. كذلك تتولى الشركة حلّ تلك الشرانق لحساب سليمان طرابلسي ومن ثم بيعها لصالح المُرسِل. وجدير بالذكر أن الرسالة إياها تعطينا فكرة عن بدء أزمة اقتصاد الحرير إذ تقدّر الشركة أسعار الشرانق ولكنها تستدرك قائلة أنه لا يوجد مشترٍ لها «بسبب الأزمة الحالية»[3].

بدأت السيطرة على الإنتاج الزراعي من خلال الالتزام. وعلى ذمّة الزيّات، فإن إلياس طرابلسي ـ المتعلم والبالغ درجة عالية من الذكاء بحيث لقّب «الشاطر» ـ بدأ العمل في خدمة آل القزويني، مدبّري أملاك آل جنبلاط، وأقام علاقات مع الموظفين العثمانيين ومع الفلاحين في المزارع المجاورة. وسرعان ما انتقل التزام الضرائب في البلدة من يد العائلة الشيعية إلى وجيهين مسيحيين كاثوليكيين، هما إلياس طرابلسي وفارس رزق اللذين حازا على التزام جمع الميري والويركو والأعشار من أهالي البلدة ومزارع ميدون ولوسيا وقليا وعين التينة وسحمر ويحمر ولبّاية وزلاّية وكفرمشكي. وتدل الوثائق على أن القائم مقام العثماني كان يتعامل مع هذين الوجيهين بصفتهما ممثلين للبلدة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر(٤).

توفي إلياس طرابلسي مطلع القرن العشرين وخلفه خمسة من أبنائه الذكور وثلاث بنات. والذكور هم جرجس، البكر، وكان طبيباً وصيدلياً حائزاً على شهادته من إسطنبول، وإسكندر، وهو أول طبيب جرّاح في البلدة والمنطقة وأول شاب من مشغرة يتخرّج من المعهد الإنجيلي السوري (الجامعة الأميركية لاحقاً) في بيروت عام ١٨٧٦ وقد مارس إسكندر مهنته لبعض الوقت في حيفا. توفي جرجس وإسكندر في سن باكرة (توفي إسكندر عام ١٩٠٤) فانتقلت زعامة العائلة إلى أخيهما سليمان. أما الشقيقان الأصغران، داوود وخليل، فقد ساعدا شقيقهما في إدارة أعمال العائلة. وقد عمل داوود سكرتيراً خاصاً للزعيم الوائلي كامل بك الأسعد في الطَيْبة لفترة من الوقت.

أشكال الاستحواذ على الإنتاج الزراعي

تعود الحجج الزراعية التي في حوزتنا إلى مرحلة الأب، إلياس طرابلسي، بالدرجة الأولى، وهي، على ثغراتها العديدة، تسمح بتكوين فكرة عن عدد من آليات وأشكال الاستحواذ على الإنتاج الزراعي بواسطة رأس المال التجاري والمرابي وسمسرة الحرير.

يقدّم التزام الخراج الذي توكّل به آل طرابلسي في المزارع صورة واضحة عن الأشكال الجديدة لهذه الممارسة في المرحلة التي تلت «التنظيمات» العثمانية وقانون تسجيل الأراضي عام ١٨٥٨ وإلغاء الامتيازات المقاطعجية ابتداء من العام ١٨٦١. ويبدو هذا النظام الجديد، في أحد وجوهه، على أنه يعمل بشكل معاكس للنظام المقاطعجي التقليدي. فبينما كان يتم في ظل هذا الأخير الاستحواذ على الناتج الاجتماعي باستعمال القوة السياسية ـ العسكرية للعائلات المقاطعجية، إذا بالنظام الجديد يرتكز على القوة الاقتصادية المالية لطبقة اجتماعية جديدة مرتبطة برأس المال التجاري والمالي. حتى أن طريقة الاستحصال على الالتزام باتت هي ذاتها جديدة. ذلك أن الراجح أن آل طرابلسي ورزق ـ المسيحيين وذوي الأصل العاميّ الذين لا ينتمون إلى أي من «المناصب» المقاطعجية ـ قد اشتروا الالتزام شراءً من الموظفين العثمانيين وذلك وفق تقليد كان قد بات شائعاً(٥).

إضافة إلى ذلك، فالملتزمون الجدد، وهم تجار ومرابون وسماسرة حرير، بدل أن يفرضوا ضرائب إضافية على الفلاحين من أجل تثمير التزامهم، راحوا يدفعون الضرائب نيابة عنهم ويقدّمون لهم القروض التي يتم تسديدها نقداً أو عيناً لقاء حصص من المحاصيل الزراعية. ومن أجل تأمين سداد الديون، كان يصار إلى رهن الأراضي، الأمر الذي أدّى في عدد كبير من الحالات إلى النزع التدريجي لملكية

أولئك المنتجين الزراعيين عند عجزهم عن سداد ديونهم لأسباب مختلفة.

وكان الشراء المسبق للمحاصيل الزراعية يؤدي نتائج متعددة:

١ - يضمن تحصيل الضرائب بقوة المال، وهذا ما كان يقوم به المقاطعجيون سابقاً بواسطة قوتهم المسلحة الخاصة أو باللجوء إلى قوة السلطة العثمانية، دون أن يستثني ذلك لجوء الدائن الجديد إذا اقتضى الأمر إلى القانون وإلى القوة المسلّحة للسلطات العثمانية من أجل تحصيل ديونه أو تغليب حقوقه؛

٢ - يسمح بسيطرة رأس المال التجاري على الإنتاج الزراعي وإخضاعه المتزايد لقوانين السوق، ما يعني تسليع المنتوجات الزراعية والأراضي؛

٣ - تحوّل التاجر - من خلال إرغامه الفلاح المديون على بيعه منتجاته الزراعية - إلى محتكِر لتلك المنتجات. ففي إنتاج الحرير يصير التاجر - المرابي الوسيط الإلزامي بين المنتجين المباشرين وبين المعامل والتجار، والمتحكم بالتالي بالأسعار. أما بالنسبة للمنتجات الأخرى، فيخوّله الإقراض شراء المنتجات الزراعية بأبخس الأسعار، أو لنقل بأسعار أرخص بكثير من أسعار السوق، ما يسمح له بتحقيق الأرباح المضاعفة. وجدير بالذكر أن سليمان طرابلسي، حتى عندما أصبح مالكاً عقارياً بالدرجة الأولى، لم يتخلَّ عن دوره التجاري والمرابي. فهو سوف يتولى المحل التجاري الذي أسسه والده إلياس. وتعطينا دفاتر قيود سليمان طرابلسي فكرة واضحة عن اتساع عمليات ذلك المحل حتى في سنين متأخرة. فيتبيّن أن زبائن المحلّ التجاري لا يقتصرون على مشغرة نفسها وإنما يأتون من المزارع، وخصوصاً سحمر وقليا ويحمر وعين التينة، ومن أنحاء أخرى من السهل. أما المبيعات

فتشمل مروحة واسعة من المنتجات والسلع: الحطب، التبن، الكرسنّة، البذار، الحنطة، الشعير، الحمّص، الفول، الجوز، الذرة الصفراء والحمراء، التبغ، العدس والبهارات وغيرها[٦].

تعددت الأشكال التي بها يستحوذ التاجر - المرابي - الملتزم على حصة متزايدة من الإنتاج الزراعي بين الإقراض المباشر ودفع الضرائب نيابة عن الفلاحين واتفاقات الشراكة والشراء المسبق للمحاصيل وما إليه. تكشف لنا الوثائق الأشكال الرئيسية التالية:

أولاً: دفع الضريبة نيابة عن المنتجين في مقابل حصة في الإنتاج الزراعي.

عملاً بهذا النوع من الاتفاقات، يقوم المزارعون المديونون بـ «بيع» جزء من محاصيلهم سلفاً إلى الدائن في مقابل أن ينوب الدائن عنهم بدفع الضرائب المترتبة عليهم إلى خزينة الدولة العثمانية.

تبعاً لاتفاق معقود مثلاً بين إلياس طرابلسي وممثلي جميع أهالي لوسيا، يتعهد الفريق الأول بدفع الميري عن أراضي القرية الزراعية، في مقابل حصوله على ثلث محصول الفريق الثاني من الحبوب الصيفية والشتوية وعلى نصف محصول التبغ. ويتحمّل الأهالي، بحسب العرف المتّبع، تكاليف الوكالة والحراسة (الشَوْبَصَة). كما ينص الاتفاق على أن يتحمّل الأهالي دفع ديون الخراج منفردين[٧].

ثانياً: المزيد من دفع الضرائب مقابل حصة من المحصول ومن تقديم قروض مالية في مقابل رهونات وما يستتبعه ذلك من تسديد للدين عن طريق التخلّي عن الملكية الزراعية.

ينطوي اتفاق آخر معقود بين إلياس طرابلسي وممثلي مزرعة لوسيا

على جردة حساب ختامية وتصفية ومخالصة بين الطرفين تعود إلى فترة ثماني سنوات تمتد بين العام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م والعام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٧م.

ويشكل هذا الاتفاق وثيقة دسمة. ومع أنها مبهمة أحياناً، فسوف نحاول تفسير ما تيسّر من بنودها. تؤكد المخالصة أن إلياس طرابلسي قد تسلم كل الحصص العائدة إليه من محصول القمح والشعير وسائر الحبوب المستوجبة لقاء تسديده الميري والخراج والأعشار نيابة عن أهالي المزرعة.

ويتبيّن، إضافة إلى هذا، أن إلياس طرابلسي أقرض الأهالي مبالغ من المال نقداً (لا تحدّد الوثيقة قيمتها الإجمالية) في مقابل رهن أملاك وأرزاق. على أن كلمة «رهن» ليست ترد صراحة في الوثيقة. فالتقديمات، أكانت تسديداً للضرائب نيابة عن الأهالي أم قروضاً عينية، على شكل بذار، أم قروضاً مالية نقدية مباشرة، تعامِلها الوثيقة بما هي عمليات بيع وشراء: يقدّم الدائن المال أو البذار ويتسلّم في المقابل صكوك الملكية العائدة للمديونين. من هنا أن التسوية والمخالصة كانتا على ثلاثة وجوه:

١ ـ الذين سدّدوا ديونهم يستعيدون من الدائن صكوك الملكية العائدة إليهم؛

٢ ـ الذين لم يتمكنوا من تسديد ديونهم، يتركون صكوك الملكية العائدة إليهم في حوزة الدائن لموسم آخر، أما في حال كان العجز عن تسديد الدين نهائياً، يتخلّون عن تلك الصكوك ليتولى الدائن تسجيل أملاكهم على اسمه؛

٣ ـ يتحوّل قسم من الديون غير المستوفاة، والتي يبدو من الوثيقة أنها

ديون جماعية تشمل تقديم الدائن البذار للقرية بأسرها، يتحول ذاك القسم من الديون غير المستوفاة إلى كمبيالات تستحق في الموسم التالي.

وتختتم الوثيقة على الشكل الآتي:

«والمذكورين قد أبرّوا بعضهم بعضاً ابراً [إبراء] عاماً مسقِطاً لكل حق ودعوى تصدر من كاين من يكون منهم من دون غبن ودون شرط ولا أجل ودون جزر ووقع ذلك بانشراح صدر وطيب نفس من الطرفين ولأجل عدم المنازعة بيد الخواجه إلياس طرابلسي لتكون سند، مشغرا للبيان تحريراً في ٢٠ ذي الحجة ١٢٨٤ أربعة وثمانون.

ثالثاً: دفع الضرائب نيابة عن الأهالي وتقديم القروض المالية لهم في مقابل مزيد من الرهنيات ومن تقديم حصص من المحاصيل تسديداً للفوائد.

في اتفاق عقد بين خليل طرابلسي، شقيق سليمان، والأخوين أحمد ومحمد حسين الحاج، يتعهد الأول بدفع الميري عنهما ويقدّم لهما، إضافة إلى ذلك، قرضاً مالياً بقية ٩٥٠ غرشاً. في المقابل، يرهن أحمد ومحمد المذكوران أملاكهما ـ وهي كَرْم عنب وجلّ توت ـ لدى خليل المذكور على أن يتم تسديد الدين بتقديم ثلثي محصول الكرم. واللافت في هذا الاتفاق أنه يتضمّن اعتراف المزارعين بأن جزءاً كبيراً من المحصول سوف يتم تسليمه وفق بنود الاتفاق، تعويضاً للتاجر ـ المرابي عن «تعطيل» ماله، وهذا إقرار مموّه بمبدأ الفائدة مع تورية التسمية[٨].

رابعاً: تقديم قروض مالية مقابل تسديد عيني (جزء من المنتوج) أو

تسديد نقدي تضاف إليه الفائدة المستحقة.

بحسب أحد العقود التي تنتمي إلى هذا النوع، يتعهد حمّود شبلي من لوسيا بتسديد قرض مالي قدره ٥٠٠ غرش بتسليم ٢٥ حِمْلاً من ورق التوت زنة الحمل الواحد ٣٠ رطلاً اسطنبولياً. وقد حُدِّد تسليم الحصة من المحصول في تاريخ معيّن إجباري، لأنه مرتبط بحاجة إطعام دود القز. فيقول العقد بوجوب تسليم أحمال ورق التوت «عندما تفتح بزرة دود القز ويكون اليسروع في يومه الرابع». وفي حال عجز المعني عن التسليم، يضطر إلى تسديد الدين نقداً، مضافاً إليه «الربح» الذي تبلغ قيمته قرشين بالمئة في الشهر. و«الربح» هنا، بعد «تعطيل المال» الوارد في الوثيقة أعلاه، هو تورية أخرى لاسم الفائدة المحرّمة شرعاً. وهذا يعني أن الفائدة كانت تصل إلى ١٢٠ قرشاً في السنة، أي ما يوازي نسبة ٢٤ في المئة من المبلغ(٩).

خامساً: تسليف بذار الحبوب أو بزر دود القز في مقابل تسديد نقدي أو حصة من المحصول.

وكان هذا الشكل من التبادل موجوداً بصورة مستقلة عن باقي الأشكال. لكنه كان أيضاً جزءاً من عقود تنصّ على تسليفات أخرى.

سادساً: تسليف نقدي مقابل تسديد نقدي مع تعيين مهلة زمنية للتسديد. والوارد في وثائقنا خمسة أشهر وستة أشهر وثمانية أشهر وعشرة أشهر وإثنا عشر شهراً.

سابعاً: تسليف حبوب في مقابل تسديد حبوب (حنطة غالباً، ولكن

أيضاً كرسنّة وشعير وعدس، وغيرها) مع تحديد مهلة زمنية للتسديد. وبحسب الوارد في وثائقنا قد تكون المهل ٣١ يوماً أو ٦١ يوماً أو في الموسم القادم أو حتى بعد انقضاء اثني عشر شهراً كاملة. ويترافق مثل هذا العقد أحياناً مع تحديد عقوبات مالية في حال عدم الزرع(١٠).

ثامناً: عقود شراكة عادية. والمقصود بها عقود سنوية لفلاحة الأرض المملوكة من المالك لقاء حصة في المحصول. مثال على القسومات: ثلثان للفلاحين وثلث للمالكين أو الدائنين إن لم يكونوا مالكين(١١).

تاسعاً: عقود شراء كامل المنتوج سلفاً. يتعهد فيها الفلاح بتسليم كامل المحصول لقاء المبلغ المالي الذي قبضه سلفاً من المالك ـ المرابي ـ التاجر.

نزع ملكية الفلاحين

مع اتساع أعمالهم الزراعية تحوّل آل طرابلسي إلى ملاك عقاريين كبار مع ما يستتبع ذلك من العمليات المالية المرافقة لها، كما هو وارد أعلاه، كالسمسرة والوساطة التجارية (كما في حال شرانق الحرير) والربا. وفي المقابل، مع سيادة العلاقات النقدية، تحول فلاحو المزارع إلى منتجين مباشرين للسوق، وأصبحوا بالتالي أكثر ارتهاناً للعلاقات النقدية. وقد أسهمت عوامل متضافرة في تراكم الديون على الفلاحين والرهونات. وأهمها عجز الفلاحين عن دفع الضرائب المختلفة ورسوم الإعفاء من الخدمة العسكرية (حوالى الخمسين ليرة عثمانية ذهباً) والعوز الناجم عن الحرب العالمية الأولى. هكذا، نزعت منهم ملكيات الأراضي والأرزاق (من بيوت وطواحين وخلافه) لصالح ملاّك الأرض الكبار(١٢).

لا تسمح الوثائق بتتبع كامل عملية بناء الملكية الزراعية الكبيرة. ولكن نعرف مما تيسّر أن أولى الملكيات الزراعية التي اشتراها آل طرابلسي في مشغرة نفسها، والبائعون أراضيهم معظمهم من الشيعة. ويشير أقدم عقد بَيع في حوزتنا إلى شراء إلياس طرابلسي قطعة أرض من جاره في حارة الفوقا، الحاج علي عواضة. وسوف يصبح حفيده عقل عواضة الحليف الشيعي الرئيسي لحزبية آل طرابلسي المحلية وشريك شفيق طرابلسي في إدارتها بعد وفاة سليمان وعضو البلدية خلال فترة رئاسة شفيق.

أما أول قطعة اشتراها آل طرابلسي خارج البلدة فكانت في لوسيا «المزرعة» الواقعة جنوبي مشغرة حيث قدّم إلياس طرابلسي قرضاً مالياً لوجيه تلك القرية، أسعد جابر (أبو علي)، وساعده على أن يصبح مختاراً للقرية وجعل منه وكيله وشريكه فيها. وكان إلياس يدفع الميري والأعشار عن أبناء القرية في مقابل حصة من منتوج الأرض[١٣]. وبدأ إلياس طرابلسي شراء الأراضي في تلك المزرعة حسب وثائقنا سنة ١٨٦٤.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، أصبح آل رزق وآل طرابلسي يملكون قريتي ميدون ولوسيا بكاملهما، وذلك من خلال سلسلة طويلة ومتعرجة ومعقدة من عمليات الإقراض والرهن والشراء لقطع أرض صغيرة ومتوسطة وكبيرة، من كروم وجلول، مزروعة تبغاً وأشجاراً مثمرة بالإضافة إلى البيوت والطواحين. وفي ٢٥ أيار ١٨٩٧ وقّع إسكندر طرابلسي باسم عائلته وثلاثة ممثلين عن آل رزق اتفاقية تكرّر بنودها «اتفاقيةً» أبرِمتْ في العام الذي سبق، قضت بأن تتخلى كل عائلة إلى العائلة الأخرى عن حصة الأقلية التي تملكها في القرية حيث تملك العائلة الأخرى حصة الأكثرية. وهكذا صارت

لوسيا بكاملها ملكاً لآل طرابلسي وميدون بكاملها لآل رزق. وفي نهاية الأمر، وقّع ممثلو أهالي لوسيا في ٩ آب ١٨٩٧ إفادة يقرّون بموجبها بأن الملكية العقارية لقريتهم، بما فيها البيوت والمطاحن، تعود منذ ذلك التاريخ فصاعداً إلى أبناء إلياس طرابلسي، خليل وإسكندر وسليمان وجرجس. وكان الحدث مناسبة لزجلية نظمها الشيخ علي الزين، إمام المزارع المار ذكره، والأديب العضو في «رابطة أدباء جبل عامل» (توفي عام ١٩٣٦ عن ٧٢ عاماً) موجهاً كلامه إلى مختار القرية، أبو علي جابر. يقول الشيخ علي في زجليته:

يا بو علي، كانت لكم لوسيا
من مركبا لحوض بو نصّار
بِعْتوها بَيعة عَبِيد السُود
لا بدِرهم ولا بدينار[١٤].

على أننا سوف نعثر على عمليات بيع جديدة لأراضٍ وممتلكات في لوسيا بعد ذلك التاريخ بكثير. إذ ينص عقد بيع عام ١٩٣٢ على شراء سليمان طرابلسي نصف بيت عائد إلى حسين علي حسين وأخيه يوسف في تلك المزرعة بعد أن تملّك سابقاً نصفه الأول[١٥]. فإما أن هذه ممتلكات أُغفِلَتْ في العقد القديم أم أنها أملاك نشأت بعد توقيع ذلك العقد.

واستملك ورثة إلياس طرابلسي معظم الأراضي في مزرعتين أخريين هما عين التينة وقليا. وفي مرحلة لاحقة، دخل ضمن أرزاقهم جزء كبير من أراضي ميدون أعيد شراؤها من آل رزق، على الأرجح عندما تدهورت أحوال هؤلاء. ذلك أن وثيقة أخرى تفيدنا أن سليمان طرابلسي ورّث حصته في ميدون لإحدى بناته. بالإضافة إلى ذلك، تملّك آل طرابلسي حصصاً متزايدة من الأراضي في

باقي القرى والمزارع المجاورة، وخاصة في سحمر ويحمر ولبّايا وزلّايا ولبعا. وفي تموز ١٩٢٩، قدّم سليمان طرابلسي إلى أهالي قليا قطعة أرض ليشيّدوا عليها مسجداً، ما يدلّ ليس فقط على أن المزرعة قد باتت كلها ملكاً له، وإنما على أنها تفتقر أيضاً إلى أملاك وقف.

إلى آليات نزع الملكية المذكورة أعلاه، يجب إضافة دور السلطة السياسية في تلك العملية. ونقصد بذلك استغلال الوجهاء المحليين لعمليات مسح الأراضي (الطابو)، التي جرت في الأعوام ١٨٥٨ و١٨٨٠ و١٩١٣، من أجل وضع اليد على أراضي المشاع وأراضٍ أخرى. وقد جرى أيضاً استعمال سلطة الدولة لترجيح «حقوق» الوجهاء المحليين عندما كانت تنشب نزاعات بينهم وبين الفلاحين والمزارعين. في إحدى تلك الحالات، تقدّم داوود طرابلسي بشكوى ضد أهالي السريري وميدون الذين يرعون قطعان الماعز في مشاع لوسيا، فإذا بقائم مقام البقاع الغربي يوجّه تحذيراً إلى أهالي المزرعتين المذكورتين بالكفّ عن هذا الانتهاك تحت طائلة العقوبات القانونية[١٦]. وسوف يبقى استملاك ذاك المشاع مصدر نزاعات طوال عقود من الزمن إذ إن القرويين لم يقرّوا به ولا هم استسلموا للأمر الواقع. وبعد الاستقلال، سوف يتدخل وزير الزراعة، الأمير مجيد أرسلان، ليضع حراسة قانونية على الحرج المتنازع عليه في مشغرة والمزارع وذلك بناء على طلب من آل طرابلسي.

هل نجم عن تحوّل ممثلي رأس المالي التجاري إلى ملاّك زراعيين نشوء علاقات إنتاج جديدة بين المالكين وبين الفلاحين الشركاء؟
تؤكد ملاحظاتنا والوثائق أن علاقات الإنتاج ظلت تجري على الغرار السابق بوجه عام. ظلت المرابعة هي الشكل الرئيسي للعلاقات

الزراعية، وتحوّل قسم من المزارعين المالكين لقطع أرض صغيرة، ممن خسر أملاكه، إلى مرابعين على الأراضي التي باعوها تسديداً لديونهم أو تحصيلاً لرزقهم. أما نِسَب المحاصصة العائدة للمرابعين فكانت تتراوح بين نصف المحصول وربعه أو ثلثه أو حتى أقل من الثلث حسب اتفاق الشراكة وما إذا كان الفلاح يحصل على تقديمات نقدية أو عينية (بذار) أم لا.

أما شكلا الاستثمار الآخران فكانا:

١ ـ الضمان، حيث يدفع الفلاح أو المزارع مبلغاً من المال في مقابل حقه في استثمار الأرض لسنة واحدة والتصرف بكامل محصولها. ويجري الضمان على أشكال مختلفة حسب ظروفه: ضمان المحصول في أرض محروثة أو مزروعة، أو ضمان الأرض قبل الحراثة والزرع أو بعده؛

٢ ـ العمل المأجور، ومعظمه عائلي تلعب فيه النساء دوراً هاماً. وتؤكد وثائقنا على وجود مبكر للعمل المأجور في «المزارع». وأقدم وثيقة في حوزتنا بهذا الصدد تعود إلى العام ١٨٧٥، لكن الوثائق لا تقدّم لنا ما يكفي من البيانات لتقدير درجة انتشاره[١٧].

يمكن الاستخلاص مما لدينا من بيانات ووثائق ورسائل أن سليمان طرابلسي أخذ يعاني من مصاعب مالية عشية الحرب العالمية الأولى. ففي العام ١٩١٠ تجده يبلغ صهره أيوب طرابلسي، زوج ابنته ميليا، أنه مديون بمبلغ ألف وخمسمئة ليرة عثمانية ويطالبه بدفع كمبيالات نيابة عنه[١٨]. ولعلها تلك هي الفترة التي هاجر فيها الأبناء إلى الولايات المتحدة. وأخذ سليمان آنذاك يقترض من مصرفيي زحلة كما من الأقارب بمن

فيهم صهره الدكتور ميشال الصغيّر[١٩]. أما المناسبة الثانية التي يثير فيها سليمان طرابلسي مصاعبه المالية فهي ابتداء من العام ١٩٢٩ التي تصادف الأزمة المالية العالمية ومطلع الأزمة العالمية لاقتصاد الحرير الطبيعي. فتجد سليمان يكتب إلى شقيقته زهية، ولم يكن معروفاً أنها ذات يسار، طالباً منها أن تقرض ابن شقيقه شفيق إسكندر مبلغاً من المال بكفالته (راجع الملحق).

ومع أن سليمان طرابلسي كان لا يزال يشتري الأراضي في الثلاثينيات، إلاّ أنه من الواضح أن تلك الفترة آذنت ببدء تحلل الملكية الكبيرة. ها هم الأبناء يكتبون من المهجر مطالبين ببيع الأملاك في المزارع وشراء أراضٍ في مشغرة بحيث تنحصر أملاكهم فيها. وتدل وثائقنا على أن نسيب، الابن البكر المهاجر إلى أميركا، باع حصته من الأراضي في مشغرة. وأن ليلي التي ورثت أملاك لوسيا باعتها إلى آل أصفر السوريين الذين بدورهم باعوها إلى الفلاحين. وسوف تتسارع عمليات البيع خلال حروب ١٩٧٥ - ١٩٩٠ وبعدها.

هوامش

(١) الزيات، المصدر نفسه، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) **أرشيف س. ط.**، دفتر حسابات الشرانق، سنة ١٩٠٠.

(٣) **أرشيف س. ط.**، من الأرملة غِيْران وأبنائها إلى سليمان طرابلسي، القريّة، بحمدون المحطة، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٩؛ والفاتورة رقم ١٢٩ من المصدر ذاته، بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٩.

(٤) لم يكن آل طرابلسي ورزق ملتزمي أعشار الحرير بل أمين أفندي الصايغ (وهو صهر سليمان طرابلسي).

(٥) للمزيد عن الأنظمة الضرائبية في البقاع، يراجع عبد الله إبراهيم سعيد، **الأرض والإنتاج والضرائب في متصرفية جبل لبنان والبقاع، ١٨٦١ ــ ١٩١٤ ــ دراسة مقارنة في التاريخ الريفي استناداً إلى وثائق أصلية،** بيروت، دار الفارابي، سلسلة التاريخ الريفي ٢، ٢٠٠٣.

(٦) انظر: **أرشيف س. ط.**، «دفتر الحاصلات ومبيعها والبذار والقرفة، نومرو ٣، ١٩٤٣».

(٧) **أرشيف س. ط.**، عقد بين إلياس طرابلسي وأهالي قرية لوسيا، محرّم ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م. من أجل تكوين فكرة عن قيمة الفرضية، نذكر أن الميري المفروض على لوسيا للعام ١٨٨١ - وهي أقرب سنة نملك حولها أرقاماً - كان ٤٥٩١ قرشاً.

(٨) **أرشيف س. ط.**، عقد بين خليل طرابلسي والأخوين أحمد ومحمد حسين الحاج، مشغرة، ١٨ جمادي الأول سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣.

(٩) **أرشيف س. ط.**، عقد موقع بين حمود شبلي وإلياس طرابلسي، في ١٥ شعبان ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦.

يلزم ما بين ٨ و١٠ شجرات توت لإنتاج حمل واحد من الورق زنته ٥٠ رطلاً (أي حوالى ٧٥٠ كلغ تقريباً). تحمل شجرة التوت مرتين في العام ووحدها أوراق الموسم الأول تصلح لتغذية اليسروع. ومن أجل إطعام مجموع دود القز الذي تنتجه أوقيه بزر القز الواحدة، كان يلزم من بين ١٠ و١٢ حملاً من ورق التوت، أي ما يوازي إنتاج مئة شجرة توت.

(١٠) **أرشيف س. ط.**، عقد بين إلياس طرابلسي ونصار علي حسن، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٥ يقضي بتسليف الأول للثاني خمسة أمداد ونصف شعير ليزرعهم في

أرضه في لوسيا، والعقوبة على عدم زرعهم هي دفع خمسة عشر غرشاً عن كل مَدّ بعد انقضاء مهلة اثني عشر شهراً.

(١١) **أرشيف س. ط.**، عقد بتوقيع حمود شبلي، لوسيا، ٢٨ أيلول ١٨٦٩.

(١٢) سنة ١٩٢٨، كان آل طرابلسي يملكون أكثر من ٢١٥ قطعة أرض في مشغرة من أصل ما مجموعه حوالى ألف قطعة (**أرشيف س. ط.**، «دفتر جرد الأملاك من الأساس»، نمرو واحد، مداخيل أول تشرين الأول ١٩٢٨).

(١٣) الزيات، المصدر نفسه ص ١١٢ - ١١٣.

(١٤) كما وردت في: الزيات، **المصدر نفسه**، ص ١١٣.

(١٥) **أرشيف س. ط.**، عقد بيع، ١٧ تشرين الأول ١٩٣٢.

(١٦) **أرشيف س. ط.**، مذكرة قائم مقام البقاع الغربي، ٢٦ كانون الأول ١٨٨٨.

(١٧) **أرشيف س. ط.**، إيصال بأجرة عمال مياومين في أرض إلياس طرابلسي في لوسيا، في ٢٠ أيار ١٨٧٥.

(١٨) **أرشيف س. ط.**، سليمان طرابلسي إلى أيوب طرابلسي، مشغرة ١٠ كانون الأول ١٩١٠. راجع نص الرسالة في الملاحق.

(١٩) في ١٦ أيار ١٩٢٥.

الفصل الرابع

المحسوبيّة أو التبادُل المتفاوِت للخدمات

شبكة المحسوبية

هي شبكة مثلثة الأطراف يحتل الوجيه واسطة العقد فيها. فهو أولاً قيدوم عائلته يدير علاقاتها والعائلات الحليفة في مشغرة ويربط بين حزبيته العائلية وبين الوجهاء والوكلاء في المزارع المجاورة من جهة وبين الوجهاء والساسة والنواب وموظفي سلطات الانتداب والدولة اللبنانية من جهة ثانية. وتقوم هذه الشبكة على مجموعة من العلاقات التراتبية البالغة التنوّع والتعقيد.

الحزبية العائلية

تشتمل الحزبية العائلية التي يتربع على رأسها سليمان طرابلسي، وتسيطر عملياً على السلطة في البلدة، على عائلات أبو خليل والدبس والحاج وأبو عراج وبارود والبطل وغزال، تناصرها عائلة

الشايب الشيعية. وفي ظل سيطرة تلك الحزبية، ظلت رئاسة المجلس البلدي لعشرين سنة معقودة لشفيق طرابلسي، ابن شقيق سليمان، وقد خلفه فيها لفترة نسيب أبو سمرة طرابلسي، صهر سليمان المتزوج من ابنته جولي، ووكيل أعماله. إلى هذا، فالوجيه يعيّن أيضاً النواطير والمخاتير في البلدة والمزارع مع ما يستتبعه ذلك من إشراف فعلي على كامل نشاطات هؤلاء، بما في ذلك التحكّم بتوزيع مياه الريّ. وسوف يبقى الحاج حسين عواضة، زعيم عائلة الشايب، مختاراً للحارة التحتا لمدة ثلاثين عاماً بينما توارث آل الغزال، وهم عائلة من الإسكافيين الكاثوليكيين، المخترة في الحارة الفوقا لفترة طويلة من الزمن.

اللفيف العائلي وخصومه

في الأصل، نمت الزعامة الطرابلسية على حساب حزبية آل رزق. وهم عائلة من مالكي الأرض الكاثوليك. وفد عميدهم نجيب رزق من جب جنين وكان تاجر أقمشة ثم استقرّ في البلدة ومارس التجارة والربا وشراء الحبوب وشرانق الحرير. ومن خلال تلك النشاطات، تمكن آل رزق من استملاك القسم الأكبر من مزرعتي ميدون ولوسيا وعدد من قطع الأرض في مشغرة ذاتها. على أن آل رزق، وهم فرع من آل إبراهيم، ما لبثوا أن فقدوا موقعهم الاجتماعي والثروة لصالح آل طرابلسي، وسرعان ما تحالفوا مع هؤلاء وصاهروهم، ما أدى إلى تمركز كبار المالكين الزراعيين داخل حزبية واحدة ولكن بقيادة آل طرابلسي. إزاء هذا الانقلاب في موقع آل رزق، انتقلت قيادة حزبية آل إبراهيم إلى فرع ناصيف فباتوا المنافسين التقليديين لآل طرابلسي. وآل إبراهيم عائلة من صغار مالكي الأرض والتجار والحرفيين والمكاريّة، تلتفّ حولهم عائلات الصايغ وغطاس وبارود ورقّول وأبو غنّام، وجميعهم من الكاثوليك،

وقد انضمت إليهم عائلات أرثوذكسية (آل الحجار) وبروتستانتية (آل حبوش) ومارونية (آل كرم) وحالفهم في الحارة التحتا آل فخر الدين، خصوم آل الشايب.

أما السمات البارزة للانقسام السياسي المحلي فيمكن إجمالها على النحو الآتي:

١ - تمحور الاستقطاب الرئيسي داخل البلدة، أول الأمر، على الوظيفة الاقتصادية الرئيسية أي الزراعة. وكان قطبا الاستقطاب عائلة تستمد نفوذها وقوتها من ملكية الأرض، في مقابل عائلة تعتمد على المال بالدرجة الأولى. أما انقسام العائلات الموالية بين هذه الحزبية أو تلك فيصعب إعطاء تفسير وافٍ له. إلاّ أن أربعة عوامل تفعل فعلها فيه: الجوار، والمهنة، والموقع الاجتماعي والمصاهرة. كان حيّ الخان بؤرة الحزبية المناوئة لآل طرابلسي تسكنه عائلات حجّار وإبراهيم وكرم. وكما العادة، يندغم الجوار بالموقع الاجتماعي والمهني، حيث إن سكان الحي يغلب عليهم الطابع الحرفي وهم أقل يسراً من سكان حي آل طرابلسي ولفيفهم الساكنين حول نبع الضيعة والكنيسة. يضاف إلى هذا علاقات المصاهرة بين العائلات الثلاث المذكورة. ومعلوم أن آل حجار وآل إبراهيم تحوّلا من الكثلكة إلى الأرثوذكسية كفعل احتجاج وتوكيد هوية ضد الزعامة الطرابلسية. ففي بنائهم كنيستهم الأرثوذكسية وسكناهم حولها، تحوّل فعل الانشقاق المذهبي إلى توكيد لهوية سياسية - اجتماعية متمازية عن المسيطرين على مقدرات البلدة الاقتصادية والسياسية. من جهة أخرى، تبدو أهمية الجوار والمصاهرة بيّنة في الانقسام الشيعي إذ إن عائلة الشيّب بزعامة آل عواضة - والتي تضم أجباب شرف ورضا ومحيدلي - تسكن حارة الفوقا وحي الصهاريج وهو

الحي الذي يتجاوز حارة التحتا على الضفة الأخرى من نهر الشتا، فيما آل فخر الدين ولفيفهم يسكنون الحارة التحتا بنوع خاص.

٢ - شكلت سيطرة آل طرابلسي الاقتصادية على المزارع مصدراً إضافياً من مصادر تعزيز سلطة العائلة، ومعها حزبيتها المحلية، داخل مشغرة ذاتها. وذلك بمعنيين اثنين: اقتصادي من جهة وسياسي من جهة ثانية. إذ كان دور تلك العائلة في التوسط بين سكان المزارع والسلطة المركزية (في مركزيها البقاعي والبيروتي) سبباً أساسياً في اتكالهم عليها ودورانهم في فلكها.

٣ - كانت الحزبيتان العائليتان مختلطتين من الناحية الطائفية. على أن مركز الثقل والقيادة في كليهما كان معقود اللواء للمسيحيين في البلدة كما في المزارع. وبين المسيحيين كانت القيادة للكاثوليك دون سائر المذاهب، أي الأرثوذكس والموارنة والبروتستانت.

«المَزارع»

ينتظم المحاسيب في الحزبية العائلية داخل شبكة تراتبية من الوسطاء والوكلاء والحلفاء من سكان المزارع (الذين هم أعيان قراهم ومزارعهم أم أنهم لا يلبثون أن يتحولوا بدورهم، بسبب من علاقتهم برأس الحزبية العائلية في مشغرة، إلى وجهاء يفرضون أنفسهم على قراهم والمزارع). ارتكزت الحزبية الطرابلسية على حلفاء نافذين في المزارع. أبرزهم الشيخ علي الزين، إمام «المزارع»، الذي كان خلال فترة طويلة شريك آل طرابلسي في تبغ قليا وهو مالك أكبر رخصة لزراعة التبغ في المزارع تبلغ حوالى ٩٠٠٠ متر مربع، حسب قيود سليمان طرابلسي ذاته[1]. إلى الشيخ علي،

يضاف الشيخ حمود شبلي وأسعد جابر في لوسيا والشيخ نجيب الخشن في سحمر. وكان هؤلاء يلعبون دوراً مزدوجاً في علاقتهم بالوجاهة المشغرانية فهم وسطاؤها لدى فلاحي قراهم والمزارع، خاصة في ما يتعلّق بالخدمات والوساطات، من جهة، وهم من جهة ثانية، المدافعون عن مصالح هؤلاء الفلاحين تجاه آل طرابلسي ورزق وفي مواجهتهم إذا اقتضى الأمر.

أضف إلى هؤلاء الوكلاء ومديري الأعمال في المزارع من أهل مشغرة المنتمين إلى العائلات المسيحية الحليفة لآل طرابلسي، أمثال آل الحاج وآل أبو غنّام، ممن نشاهد تواقيعهم على الصكوك والسندات والحجج بما هم شهود حال.

زحلة

على الصعيد المناطقي، كان لسليمان صلة بشبل دموس، الشاعر الزحلي والنائب عن البقاع، تأتي على ذكرها وثائقنا مرة واحدة فقط. ويرد في وثائقه مرة واحدة اسم إبراهيم أبو خاطر من وجهاء الكاثوليكيين التقليديين. على أن علاقته المميّزة في زحلة كانت مع موسى نمور وتالياً مع إلياس طعمه السكاف.

موسى نمور صحافي ونائب ينتمي إلى عائلة تجارية مارونية مالية متوسطة الحال. ارتبط باكراً بالانتداب الفرنسي وانتخب رئيساً لمجلس المندوبين، الهيئة التشريعية السابقة على قيام المجلس النيابي العام ١٩٢٢ وقد شغل فيما بعد عدة مناصب وزارية منها وزارتا المالية والداخلية خلال الأعوام ١٩٢٨ و١٩٢٩ و١٩٣٧ و١٩٤٢. وتوفي موسى نمّور عام ١٩٤٦[2].

أما إلياس طعمه السكاف فنائب كاثوليكي اشتهر في بداية القرن على أنه السياسي الزحلي الذي ناهض احتكار وجهاء «العائلات السبع» لتمثيل البلدة سياسياً ونجح في استقطاب جمهور عاميّ كاثوليكي واسع إضافة إلى الأقليتين المارونية والأرثوذكسية في البلدة. ولجأ طعمه السكاف إلى أسلوبين جديدين، مما جعل منه نموذجاً للسياسي الذي يبني زعامته على الخدمة والتنفيع.

أولاً، لافتقاره إلى قاعدة اجتماعية تقليدية، ركيزتها ملكية الأراضي، راح طعمة يكوّن لنفسه شعبية من خلال الاستخدام المكثَّف للمال وتأدية الخدمات الشخصية والعائلية لاستقطاب الناخبين.

ثانياً، امتاز إلياس طعمه على منافسيه في زحلة بشعبيته في قرى البقاع الإسلامية. وقد استند إلى تلك الشعبية لتأمين تفوّقه على خصومه المحليين.

بدأ طعمه السكاف حياته العملية وكيلاً لآل سرسق البيروتيين على ملكيتهم الكبيرة في منطقة عمّيق، جنوبي قب الياس. وكانت تلك المنطقة في الأساس مليئة بالمستنقعات منحتها السلطات العثمانية لنجيب سرسق عام ١٨٩٥ لاستصلاحها، فأنفق مبالغ كبيرة من المال لتجفيفها وتنظيفها وتوصل إلى استصلاح أربعة آلاف دونم من الأراضي البالغة الخصوبة. وقد توصل إلياس السكاف مع الوقت إلى تسجيل القسم الأكبر من أراضي عميق باسمه بما هو دائن لآل سرسق. وتقول رواية شائعة في المنطقة إن معظم تلك الديون كانت ديون قمار. سياسياً، كان السكاف يتأرجح بين تأييد الانتداب ومعارضته. وقد وقف في صف جماعة الانتداب خلال المنافسة على الرئاسة بين إميل إده وبشارة الخوري سنة ١٩٣٧. وهو

صاحب الصوت الأوحد الشهير الذي رجّح كفة إده على الخوري في تلك الانتخابات. ويقول الخوري في مذكراته إن سلطات الانتداب استمالت السكاف إلى صف إده في اللحظة الأخيرة بعد أن وعدته بتسجيل أملاك عمّيق باسمه[٣].

الجنوب

من جهة أخرى، يجدر التوقف عند استمرارية التحالفات بين وجهاء مشغرة ووجهاء الشيعة والدروز من أبناء الأسر التي مارست نفوذاً ما على البلدة والجوار عبر التاريخ. في الجنوب، كان سليمان طرابلسي حليفاً لآل الأسعد. ولنتذكر أن شقيقه داوود عمل لفترة سكرتيراً لكامل بك الأسعد. وقد أمّن هذا التحالف لسليمان مقداراً لا يستهان به من النفوذ على مسلمي البلدة والمزارع. لكن هذه العلاقة القديمة مع زعماء الطيبة الوائليين لم تحل دون انعقاد علاقات وتبادل خدمات مع منافسيهم آل الزين في جبشيت والنبطية. يشهد على تلك العلاقة أقلاً تبادل البرقيات في المناسبات.

المختارة

على المنقلب الآخر من جبل لبنان، كان لآل طرابلسي علاقات مميزة وقديمة مع آل جنبلاط، كما أسلفنا، زمن عميد العائلة، إلياس طرابلسي. وإذا كنا لا نملك رسائل ومدوّنات عن تلك العلاقة فإننا نعرف أنها عادت وترسخت على قواعد جديدة خاصة بعد الاستقلال. فسوف ينجذب كثيرون من أهل مشغرة من محازبي آل طرابلسي، والمقيمين في بيروت منهم خصوصاً، إلى الزعامة الجنبلاطية المتجددة بقيادة كمال جنبلاط. وقد كان فؤاد رزق، ابن الأسرة الحليفة لآل طرابلسي والمحامي المقيم في بيروت بعد انتقاله إليها من زحلة، في عداد مؤسسي الحزب التقدمي الاشتراكي عام

١٩٤٩، وظل لفترة عضواً في لجنة الحزب الإدارية. وجرياً على ذلك، انضم عدد من آل طرابلسي المقيمين في بيروت إلى الحزب أمثال تاجر الجلود من جب أبو سمرا الذي انتقل إلى القطاع الفندقي أو ذاك الموظف في وزارة الداخلية الذي التحق مفتشاً في الأمن العام وفرزه كمال جنبلاط لسنوات مرافقاً شخصياً له. وقد مارس كمال جنبلاط تأثيراً متواصلاً على الطريقة التي يقترع بها آل طرابلسي وجمهورهم الانتخابي في مشغرة في الانتخابات النيابية. ويذكَر تدخّل شهير لكمال جنبلاط شخصياً لدى آل طرابلسي للاقتراع لشبلي العريان في انتخابات العام ١٩٦٢ علماً أن مسيحيي مشغرة كانوا سلبيين جداً تجاه العريان لتعدياته الكثيرة على المسيحيين خلال ثورة العام ١٩٥٨. وعلى الرغم من ذلك، فقد لبّى العديد من أبناء الحزبية الطرابلسية دعوة الزعيم الجنبلاطي وصوّتوا للعريان.

العاصمة

رأس مال الوجيه المحلي هو علاقاته بالخارج. إضافة إلى علاقاته بالسياسيين، كانت لسليمان سلسلة من العلاقات السياسية المقامة مع المركز، مركز المحافظة أو العاصمة. نجد أن سليمان طرابلسي كان واسع الصلات أولاً بأول مع عدد من كبار موظفي الانتداب، أمثال بريفا أوبوار A. Privat Aubouard الحاكم بالوكالة لدولة لبنان الكبير إضافة إلى عدد لا يستهان به من الموظفين الإداريين الوطنيين من مختلف المستويات. من هؤلاء مدير ناحية مشغرة ذاتها، إميل مشاقة، وإن تكن العلاقة بينهما لم يسدها دائماً الوئام، وسليم تقلا، «متصرف لواء البقاع» كما كان يسمّى المحافظ آنذاك، ومأمور بريد وتلغراف زحلة، وجادرجيان مغرديج، رئيس تحريرات الديون العمومية، وكنعان الضاهر، الوجيه والقائم مقام السابق

لقضاء جزين، وناظم عكاري، رئيس دائرة في محافظة لبنان الشمالي، إلخ. ولا تقتصر العلاقات بالخارج على مثل هذه العلاقات السياسية والإدارية، فقد كانت لسليمان صداقات موزعة عبر البلاد مع وجهاء وأعيان تمتد من راشيا إلى دير القمر فطرابلس، تتضمن تبادل الزيارات والضيافات ولكنها علاقات قابلة للتوظيف في تبادل الخدمات عند الضرورة.

٢ ـ وَجْهَا عملية الوساطة

في وثائقنا تعريف بالغ الدلالة والدقة لنظام المحسوبية يبيّن بوضوح وجهيه المتناقضين والمتكاملين. في استدعاء موجّه إلى الحاكم العسكري العثماني لمنطقة البقاع بتاريخ ٣١ آذار ١٢٩٢هـ/١٨٧٦م، يحتج وجيها مشغرة فارس رزق وإلياس طرابلسي على وجود وحدة خيالة ترابط في قرية لوسيا عند أحد وكلاء المالكيْن لشغل طريق الكرّوسة ودفع أموال الويركو فيطالبان بتحويل مرابطة الوحدة واكلاف إعالة أفرادها على الأهالي لأنهم المعنيون بالأمر. وفي استدعاء آخر مرفوع إلى قائمقام البقاع الغربي بتاريخ العام ١٨٧٢ من داوود طرابلسي يستجيب له القائمقام فيصدر أمراً إلى أهالي قريتي الصريرة وميدون بوقف رعي طروشهم في مشاعات وأراضي قليا، وقد باتت في معظمها ملكاً لآل رزق وآل طرابلسي.

يعرض هذان المطلبان وجهاً آخر للوجاهة المحلية في علاقتها بالسلطة. فلا يكتفي الوجيه بتمثيل محسوبيه لدى السلطات وانتزاع الخدمات والتنفيعات لهم منها والدفاع عنهم في وجه السلطات، كما سوف نشاهد أدناه، وإنما هو يستعين بالسلطة من أجل فرض احترام مصالحه بما هو مالك للأرض في وجه محسوبيه بما هم فلاحون ورعاة. وفي هذه العملية المزدوجة، «يمثل» الوجيه مصالح

أنصاره في وجه السلطة ويستخدم نفوذه لدى تلك السلطة ليفرض مصالحه هو على أنصاره.

فهل من مثال أوضح لمقاربتنا النقدية لمفهوم المحسوبية من هذا المثال العيني الموثق؟ وإذا كنا ننعت مقاربتنا للمحسوبية بأنها مقاربة نقدية فلأنها ترفض الركون إلى المفهوم الشائع عن الوساطة والمحسوبية بما هما عملية تبادل متساوية بين طرفيها تتخطى التفاوت الاجتماعي بينهما. فها نحن أمام وثيقة تؤكد التداخل والتشابك بين الأفقي والعمودي وكيف أن شبكات المحسوبية والتنفيع تبقى محكومة بالمصالح الاقتصادية والسياسية لطرفيها التي تحل في نهاية المطاف، لصالح من يقبع على رأسها(٤).

تقوم العلاقات بين الوجهاء وجمهورهم على تبادل خدمات. على أن عملية التبادل هذه متفاوتة أشدّ التفاوت كما سوف نتحقق فيما يلي.

التصوّرات الإيديولوجية أو انقلاب الأدوار

يستحق دور الإيديولوجيا والتصورات في نظام المحسوبية أن نتوقف عنده بعض الشيء.

في الأحوال العادية، أي تلك التي لا تنمّ عن تأزم حاد، ينمّ طرفا التبادل ـ الوجهاء والجمهور ـ عن مقدار لا بأس به من الاقتناع بأدوارهما والمواقع. لكن هذا الاعتقاد، عندما يعبّر عن نفسه، ليس مجرداً من التوهّم والإيهام. فالوجيه يصوّر نفسه على أنه يساعد جمهوره على تحسين أوضاعهم، والجمهور يتصوّر أنه مدين للوجيه لاستحصاله على عمل ووظيفة إدارية أو ترقية، كما هو مدين له

بالخدمات العامة التي تقدمها الدولة للقرى المعنية (طرقات، شبكات مياه وكهرباء، ومدارس رسمية، وما شابه).

والحال أن نظام المحسوبية القائم على ممارستي الخدمة والوساطة ينفي مبدأ الحقوق المدنية ويحجبها في آن معاً. فكل ما يحصل عليه المواطن يعزوه لتدخل شخصيّ من متنفّذ حصّله له تحصيلاً. إننا إذاً في إزاء تكرار لمبدأ «الشراكة» الزراعية التقليدية التي يقوم عليها نظام المرابعة اللبناني، ذلك المبدأ الذي يدّعي وجود معاملة بالمثل متكافئة ومتساوية بين طرفيه «الشريكين» ويؤسس بالتالي للالتباس الحاصل في عملية التبادل بين الوجهاء وجمهورهم.

فمن هو المستفيد من تبادل الخدمات هذا؟ بل كيف هو التراتب في عملية تبادل الخدمات تلك؟

في التصوّرات الإيديولوجية، تكمن كل براعة التصوير في تمويه المصالح الحقيقية وفي إظهار انعدام التكافؤ وكأنه كفاءة وتصوير اللامساواة في النتائج التي تسفر عنها عملية الوساطة على أنها مساواة. وتصل الأمور أحياناً إلى الانقلاب الكامل في الأدوار، فيصوّر الزعماء أنفسهم بما هم خدّام لدى الوجهاء المحليين مسرفين في استخدام لغة التباهي والمبالغة الريفية.

قليلة هي الوثائق التي تسمح لنا بتشخيص الأسلوب الذي يقدّم به سليمان طرابلسي نفسه إلى جمهوره. على أننا نستطيع أن نتبيّن بسهولة ـ من خلال الرسائل التي يتلقاها من زبائنه المسيحيين، خصوصاً زبائنه في مشغرة ـ أنهم يعاملونه باحترام أبوي يعكس البنية العشيرية البطريركية للعلاقات الاجتماعية بما يتضمنه ذلك من

افتتاح المراسلات بتقبيل اليدين وما شابه. إشارة واحدة في إحدى رسائله إلى صهره ووكيله نسيب أبو سمرة تشي بتصوّر سليمان طرابلسي نفسه لدوره بما هو مقدّم خدمات، إذ يقول له فيها: «ومعلومكم أننا لا نقدر نردّ طلب أحد»(٥).

هذا الشعور بالواجب بل بالقدرية، كأنه تكرار للكيفية التي بها يقدّم الزعيم المناطقي نفسه للوجيه المحلي. تفيدنا المراسلات الصادرة عن المستفيدين الكبار من شبكات الوساطة والتنفيع غير المتكافىء أن زعماء المنطقة والمركز، يجهدون لتصوير أنفسهم على أنهم لا أكثر من خدّام متواضعين لدى الوجيه المحلي وجماعته. في رسالة موجهة سنة ١٩٢٨ من نائب المنطقة إلياس طعمه السكاف إلى سليمان طرابلسي عبارة بالغة الدلالة يوردها السكاف بعد تقديم كشف عن مصير جملة من الخدمات المطلوبة منه فيقول:

> «رجوتك قبلاً عندما تحرّر لي لا لزوم للتبجيل والتكريم لأنه فَرْضٌ واجبٌ على كل شخص منا أن يتمم أوامركم مع الشكر والمنّة راجياً تقديم احترامي إلى العائلة الكريمة مع تشريفي بكل خدمة تلزم...»(٦).

في عملية انقلاب الأدوار هذه، يصير الوجيه المحلي في البلدة النائية هو السلطة العليا التي تُصدر الأوامر لكبار زعماء المنطقة في مركز المحافظة، بديلاً من العكس. في المعنى ذاته، تصير الخدمة التي يطلبها الوجيه المحلي من الزعيم المناطقي بمثابة التشريف لهذا الأخير. يذهب موسى نمّور إلى أبعد من ذلك في عملية القلب الإيديولوجي للأدوار بين خادم ومخدوم. فلا يكتفي النائب الزحلي ورئيس المجلس التمثيلي والوزير بأن يتواضع ويعلن امتثاله لطلبات الوجيه المحلي، وإنما يؤكد أن ذاك الوجيه خيرٌ عنده ألف مرة من سائر

الحكّام والسياسيين في الجمهورية اللبنانية قاطبة! خلال زيارة وفد من أنسباء سليمان من أهالي كفرحونة، يستغل موسى نمور المناسبة ليعلن أمامهم:

> «عندي ثلاثين نائب منتخب وخمسة عشر نائب معيّن كلهم على رِجلي لا يعلقون عند كلمة من سليمان أفندي»(٧).

كما هو واضح من النص، كان موسى نمّور آنذاك رئيساً للمجلس التمثيلي وهو الصيغة الأولى للمجلس النيابي مطلع الانتداب. تعطي إشارته إلى النواب بما هم من «عندياته» فكرة عن النمط اللاتمثيلي لتصوّر نمور لمجلس هو أشبه بمزرعة يملكها الرئيس ويسوس من فيها.

خدمات ومبادلات

ما هي الخدمات التي يقدمها الوجيه المحلي لجمهوره؟ ما هي الطلبات التي يطلبها الجمهور من زعيمه؟ ما هي طبيعة الخدمات المطلوبة والمتبادلة بينهما؟ كيف تعمل شبكة الخدمة والوساطة في هذه الحالات؟

١ ـ خدمات الوجيه المحلي إلى جمهوره

تجري هذه الوساطات والخدمات على أشكال مختلفة.

أولاً، الخدمات الشخصية والعائلية، ومنها مثلاً التدخل في صوغ تقارير طبية لدى أطباء من أقربائه (في الحالة المذكورة، صهره الدكتور صغيِّر).

ثانياً، الخدمات التي يقدمها الوجيه المحلي من خلال صلاته المباشرة بنافذين من لفيفه أو بمتنفعين محليين أو مركزيين أو بالموظفين والعسكريين. منها نقل عسكريين، ونقل نفوس من قرية إلى قرية،

والتدخل لتعيين مختار في لبّايا.

ثالثاً، الخدمات التي يستحصل عليها الوجيه المحلي من خلال الزعيم المناطقي بما فيها تدخلات هذا الأخير لصالحه وصالح محسوبيه لدى الإدارات الحكومية.

قبل الحديث عن الخدمات العينية المادية المباشرة التي يقدّمها الوجيه المحلي، يجدر الحديث عن خدماته الرمزية إذا جاز التعبير ونقصد بها دور المرجعية الذي يمارسه تجاه عائلته ولفيفه وتجاه العائلات الحليفة. إنه أول الأمر رب الأسرة الطرابلسية الموسعة يستشار في كل شأن من شؤونها. وهو يتوسط بين أطراف تلك العائلة الموسعة. بالطبع تجري معظم تلك الوساطات شفهياً. إلاّ أنه يوجد بعض الآثار المكتوبة عنها كما في إحدى رسائله إلى شقيقته وصهره، يطلب ديناً لابن شقيقه شفيق إسكندر طرابلسي وقد مرّ ذكرها. ومن جهة أخرى، هذا أحد أصهرته يستشيره في رسائله في شأن شراء أرض.

القسم الأكبر من مراسلاته مع أبنائه وبناته وأصهرته وأنسبائه في المهجر تدور مدار تبرعات للنفقات الانتخابية والسياسية أو لدفع رسوم المساحة أو الإنفاق على مشاريع بناء، كبناء عبّارات فوق المياه أو شق وبناء الطرقات في مشغرة وفي حيّ آل طرابلسي خصوصاً ومن مشغرة نحو الخارج. فهذا مرسلٌ الأموال لتبليط الكنيسة. وذلك متبرّع لشق طريق يلي بيوت آل طرابلسي وآخر لشق وبناء طريق مشغرة ـ كفرحونة حيث الفرع الآخر من العائلة. وهناك من تبرّع أيضاً بطريق يصل مشغرة بالطريق العام إلى جزين. وفي كل هذه الأحوال، تجد سليمان طرابلسي إما مستدعياً التبرّعات، مذكّراً بضرورة دفعها أو مقرّاً بوصولها مبيّناً سبل إنفاقها[٨].

لدينا المزيد من الآثار المدوّنة عن دور سليمان طرابلسي المرجعي لدى اللفيف من العائلات النسيبة أو الحليفة. فهذا أحد المحسوبين من آل الغزال يستشيره في شراء قطعة أرض لابتناء مطحنة في منطقة الحازمية، شرق بيروت، ويعوزه المال وهو يشتكي الفقر والعوز وحاجته للعمل وينعى عدم إقدام أحد من أهالي مشغرة على مساعدته. في حالتين، على الأقل، ثمة من يستشير وجيهنا في شؤون سياسية. يستمزجه المحامي فؤاد رزق في مشروع ترشيحه للنيابة[٩]. ويبعث إليه حليفه الشيخ علي الزين، إمام المزارع، على نحو سرّي بنسخة من رسالة وجهها إليه الشيخ علي عبد القادر القادري، أحد وجهاء القرعون، يعرض فيها على الشيخ علي الترشح معه على لائحة عبد الله رزق في انتخابات مجلس الإدارة في ١٦ آذار ١٩٣٠، أي بعد ١٨ يوماً من استلام الرسالة[١٠].

إلى هذا فالوجيه المحلي هو صلة الوصل بين العالم الخارجي والبلدة. يكتب إليه مغتربون للاستفسار عن قريب أو صديق أو للسؤال بشكل عام عن أحوال البلدة. هذه خادمة سابقة سافرت إلى مصر تستفسره أحوال الضيعة. وذاك أحد أبناء الحارة التحتا يتفجّع على صديقه نقولا طرابلسي، ابن شقيق سليمان، المتوفى حديثاً وقد رصّع رسالته بأبيات رثاء لعلها من عنديّاته وبلّل ورق الرسالة بدموعه (انظر صورة الرسالة ونصّها في الملحق). والوجيه المحلي مرجع للتعريف برجال الأعمال في البلدة. في رسالة من المصرف الزحلي «سكاف وحرب»، يطالبه مدير المصرف بالتعريف بالقدرات المالية لعدد من طالبي القروض أو حاسمي السندات من أهالي مشغرة[١١].

٢ ـ الوساطات والخدمات المتبادلة مع رجال الدين

لا يخلو الأمر من دور لرجال الدين في شبكة الوساطة والمحسوبية

التي يتوسطها سليمان طرابلسي. ونقصد بذلك رجال الدين من كافة الطوائف والمذاهب. وسوف نتابع دور رجال الدين الشيعة المباشر في الشؤون الزراعية والسياسية. لكننا نتوقف هنا عند مراسلات رجال الدين المسيحيين في شؤون لا يكتسب معظمها طابعاً سياسياً أو اقتصادياً.

عدا عن المجاملات المألوفة، والشكر على الضيافة من مطران زحلة للروم الأرثوذكس، نيفن سابا[١٢]، يطالب رجال الدين بخدمات ويسدون خدمات. هذا رجل دين خدم في البلدة وغادر، يطالب بدين له في ذمة أحد أقارب سليمان[١٣]، وهاك المطران كيرليس، مطران زحلة والفرزل والبقاع، يطالب سليمان بمساعدة أرملة على أخذ ميراثها في عيتنيت[١٤]. والوجيه المحلّي هو أيضاً مرجع الشكاوى. فهذا افتيموس، مطران الفرزل وزحلة والبقاع، يطالبه بالاجتماع إلى رجال الدين الكاثوليكيين في مشغرة لحل إشكالات لا يفصح عنها[١٥]. وذاك رجل دين إنجيلي يحتج إليه على مسرحية جرى تمثيلها في المدرسة (ولعلها مدرسة كاثوليكية) وبدر فيها ما اعتبره القسّ دليلاً على الـ «تعصّب الخليق بأن يكون الزمن قد عفا عنه»، والأرجح أنه يتحدث عن تعصب ضد الإنجيليين[١٦].

ويقدّم رجال الدين هم أيضاً خدمات. لعل أبرزها دور الضمانة الذي كانوا يلعبونه أيام السلطنة العثمانية. في رسالة موجهة من نيقلاوس، مطران زحلة للروم الكاثوليك، إلى اثنين من وجهاء مشغرة، داوود طرابلسي وسليم الصائغ، يفهم منها أنه يتوسّط مع والي البقاع الذي يصرّ على استدعاء متهمين بخلاف مع أستاذ في البلدة هم مخايل وبولس وإسكندر طرابلسي وسليمان أبو عبيده. يصرّ الوالي على استدعاء المتهمين للتنبيه عليهم وأخذ كفالة منهم

بعدم تكرار فعلتهم مع ضمانة أن يتولى المطران الإتيان بهم إلى حضرة الوالي والعودة بهم إلى بلدتهم ـ بديلاً من استدعائهم على يد القائمقام ـ وذلك كضمانة لعدم تعرضهم لأي أذى أو إهانة أو لحجز حريتهم[١٧].

٣ ـ خدمات الوجيه المحلي إلى الزعيم المناطقي

يقدّم وجيهنا المحلي إلى الزعيم المناطقي ـ إلياس سكاف أو موسى نمّور، في هذه الحالة ـ الدعم السياسي والانتخابي من خلال حزبيته المحلية في القرية والمزارع الدائرة في فلكها. في رسالة مؤرخة بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٢٦، يشكر السكاف سليمان طرابلسي صراحة على دعمه في الانتخابات الأخيرة. من جهة أخرى، هناك خدمات يطلبها الزعيم المناطقي بدوره من الوجيه المحلي ويلبّيها هذا الأخير. في إحدى المناسبات، يطلب السكاف من طرابلسي أن يلزم أحد محسوبيه، نايف عبّودي، دفع ثمن حطب للتدفئة اشتراه من آل سرسق في عمّيق بمبلغ أربعة آلاف قرش ولم يسدّد بعد الثمن[١٨]. الخدمة مهمة بالنسبة لإلياس سكاف لأنه وكيل آل سرسق. وفي مناسبة ثانية، يتدخل الزعيم المناطقي لدى الوجيه المحلي من أجل أداء خدمة أبناء المنطقة ممن لجأ إليه مباشرة. ولا يبدو أن الشخص المعني في عداد حزبية سليمان طرابلسي وقد قصد موسى نمّور طالباً تدخله لدى سليمان ليمنحه هذا الأخير رخصة بناء من بلدية مشغرة كان قد رفضها له[١٩].

٤ ـ خدمات الزعيم المناطقي إلى الوجيه المحلي

في المقابل، فإن الخدمات التي يقدمها الزعماء المناطقيون إلى الوجيه المحلي يمكن تقسيمها على النحو الآتي على ما أمكن إحصاؤه من المراسلات التي بين أيدينا:

أ ـ تعيين ونقل وترقية موظفين حكوميين

وقد أحصينا في وثائقنا الحالات الآتية:

- تعيين دركيين: ٥ حالات.
- تعيين مدرّسين في التعليم الرسمي: ٦ حالات.
- تعيين سعاة بريد: حالتان.
- تعيين موظفين في الإدارة المركزية أو المحلية (زحلة): حالة واحدة على الأقل.
- تعيين مخاتير في القرى المجاورة أو تجديد صلاحياتهم بواسطة مراسيم إدارية.
- تعيين رؤساء بلديات أو التمديد لهم. مثالاً على ذلك قرار موسى نمّور بصفته وزيراً للداخلية تجديد ولاية إلياس طرابلسي، أحد أنسباء سليمان، في رئاسة بلدية كفرحونة[٢٠].

ب ـ الوساطات لدى القضاء

والمقصود بها تدخل النافذين لدى المحاكم من أجل تخفيف أحكام الجنح والجرائم الصادرة في حق المحسوبين على سليمان طرابلسي. ويقع هذا التدخّل على نوعين. النوع الأول، يسخّر سليمان علاقاته مع محامين في بيروت من حلفائه أو معارفه لمساعدة المعتقلين المتّهمين بمثل تلك الجنح والجرائم. والمحامون الواردة أسماؤهم في المراسلات هم فؤاد رزق وملحم خلف ووديع موسى حداد.

أما النوع الثاني من التدخل فهو تدخل النافذين من السياسيين من أجل إطلاق سراح معتقلين أو تخفيف أحكام القضاء بحق متهمين بجنح وجرائم. ففي إحدى الحالات، يتدخل إلياس السكاف في محاكمة زوج خادمة سليمان طرابلسي الذي ارتكب جريمة قتل، معرباً عن أسفه لأنه لم يستطع أن يحقق الكثير في تلك الوساطة

لأن المتّهم اعترف بارتكابه الجريمة. يقول السكاف في رده «على كل حال قد سعينا اللازم بخصوصه بالنظر لفقر حاله وحباً بخاطركم ولكن مسألته صعبة»[٢١].

يستحيل بالطبع تلبية جميع الحاجات والطلبات. عندها يعتذر الزعيم من الوجيه المحلي أن باب التوظيف في القطاع المعني بات مقفلاً. والمناسبة هي البحث عن إيجاد وظيفة لرفيق طرابلسي، ابن شقيق سليمان[٢٢]. أو قد يكون أن المرشح للمنصب لا يتمتع بالمواصفات المطلوبة بل هو بعيد عنها بعد السماء عن الأرض. وتلك حالة أمين رفّول الذي تقدّم لمنصب موزّع بريد في جزين وهو لا يعرف الفرنسية البتة ومعرفته بالعربية ضعيفة جداً إضافة إلى كونه، فوق ذلك كله، قد تجاوز السن القانونية (انظر الرسالة وصورة امتحان رفّول بخط يده في الملحقات). وفي حاشية على الرسالة ذاتها، يذكّر موسى نمّور بأن حظوة الوزير لا تكفي وحدها كي يحتفظ الموظف حديثاً من محسوبي سليمان طرابلسي بوظيفته. المناسبة هي تعيين موسى نمّور لابن شقيق آخر لسليمان سكرتيراً في ديوان المحافظة في زحلة، وسعى له بزيادة راتبه. يكتب موسى نمّور إلى سليمان قائلاً: «كما أني أطلب منكم أن تنبّهوه للقيام بواجباته خير قيام لأن وجودي في الوزارة غير دائم»[٢٣].

ج ـ تنفيعات وتلزيمات لأنسباء الوجيه المحلي في القطاع العام

وهذه تشمل:

- التدخُّل لدى وزارة الأشغال العامة من أجل الحصول على التزام بشق طريق لصالح الشيخ نجيب الخشن، حليف سليمان طرابلسي في سحمر[٢٤].
- الاستحصال على امتياز شركة مياه مشغرة لصالح ابن شقيق

ثالث لسليمان طرابلسي من خلال تدخل هذا الأخير لدى أحد وزراء المنطقة.

- الاستحصال على امتياز شركة كهرباء البلدة لابن شقيق رابع هو شفيق طرابلسي في المجلس النيابي دون المرور على اللجنة المختصة والإيحاء بأن الأمر تمَّ بطريقة فيها تحايل على القانون[٢٥].

د ـ خدمات جماعية في منطقة نفوذ الوجيه المحلي

- تصويت مجلس النواب على موازنة خاصة ببناء جزء من طريق السيارات بين مشغرة وبيروت.

يتبيّن من وثائقنا أن الحصة الأكبر من الخدمات، والمهمة منها تحديداً، كانت من نصيب أقرباء الوجيه المحلي والأنسباء على حساب باقي الأنصار والمحازبين. هذا ويتقدم الأنصار المسيحيون على الأنصار الشيعة في البلدة كما في المزارع في الحصول على خدمات وتنفيعات. وهو ما يؤكد التبادل غير المتكافىء للخدمات في الاتجاهين.

٥ ـ «الكارت» أو إعادة إنتاج نظام المحسوبية

لنظام المحسوبية تقاليده وحِيَله مثله مثل أي نظام. وله أيضاً وسائله المميزة.

الواسطة في الوساطة، إذا جاز التعبير على غرار الشدياق العظيم، هي «البطاقة الشخصية» ـ «الكارت» بالفرنسية. يعطي الوجيه أو الزعيم بطاقة باسمه إلى طالب الوساطة تسهيلاً لوصوله إلى مقدّم الخدمة أكان سياسياً أم موظف حكومة. والأرجح أن «الكارت»

ابتكار من ابتكارات الانتداب الفرنسي. وسبب استخدامه العميم في الفترة التي نحن بصددها هو أنه بديل عن الاتصال الشخصي المباشر أو بواسطة الهاتف.

كثيرة هي الرسائل التي تطلب من سليمان طرابلسي تزويد أحد المحاسيب بـ «كارت» إلى الموظف الفلاني أو الزعيم الفلاني. ولعل الأهم من ذلك أن لدينا ما يفيد أن الزعيم الفلاني يرفض التوسّط لأفراد من منطقة حليفه الوجيه المحلي إلاّ إذا جاء طالب الوساطة بـ «كارت» من الوجيه ذاته. في أكثر من مراجعة من أهالي مشغرة والمزارع لدى موسى نمّور، يفهمهم هذا الأخير بأنه لن يتدخل لصالحهم إلاّ إذا كانوا مزوّدين بـ «كارت» من سليمان طرابلسي. أي أننا صرنا سلفاً أمام نوعين من «الكارت» لنيل الحظوة وتسهيل المعاملات: «كارت» من الوجيه المحلي إلى الزعيم المناطقي أو المركزي و«كارت» من هذا الأخير إلى الموظف المعني بتسهيل المعاملة. عن طريق «الكارت»، وقد بات عنصراً إلزامياً من عناصر الوساطة والخدمة، يجدد نظام المحسوبية نفسه بتجديد اتكال المحسوبين على هذا الوجيه أو ذاك الزعيم[٢٦].

على أن لـ «كارت» وجهاً آخر ووظيفة أخرى. تفيد المراسلات أيضاً عما يعانيه أصحاب المعاملات في دوائر الدولة من حِيَل الوجهاء والزعماء. إذ يبدو أن تعارفاً قد نشأ بين الموظفين من جهة وبين الوجهاء والزعماء من جهة أخرى يتعلق بجدّية أو عدم جدّية التدخل بواسطة «الكارت». فقد يكون «الكارت» وسيلة للتخلص من طالب خدمة لجوج لا سبب فعلياً للوجيه أو الزعيم، أي لا مصلحة، لكي يساعده. فطلبه والحالة هذه من موظف ما خدمة

معينة مرة واحدة قد يعني أن المتدخّل لا يعير الأمر أهمية خاصة، فيمكن إذذاك إهمال «الكارت» أو حتى إهمال التدخل المباشر طلباً للخدمة. هنا يدخل في الأمر مصطلح جديد، هو «المراجعة». وهذا ما يحدو أحد طالبي الوساطة من موسى نمّور عن طريق سليمان طرابلسي إلى الإلحاح بالطلب على سليمان أن يطالب نمّور بتكرار المراجعة بشأن معاملته، «لأن مأموري الحكومة تعوّدوا على عدم الاكتراث بالوساطة لأول مرة لأنهم يعتقدون بأنها كُتِبَتْ تخلّصاً من طالب الوساطة»[٢٧]!

وجوه التفرقة والإكراه

بقدر ما تقوم شبكة المحسوبية على تبادل الخدمات بين طرفيها ـ بين الوجيه المحلي من جهة والمحسوبين عليه من الأهالي من جهة ثانية ـ فهي تنطوي بالقدر ذاته على شتى أنواع النزاعات التي تعود إلى تباين المواقع والمصالح الاقتصادية/الاجتماعية بين هذين الطرفين. تدور تلك النزاعات معظم الأحيان مدار ملكية الأراضي وتوزيع حصص المياه وشروط الشراكة وقسمة المحاصيل ونسبة الفوائد ومواعيد وشروط سداد الديون، إلخ. ويظهر دور الإكراه والقوة في المقام الأول من خلال استخدام الوجيه سلطة الدولة في مواجهة المحسوبين عليه أنفسهم. وتشكل هذه الممارسات جزءاً عضوياً من نظام المحسوبية ذاته.

حالة أولى: في العام ١٩٢٥، طالب أهالي لوسيا باسترداد أراضٍ يعتبرونها مشاعاً لهم وقد تملكها سليمان طرابلسي. ويبدو أنّ السلطة الإدارية المحلية لم تلبِّ رغبة وجيهنا في تكريس ملكيته، فتدخل موسى نمّور لدى محافظ البقاع ضد مدير ناحية مشغرة إميل مشاقة، متهماً هذا الأخير بمناصرة أهالي لوسيا ضد الوجيه المحلي في

ذلك النزاع. سوف يطول هذا النزاع ويتعقّد. ففي العام ١٩٣٧، تفيدنا رسالة من المحامي فؤاد رزق إلى سليمان طرابلسي أن المحامي المشغري الأصل كان لا يزال يتابع قضية أراضي لوسيا.

حالة ثانية: نشب نزاع حول شروط الشراكة بين الوجيه المحلي، بما هو مالك عقاري، وبين محسوبيه، بما هم فلاحون محاصصون كشف تباين المصالح الطبقية بين طرفي شبكة المحسوبية المحلية. على أن الحل هذه المرة لم يكن باللجوء إلى الزعيم المناطقي ولا إلى نفوذ الدولة ضد «الشركاء» وإنما بالعمل على بث الفرقة بين الفلاحين أنفسهم. في رسالة من جبران الحاج، وكيل سليمان طرابلسي في المزارع، نقرأ ما يلي:

> «نهار البارحة كنت في قليا وقد بلغني من البعض الذين لي ثقة بهم أن الشركاء مستعدين عند مواجهتكم يطلبون القسم بالماية خمسة عشر منه ومستعدين للمتاعبة وهذا كلام عرفته حقيق فإذ كان هكذه سوف أقسم الفلاحين إلى قسمين كما قال نابليون «فرِّق تسود» وأعلم اليقين وتأكد لي تماماً ولا ريب هكذه مرادهم يفعلون وعلى كل حال نحن متكلين على الله فلا نُغْلَب...»[٢٨].

حالة ثالثة: يستعين الوجيه المحلي على فلاحيه بزعماء من الشيعة من خارج المنطقة. هذه حال الاستقواء على أهالي المزارع بواسطة العلاقات الوثيقة التي نسجها آل طرابلسي مع زعماء الطيبة من آل الأسعد وبدرجة أقل مع آل الزين في منطقة النبطية. إلاّ أن هذا الاستقواء بالزعامات الجنوبية يعمل في الاتجاهين. فبمقدور الأهالي الاستعانة هم أيضاً بزعماء جنوبيين مناهضين لحلفاء «شريكهم» المشغري. وبالفعل فقد نشأ تباين بين الوجيه المشغري وبين أهالي

«المزارع» الذين رفضوا ترشيحه للانتخابات الاختيارية والبلدية، فاستنجد هؤلاء بوجهاء الخيام من آل العبد الله لتغليب وجهة نظرهم على وجهة نظر الوجيه المشغري. في أيار ١٩٣٠ مثلاً، استنجد أهالي سحمر ويحمر ولبايا بآل العبد الله الخياميين لمساندتهم ضد المرشحين الذين يناصرهم عقل عواضة وعلي الحاج محمد ـ وكيلا سليمان طرابلسي ـ في الانتخابات الاختيارية. وتفيد رسالة من الشيخ علي الزين إلى سليمان طرابلسي عن مسعى يقوم به الشيخ علي لعقد لقاء بين خنجر العبد الله وسليمان طرابلسي من أجل التوصل إلى تسوية بصدد تلك الانتخابات(٢٩).

خلاصة القول هنا أن شبكة المحسوبية لا تخلو من التناقضات في المصالح والنزاعات وأن كل فريق من فريقي النزاع يلجأ إلى كافة الوسائل المتاحة لتغليب وجهة نظره أو موقعه أو مصالحه. بالطبع، يلجأ الطرفان إلى القانون، ولكن شتان بين قدرات الوجيه على استمالة القانون ورجاله إلى جانبه وقدرات محسوبيه من الفلاحين أو العامة. كذلك يسعى كل طرف إلى الاستقواء بأطراف خارجية لمناصرته في نزاعه مع الطرف الآخر. فإذا كان أهالي المزارع لا يستطيعون الاستقواء بزعماء بقاعيين في المركز الزحلي، فإنهم يظلون قادرين على الاستنجاد أقلاً بزعامات جنوبية شيعية مناوئة للزعامات الحليفة لآل طرابلسي. أخيراً، قد يلجأ الفلاحون الشركاء إلى الإضراب، أي الامتناع عن تسليم حصة المالك من المحاصيل والغلال أو إلى تخفيض تلك الحصة أو حتى الامتناع عن دفع الديون أو الفوائد، وهذا هو معنى «المتاعبة» التي يتحدث عنها وكيل سليمان في رسالته المثبتة أعلاه. في حالات من التوتّر العالي في العلاقات داخل شبكة المحسوبية، لا يبقى أمام الوجيه المالك إلاّ اللجوء إلى السلاح التقليدي للمسيطرين حسبما يشير عليه وكيله

النابليوني: «فرِّق تَسُدْ».
أما أن ينجح مالك الأرض في اعتماده ذلك الأسلوب أو لا ينجح، فتلك مسألة أخرى.

هوامش

(١) كما هو وارد في: **أرشيف س. ط.**، دفتر التبغ، ١٩٣٧.

(٢) في **أرشيف سليمان طرابلسي** ١١ رسالة وبطاقة من موسى نمور بين ١٩٢٩ و١٩٤٢، و١٣ رسالة وبطاقة من إلياس طعمه السكاف.

(٣) بشارة الخوري، **حقائق لبنانية**، الجزء الأول، ١٩٦٠.

(٤) يعطي الزيات الأولوية للعوامل العائلية والطوائفية في تحليله، بل هو ينفي ما عداه من العوامل، ومنها التراتب الاجتماعي والطبقي، بحجة أن الإنتاج الأساسي في البلدة هو إنتاج ريفي وأن المؤسسات تقوم على قاعدة عائلية باستثناء الدباغة. يعبّر ذلك عن رؤية تبسيطية للتحليل الطبقي تنفي وجود تراتبية اجتماعية إن هي لم تتطابق ونماذج التراتب الطبقي والاجتماعي في الرأسمالية الصناعية المتطورة القائمة على ثنائية برجوازية/ طبقة عاملة. وهذا ما يجعل الزيات صاحب تفسير سياسوي للعلاقات الاجتماعية والنزاعات. تقول أطروحته الرئيسية:

«إن العلاقات الاجتماعية ـ السياسية في مجتمع مشغرة هي علاقات محسوبية يعود أساسها إلى الروابط العائلية والطائفية. وتستمر هذه العلاقات وتتجدد من خلال نزاعات عامودية بين الأطراف المعنيين من أجل الوصول إلى السلطة المحلية والمركزية. أما المنظمات السياسية الحديثة التي دخلت بشكل ثانوي إلى البلدة، فقد قامت بتجديد العلاقات القائمة وتعميق الانقسامات» (الزيّات، ص ٤).

يسقط هذا التوجه الطوائفي السياسوي الحاضر على الماضي، ماضي البلدة كله. وهو يتغاضى عن تاريخ البلدة ويدفع المؤلف إلى إغفال التناقضات والنزاعات الاجتماعية والانقسامات داخل الطوائف والحزبيات العائلية المحلية. وبسبب نزعته الطوائفية اللاتاريخية، يغفل المؤلف أوجه التعايش والتضامن والمصالح المشتركة ذات القاعدة الاجتماعية التي عبّرت عنها الحزبيات المختلطة طائفياً وأشكال التنظيم الطبقية الجديدة. أما القول إن الأحزاب الحديثة اقتصر دورها على تجديد علاقات المحسوبية والانقسام الطوائفي فيصعب فهمه في ضوء التأريخ العيني لتلك الأحزاب في تاريخ البلدة منذ الثلاثينيات كما نعرض له في الفصل السادس.

(٥) **أرشيف س. ط.**، سليمان طرابلسي إلى نسيب أبو سمرة طرابلسي، ٢٢ أيار

١٩٣٣.

(٦) **أرشيف س. ط.**، إلياس طعمه السكاف إلى سليمان طرابلسي، ١١ [الشهر غير واضح].

(٧) **أرشيف س. ط.**، جورج طرابلسي إلى سليمان طرابلسي، كفرحونة، ٣١ آب ١٩٣٠.

(٨) من هذه الرسائل، **س. ط.**، سليمان طرابلسي إلى أيوب طرابلسي، مشغرة ١٠ تشرين الأول ١٩١٠، وأيوب طرابلسي إلى سليمان طرابلسي، ساو باولو، ٢٩ نيسان ١٩١٠.

(٩) **أرشيف س. ط.**، فؤاد رزق إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٧.

(١٠) **أرشيف س. ط.**، الشيخ علي الزين إلى سليمان طرابلسي، بلا تاريخ، وأيضاً، المصدر ذاته، عبد القادر القادري إلى الشيخ علي الزين، ٢٦ شباط ١٩٣٠. الانتخابات تتعلّق بمجلس الإدارة، واللائحة المعنية بقيادة عبد الله رزق من زحلة، تحظى بتأييد ودعم إميل إده، رئيس الحكومة آنذاك. ويقول عبد القادر القادري في تلك الرسالة إن عبد الله رزق أبلغه أن الرئيس إده مستعدّ أن يواجه الشيخ علي شخصياً وإبلاغه تأييده له في حال موافقته على الترشّح.

(١١) **أرشيف س. ط.**، سكاف وحرب إلى سليمان طرابلسي، زحلة، ١٢ أيار ١٩٣١؛ والمصدر نفسه، سليمان طرابلسي إلى سكاف وحرب، مشغرة، ٢٠ أيار ١٩٣١. المطلوب الإفادة عنهم من أهالي مشغرة وتقدير رأس مالهم وأملاكهم وممتلكاتهم والمعاملة والأدبيات هم، حسب تعريف سليمان طرابلسي بهم: جرجس سليمان الغزال (كندرجي [إسكافي] وبائع أقمشة) حسن علي (صاحب آتون كلس) سالم يوسف غطّاس (صاحب دكان عطارة) شفيق طرابلسي (ملاك ورئيس بلدية مشغرة) علي حسن قاسم (مكاري) عقل عواضة (بيع وشراء) غانم فخر الدين (صاحب دكان) فؤاد أبو غنّام (موظف بوسطة) ميشال رزق (يعمل بأرزاق والده) نعمة عبّود (صاحب دباغة).

(١٢) **أرشيف س. ط.**، نيفن سابا إلى سليمان طرابلسي، زحلة، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣١.

(١٣) **أرشيف س. ط.**، الخوري أندراوس عيسى، صيدا ٣١ أيار ١٩٢٩.

(١٤) **أرشيف س. ط.**، كيريلس إلى سليمان طرابلسي، زحلة، ٥ كانون الثاني ١٩١٤.

(١٥) **أرشيف س. ط.**، أفتيموس إلى سليمان طرابلسي، زحلة، ٢٨ آذار ١٩٣٣.

(١٦) **أرشيف س. ط.**، القس مفيد عبد الكريم إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٩.

(١٧) **أرشيف س. ط.**، نيقلاوس إلى داوود طرابلسي وسليم صائغ، زحلة، ١٣ أيار ١٩٠٣.

(١٨) **أرشيف س. ط.**، إلياس طعمه السكاف إلى سليمان طرابلسي، ١٦ شباط ١٩٣٠ و٣٠ آذار ١٩٣١.

(١٩) **أرشيف س. ط.**، موسى نمور إلى سليمان طرابلسي، ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٩.

(٢٠) **أرشيف س. ط.**، من موسى نمور إلى سليمان طرابلسي، ١٦ نيسان ١٩٣٠.

(٢١) **أرشيف س. ط.**، إلياس طعمه السكاف إلى سليمان طرابلسي، زحلة، ٢٤ شباط ١٩٣٠.

(٢٢) **أرشيف س. ط.**، موسى نمور إلى سليمان طرابلسي، زحلة، ٢ أيار ١٩٣٠.

(٢٣) **أرشيف س. ط.**، موسى نمور إلى سليمان طرابلسي، ٥ شباط ١٩٣٠.

(٢٤) **أرشيف س. ط.**، إلياس طعمه السكاف إلى سليمان طرابلسي، عمّيق، ٢٦ تموز ١٩٢٩.

(٢٥) **أرشيف س. ط.**، إلياس طعمه السكاف إلى سليمان طرابلسي، ٣ كانون الثاني ١٩٣٠.

(٢٦) راجع في الملحقات الجردة بأسماء مرسلي البطاقات الشخصية إلى سليمان طرابلسي.

(٢٧) **أرشيف س. ط.**، بشارة حداد إلى سليمان طرابلسي، ١٤ كانون الثاني ١٩٢٩.

(٢٨) **أرشيف س. ط.**، جبران الحاج إلى سليمان طرابلسي، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٠.

(٢٩) **أرشيف س. ط.**، من الشيخ علي الزين إلى سليمان طرابلسي، قليا، أيار ١٩٣٠.

الفصل الخامس

نمط حياة وَجيه محلي

التفرنُج بما هو تمايز اجتماعي

أشدّ ما يثير الاهتمام في سيرة سليمان طرابلسي هو إلى أي حدّ شكل وأسرته جزيرة متفرنجة، حسب مصطلح وسجالات ذلك الزمان، في منطقة فقيرة وتقليدية من الأطراف اللبنانية. يشمل التفرنج نمط حياة الأسرة كله وتتجلى مظاهره في الملبس والمسكن والتعليم والعلاقات وأخيراً ليس آخراً في الالتزام الماسوني لرب العائلة.

وأبرز تعبيرات التفرنج التماهي المفرط لوجيهنا وعائلته مع العاصمة بيروت وتحديداً مع وسطها الكوزموبوليتي البروتستانتي الدائر في فلك الجامعة الأميركية في رأس بيروت. ويعود التأثير الأنكلوسكسوني والبروتستانتي على العائلة إلى التعليم في البلدة

نفسها، وإلى أشقاء سليمان طرابلسي. وقد تخرّج أحدهما إسكندر من الكلية السورية وتولى هو نفسه تعليم أحد أبنائه فيها، وأخيراً إلى أثر هجرة أبنائه وبناته وأبناء أخيه إلى الولايات المتحدة الأميركية.

وباختصار فإن وجيهنا كان كاثوليكياً من حيث العصبية العشائرية والسياسة المحلية، إلاّ أنه يمكن بالتأكيد اعتباره بروتستانتياً لجهة الثقافة وماسونياً في الإيديولوجيا.

يقع بيت سليمان طرابلسي، الذي يسميه أهالي البلدة «القصر»، في وسط الحارة الفوقا. شيّد بالحجارة المنحوتة في العشرينيات على الطراز المعماري اللبناني العربي. وتضم وثائقنا عدداً من الرسائل والوصولات المتبادلة مع متعهدي التقصيب وتجار مواد البناء والأثاث ـ في دمشق وزحلة ـ تتعلّق ببنائه[1]. حوى البيت ١٨ غرفة حول فناء واسع. تمَّ تشييد «القصر» بتمويل من الأبناء المغتربين. وبمبادرة من بعضهم الذي كان يتردد إلى لبنان بين الحين والآخر، أضيف إليه ملحق على الطراز الغربي، أثث بأثاث غربي، يشرف على سطيحة كبيرة تطل على السهل وملعب كرة مضرب ومرجة خضراء كانت الصبايا يلعبن عليها لعبة البولو. على تلك السطيحة، كان شباب البلدة من أبناء الأسرة يمارسون طقوساً لا شك في أنها بدت كبدع غريبة، إن لم نقل مستنكرة، بالنسبة لأهالي القرية مثل الرقص الفرنجي بين الصبايا والشبان (انظر الصور في الملحقات).

تنتمي سيّدة «القصر» صوفية، أو أم نسيب على اسم ابنها البكر، إلى آل أبو خليل. وتتكرّر في المراسلات الإشارات إلى شخصيتها القوية والإطراء على كياستها وحسن ضيافتها. وهي في ذلك تشبه

والدة زوجها، زوجة إلياس طرابلسي، التي يتناقل أهالي البلدة الروايات عن براعتها وقوة الشخصية.

رزق سليمان وزوجته ١٤ ولداً، ستة ذكور وثماني إناث. الذكور هم:

- نسيب، الابن البكر، هاجر إلى الولايات المتحدة وكان صاحب مصنع نسيج وصوفيات في بروكلن، نيويورك. تزوج من أميركية من أصل لبناني. تردد كثيراً إلى لبنان. وتوفي في المهجر.
- إلياس (مواليد ١٨٩٣) تاجر آثار في نيويورك، مات عازباً فيها.
- فؤاد (مواليد ١٨٩٧) درس طب الأسنان في كلية بيروت السورية ثم ترك المهنة وهاجر إلى الولايات المتحدة حيث تقلّب في مهن عديدة آخرها امتلاكه مزرعة دجاج. تزوج من أميركية من أصل لبناني. عرف باسمه المتأمرك فْرِدْ Fred. واشتهر في الوسط العائلي بنظم الشعر بالعامية اللبنانية.
- سليم (مواليد ١٨٨٩) تقلّب في مهن وتجارات عديدة دون أن يفلح كثيراً فعاد إلى مشغرة وتوفي عازباً فيها.
- نجيب: توفي شاباً في مشغرة في حادث انطلاق قذيفة بطريق الخطأ من بندقية صيد كان يلعب بها.
- فيليب (مواليد ١٨٩٥) كل ما أمكننا أن نعرف عنه هو شراكته لأخيه نسيب في المعمل في نيويورك.

والبنات هن:

- آدال (مولودة ١٨٨٧)، زوجة الدكتور ميشال الصغيّر.
- ذكية (مواليد ١٨٩١)، لم نستطع أن نحصل على أية معلومة عنها.
- جولي (مواليد ١٨٩٨)، متزوجة من نسيب أبو سمرة طرابلسي.

- لِلي، التي سوف يتم الحديث عنها أدناه.
- إميلي (مواليد ١٩٠١)، واصلت تقليد المصاهرة بين آل طرابلسي وآل بستاني الدَيريين، فاقترنت بشبلي أفرام البستاني، شقيق فؤاد أفرام البستاني، المؤرخ ورئيس الجامعة اللبنانية، ولم يرزقا.
- أماليا ـ ميليا. تزوجت من أيوب طرابلسي، صاحب مصنع للأحذية في ساو باولو، البرازيل. توفيت في المهجر.
- ماري (مواليد، ١٨٩٩) هاجرت إلى الولايات المتحدة. وعادت إلى مشغرة وتوفيت فيها عزباء.
- ألِس، تزوجت من جار للأسرة هو فريد الحاج. عانت من أمراض عصبية وتوفيت منتحرة بعد زواجها بفترة قصيرة.

اللافت أن جميع أبناء العائلة الذكور، واثنتين من البنات أقلاً، سافروا إلى أميركا، الولايات المتحدة والبرازيل. الأمر يستحق وقفة، ذلك أن الشائع هو ارتباط الهجرة بالعَوز الاقتصادي الاجتماعي. فما الذي يدفع أبناء أسرة من ملاكي الأراضي، تتمتع بملكيات واسعة وبمقدار لا يستهان به من اليسر، إلى الهجرة؟ الجواب هو أيضاً الحاجة الاقتصادية. لعلها مناسبة للقول أن السبب الرئيسي وراء الهجرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يكن فقط في الانهيار المتسارع للزراعة الكفافية فلم تعد المداخيل الزراعية تقيم بأود القسم الأكبر من الأسر الريفية، وإنما كان مردّها بالدرجة الأولى التسليع المتزايد للاقتصاد لارتباطه بمنتوج نقدي أوحد هو تربية دود القزّ. أي أن الحاجة إلى المال لسدّ الحاجات الأساسية للأسرة دفعت العديد من الأسر إلى إرسال أحد أبنائها أو أكثر إلى الخارج لتمويل الأسرة بالحد الأدنى الضروري من المداخيل النقدية[٢]. وقد شمل ذلك فئات ريفية واسعة لم تقتصر على الفلاحين المحرومين من الأرض. والواضح أن العمل الزراعي بُعيد

الحرب العالمية الأولى لم يعد يقيم بأود عائلة بهذا الحجم الكبير نسبياً. ومع أنه لا يجوز القول أن الهجرة قد تمّت أيضاً لجني «المال السياسي» أي المال المخصص إما لمشاريع عمرانية وخدمية تعزز من مكانة وموقع الوجيه المحلي تجاه أسرته ومحسوبيه وإما المال السياسي الذي ينفق مباشرة على المصاريف السياسية من مثل الانتخابات البلدية والنيابية، إلاّ أن الهجرة ساهمت في تزويد سليمان طرابلسي بمبالغ وفيرة من مثل تلك الأموال السياسية. وكان الأبناء والأصهرة يجمعون المال من الطرابلسيين في الولايات المتحدة للمساهمة في تمويل المشاريع والأعمال الخاصة بالبلدية كشق الطرقات وتعبيدها. فقد تمَّ بالاعتماد على تبرعاتهم شقّ وتعبيد طريق في حي آل طرابلسي وأخرى تربط مشغرة بكفرحونة حيث يسكن الفرع الآخر من أسرة طرابلسي. وكان إرسال الأموال من الولايات المتحدة الأميركية للمساهمة أيضاً في «النفقات السياسية» للأسرة في البلدة.

تدلّ تربية البنات على وجه مميّز من وجوه التغريب عند العائلة. نعرف مسار واحدة منهن هي لِلي التي تابعت دراستها العليا في «المعهد الأميركي للشابات» في بيروت (وهو الاسم الأقدم لكلية بيروت للبنات التي أضحت كلية بيروت الجامعية، عندما تقرر فتح أبوابها أمام الطلاب الذكور في السبعينيات، لتصير أخيراً الجامعة اللبنانية الأميركية في التسعينيات) عملاً بتقليد لدى هذه العائلة الكاثوليكية بالدراسة عند الأنكلوسكسون البروتستانت[٣]. وبعيد تخرّجها، سافرت لِلي، في نهاية العام ١٩٣٢، للتدريس في بغداد. وكانت هجرة لبنانيين ولبنانيات إلى العراق، في ذلك الزمن، مثل هجرتهم هذه الأيام إلى بلدان الخليج. وثمة جيل كامل من المدرّسين والمدرّسات اللبنانيين أمضى سنوات في حقل التعليم في ذلك البلد النفطي الأول الذي احتكّ به اللبنانيون.

ويمكن التعرّف إلى الوسط الاجتماعي الذي كانت ترتاده اللبنانية الآتية من الطرف الجنوبي من البقاع في العاصمة العراقية من خلال رسائلها إلى أهلها. تروي لِلِي في إحداها أنها دُعِيَتْ لتناول الشاي في القصر الملكي. فلم يبهرها القصر من حيث الفخامة. وتصف الأميرات يلعبن كرة المضرب قبل تناول الشاي فتلاحظ أنهن لسن يتمتعن بقسط وافر من الجمال وإن تكن تؤكد على سحرهن وكياستهن. وتخبرنا في الرسالة ذاتها أن نادي المعلمات الذي تنتسب إليه دعا «الآنسة أم كلثوم» لإحياء حفل غنائي وقد وجدتها لِلِي أحلى مما هي عليه في الصور وصوتها أجمل بكثير مما هو على الأسطوانات[٤]. عند عودتها إلى لبنان، تزوجت لِلِي من الطبيب المجري يوجين زيغو، الذي طرد من النمسا بسبب نشاطه الشيوعي، فغادر إلى لبنان حيث فتح عيادة في الباشورة ببيروت. لم يرزقا أولاداً وعاشا حياة ميسورة في ضاحية الرابية المعدّة للطبقة العليا.

الشبكة الماسونية

إن التحاق وجيهنا بالماسونية، خلال مرحلة موثقة من حياته على الأقل، يضيف نكهة خاصة إلى قصتنا ويدلّ على اتساع الهوة الفكرية والثقافية والاجتماعية التي ميّزته عن محيطه الريفي التقليدي. الوثائق الماسونية في أرشيفنا كناية عن ست رسائل وبطاقتي دعوة واردة جميعها إلى سليمان طرابلسي من جورج رزق الله بك، كما يسمّي نفسه، وصادرة عن بيروت وزحلة وحمّارا (ولعلها قرية رزق الله في البقاع). ويضيف رزق الله إلى توقيعه التلقيب الآتي: «الأستاذ الأعظم الفخري للشرق الأكبر المصري والأستاذ الأعظم للمحفل الإقليمي ٣٣».

تفيد الرسالة الأولى أن رزق الله استقبل ابن شقيقة سليمان، إبراهيم

طرابلسي، الذي جاء مع «عدد من الإخوان له» للانتساب إلى المحفل. وفي المناسبة ذاتها، يدعو رزق الله سليمان طرابلسي إلى حفل افتتاح المحفل الماسوني اللبناني برعاية «المعلم الكبير للمحفل المصري، سعادة محمد رفعت بك» وذلك بمشاركة «إخوتنا الوزراء السوريين الحاليين». ويهيب رزق الله بسليمان أن يأخذ بطاقة عضويته في المحفل بعد تجديدها[٥].

لا يبدو أن سليمان شارك في الاحتفال لكنه ـ كما يتبيّن من رسالة لاحقة لرزق الله ـ أجاب على الرسالة مقترحاً إلحاق محفل حرمون ـ ويبدو أن سليمان كان رئيس ذلك المحفل ـ بمحفل الشرق المصري. وتفيد الرسالة إياها أن رزق الله يتدخل لصالح سليمان لدى السلطات اللبنانية بشأن نزاع ناشب حول أرض في جوار مشغرة[٦].

ويتلقى سليمان بطاقة أخرى مع رسالة خاصة من رزق الله تدعوه لحضور «جنّاز ماسوني احتفالي» من أجل راحة نفس ملك مصر المتوفى، أحمد فؤاد، الذي يصفه رزق الله بأنه «أخونا والعميد الكبير لمحافلنا الكبرى» وذلك يوم ٢٣ حزيران في المحفل اللبناني ـ المصري ببيروت[٧].

وفي شباط من العام ١٩٣٧، أو قبله، يقوم رزق الله بزيارة إلى مشغرة في مهمة يبدو أنها تتعلق بمحفل حرمون فيستقبله سليمان طرابلسي استقبالاً حافلاً، كما تفيد رسالة كتبها رزق الله بعد عودته إلى بيروت يشكر فيها سليمان على ضيافته[٨]. وفي الرسالة التالية، يخبر رزق الله سليمان عن زيارة قام بها إلى دمشق برفقة المعلّم الأكبر لمحفل الشرق الأعظم المصري. وتفيد الرسالة أن المحفل

الإقليمي السوري قد وُضع تحت رئاسة «سعادة عطا بك الأيوبي»، رئيس وزراء سورية آنذاك، وأنه يضم عدداً من الوزراء. وقد أرفق رزق الله بالرسالة دعوةً لحضور حفل استقبال بمناسبة «استقلال الماسونية السورية» يقام في بيروت يوم ٢٣ حزيران ١٩٣٧. واستخدم مفردة «استقلال» بالنسبة للمحفل السوري، وقد بات ملحقاً بالمحفل الشرقي المصري، تترك مجالاً للاعتقاد بأن المحفل السوري كان حتى تاريخه ملحقاً بالماسونية الفرنسية[٩].

ما الذي يدفع بوجيه ريفي محلي في بلدة هامشية من الأطراف اللبنانية إلى الانتساب للحركة الماسونية؟ ما الذي يحدو بزعيم حزبية عائلية كاثوليكية ذي علاقات جيدة، ظاهرياً على الأقل، بأحبار الكنيسة ووجهاء وأعيان الطائفة إلى الانضمام إلى أخوية تؤمن بألوهية عقلانية (مهندس الكون الأكبر) وتعتبر الأديان السماوية متساوية في إيمانها بالله الواحد وتناهض الإكليركية وتدعو إلى العلمانية؟ والأكثر من ذلك، ماذا يفعل مالك أرض كبير، يقيم علاقات شبه إقطاعية مع الفلاحين، في جمعية معادية في الأساس للإقطاع تبشّر بالأخوة والمساواة بين البشر دون تمييز في المهنة والجنسية والدين؟

يبدو أن ثمة عاملين مهمّين دفعا سليمان طرابلسي نحو هذا الالتزام. **الأول**، هو أن الماسونية كانت طريقة أخرى يرتقي بواسطتها وجيهنا إلى «الغربنة»، ولا بد من أن نردف ذلك بالقول إنها غربنة معتدلة إن لم تكن محافظة؛ إذ تشير معظم الدلائل إلى أن تأثير مبادىء الثورة الفرنسية كان ضعيفاً على ماسونيي الشرق[١٠].

أما العامل **الثاني**، ولعله الأهم، فيخصّ مصالح سليمان طرابلسي

المباشرة. إن الماسونية تشكّل شبكة تعاضد وتعاون ورعاية وخدمات متبادلة بالغة الفاعلية. ومعروف أن هذا الطابع الذي لها يلعب دوراً أساسياً في طاقتها على كسب الأعضاء وتأمين ولائهم. بهذا المعنى يجب اعتبار الشبكة الماسونية بالنسبة لسليمان طرابلسي دائرة أخرى من دوائر شبكة المحسوبية التي يتوسطها ويستخدم عناصرها في ممارسته لدوره كوجيه محلي ومالك أرض كبير. وجدير بالملاحظة مبلغ حضور الماسونيين خلال تلك الفترة في أوساط الطبقات الحاكمة في الأقطار التي يرد ذكرها في المراسلات (الملك المصري، رئيس الوزراء والوزراء والنواب السوريون، إلخ). ودورهم في دعم الأنظمة السياسية القائمة، ملكية كانت أم جمهورية. فهذه رسالة من جورج رزق الله يشكر فيها سليمان طرابلسي على تأييده للحكومة الجديدة مع ذكر رئيس الجمهورية إميل إده ورئيس الحكومة الجديدة بشارة الخوري بالاسم[١١].

سلك سليمان طرابلسي طريقه إلى الماسونية عبر مسارَين اثنين. المسار الأول، تمَّ عن طريق زحلة والبقاع حيث بدأ النشاط الماسوني باكراً. ففي سنة ١٩٠٩ تأسس في زحلة المحفل الإسكوتلندي (رقم ١٠٤٧) وبعد أقل من سنة، تأسس المحفل العثماني باسم «محفل الحرية والاعتدال (رقم ٣)»[١٢]. ومعروف أن بعض المتصرّفين العثمانيين شجعوا هذه الموجة الماسونية الأولى من أجل الوقوف في وجه نفوذ الكنيسة المارونية. وبعد إعلان لبنان الكبير وفَرْض الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، لقيتْ الماسونية التشجيع من قبل كبار موظفي الانتداب وخصوصاً مطلع الوجود الفرنسي في لبنان الكبير. بلغ ذلك التشجيع ذروته خلال سنتي ١٩٢٤ و١٩٢٥، في عهد الجنرال ساراي الذي كان هو نفسه ماسونياً. وعرف عن موسى نمّور التزامه الماسونية وقد ساعدته علاقته المميزة

مع ساراي على الارتقاء السياسي السريع إذ جرى تعيينه رئيساً للمجلس التمثيلي، الاسم الأول للهيئة التشريعية اللبنانية. وعلى الرغم من أن مراسلات موسى نمّور مع سليمان لا تشير من قريب أو بعيد إلى أي شأن من شؤون الماسونية، إلاّ أن اثنين من أحفاد سليمان يتذكران أن جدّهما كان مسؤولاً عن محفل حرمون مثلما يتذكران انعقاد اجتماعات ماسونية في دارة جدّهم بحضور موسى نمّور. وليس مستبعداً البتة أن يكون موسى نمّور نفسه هو الذي دفع بوجيهنا إلى الانتساب إلى المحفل. هذا إذا افترضنا أنه لم ينتظم قبل ذلك من خلال أحد الموظفين العثمانيين.

هذا عن المسار الأول. أما عن المسار الثاني، فلا يجوز أن نغفل طريق مشغرة ـ حاصبيا، في المقلب الثاني من سهل البقاع، حيث تأصلت الماسونية، وكانت مقرّاً لمحفل حرمون. وسوف يلمع اسم أحد أبنائها شاهين مكاريوس في المحافل الماسونية في أنحاء مختلفة من الشرق الأوسط[١٣].

ما ورد أعلاه قد يفسّر انتساب وجيهنا إلى الماسونية ولكنه لا يفسّر استمراره في ذلك السلك حتى نهاية الثلاثينيات. إذا كان سليمان طرابلسي بقي ماسونياً بعد عشر سنوات من انقضاء حكم الجنرال ساراي، فلعل مردّ استمرار التزامه هو تمسكه بالثقافة الأنكلو ـ سكسونية، وبهجرة أبنائه إلى الولايات المتحدة، وصلاته بأوساط الجامعة الأميركية في بيروت. فمن بين معارفه الماسونية الأخيرة كان شحادة شحادة الذي هاجر إلى السودان والولايات المتحدة وعاد إلى لبنان وقد جمع ثروة صغيرة من صناعة السجاد الشرقي. وفي المرحلة التي تعنينا مباشرة، كان شحادة سكرتيراً لنادي خريجي الجامعة الأميركية في بيروت[١٤]. وتؤكد المراسلات بين شحادة وسليمان طرابلسي أن صداقة حميمة جمعت بين الرجلين. وكان

سليمان يبعث إلى صديقه بهدايا من منتجات أراضيه ويستضيفه في دارته في البلدة. وفي المقابل، يزور سليمان شحادة بصحبة ابنته لِلي خلال زيارته لبيروت. ويتبيّن أيضاً أن أم نسيب أقامت بعض الوقت في ضيافة شحادة، خلال إجرائها فحوصات طبية في بيروت. ففي إحدى رسائله، يقترح شحادة أن تقضي أم نسيب كل الشتاء على الساحل وفي بيروت خصوصاً، ويردف «وسفرة إلى طبرية أنا أعتقد تفيدها تماماً»[١٥]. ومن جهته، قدّم شحادة جملة من الخدمات والوساطات. فهو، مثلاً، أوصى بسليمان لدى محافظ البقاع في موضوع يوحي أن له علاقة بنزاع مع أهالي «المزارع»[١٦]. كذلك سعى شحادة لتأمين منحة دراسية في الجامعة الأميركية لأحد أقارب سليمان هو نجيب أبو سمرة، شقيق صهره ووكيل أعماله نسيب أبو سمرة، على أنه لم يفلح في ذلك للتأخر في تقديم الطلب إلى اللجنة المعنية[١٧]. بعبارة أخرى، يجب أن نضم صلات سليمان طرابلسي الماسونية إلى شبكة المحسوبية التي يتوسطها. فإذا كنا لا نملك أي توثيق عن المعتقدات والأفكار الماسونية التي حملها وجيهنا إلاّ أنه يتبيّن بوضوح مما سبق أن صلاته الماسونية كانت مسخّرة لخدمة وجاهته ونفوذه السياسي ومصالحه الاقتصادية بما هو مالك أرض.

هل كانت ماسونية سليمان طرابلسي سرّية أم علنيّة؟ السؤال جدير بأن يثار وإن نكن لسنا نملك جواباً واضحاً عنه. نعلم أن الأمر لم يكن مخفياً عن الأسرة المباشرة، حسب ذكريات أحد أحفاد سليمان، كما أسلفنا، وهو لا يزال يحتفظ بأشياوات الطقوس الماسونية من ألبسة مزركشة وصولجانات ومطارق خشبية وزوايا وبيكارات. ولكن، لسنا نستطيع الجزم بأن خبر الانتساب قد انتشر على نطاق أوسع من ذلك. والمثير هنا هو طبعاً موقف رجال الدين

وأحباره، والكاثوليكيين منهم خصوصاً، من انتساب هذا الوجيه المحلي غير قليل النفوذ في الطائفة إلى سلك سرّي ترى فيه الكنيسة هرطقة خطيرة وقد حرّمت على أبنائها مراراً الانتساب إليه. لا تسمح وثائقنا بجلاء هذا الأمر وتبيان ما إذا كانت الكنيسة جاهلة بالأمر أم عالمة به أم متغاضية عنه لِما للوجيه المعني من مكانة ونفوذ على أبناء الطائفة.

هوامش

(١) بحسب رواية إحدى حفيدات شقيق سليمان طرابلسي أن أثاث «القصر» استورد من الولايات المتحدة الأميركية.

(٢) تروي إحدى حفيدات إلياس طرابلسي أن أحد أبناء سليمان عشق فتاة من المزارع من الطائفة الشيعية وحملت منه فأرسلها إلى الولايات المتحدة ستراً للعار ثم لحق بها وتزوجها هناك.

(٣) حصلت لِلِي على معدّل ١٠٠/٦٣ وفقاً لدفتر علاماتها لأول فصل من العام ١٩٣٢ الموقّع من رئيس الكلية ف.ب. أروين. **أرشيف س. ط.**، ورقة علامات لِلِي طرابلسي، ٨ شباط ١٩٣٢.

(٤) **أرشيف س. ط.**، لِلِي طرابلسي إلى والديها، بغداد، ١١ كانون الأول ١٩٣٢.

(٥) **أرشيف س. ط.**، من جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٦ نيسان ١٩٣٦.

(٦) **أرشيف س. ط.**، جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٤ حزيران ١٩٣٦. يبدو أن النزاع المذكور نشب بين أهالي عين التينة وسليمان طرابلسي حول ملكية مشاع القرية. وفي آخر رسالة متبادلة بين الرجلين، يتضح أن الأول لم يكن قد توصل بعد إلى حل هذا النزاع لمصلحة الثاني، من خلال استدخال نافذين في العاصمة، فيطلب منه مزيداً من الصبر. **أرشيف س. ط.**، رزق الله رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٧ أيار ١٩٣٧.

(٧) **أرشيف س. ط.**، جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٢٣ حزيران ١٩٣٦.

(٨) **أرشيف س. ط.**، من جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ١٦ شباط ١٩٣٧.

(٩) **أرشيف س. ط.**، جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٢٦ آذار ١٩٣٧.

(١٠) عن أثر الماسونية على الفكر العربي المعاصر، راجع: عزيز العظمة، **العلمانية من منظور مختلف**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٢.

(١١) **أرشيف س. ط.**، جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، حمّارا، ٢٧ أيلول ١٩٣٧.

(١٢) انظر المعلوف، **تاريخ زحلة**، مصدر مذكور سابقاً.

(١٣) المعلوف، **تاريخ وادي التيم**، مخطوطة، ص ٧٦٠. ساهم مكاريوس في تأسيس «جمعية بيروت السرية» وهي من أولى الجمعيات السورية التي أسسها الاستقلاليون العرب. ثم هاجر إلى مصر حيث اشترك مع فارس نمر ويعقوب صرّوف في تحرير **المقتطف**. وهو مؤلف **فضائل الماسونية** وقد أسس أيضاً «المحفل الفينيقي» في بيروت عام ١٨٩٢ ومحفل اللطائف في القاهرة وكان سكرتير المحفل اللبناني.

(١٤) يحوي **أرشيف س. ط.**، خمس رسائل من شحاة شحادة إلى سليمان طرابلسي، وارد بيروت في ٥ نيسان ١٩٣٠، ١ أيار، ٧ آذار ١٩٣٣، ٥ آب، إضافة إلى رسالة غير مؤرخة. المعلومات عن شحادة شحادة أفادنا بها قريبه نديم شحادة.

(١٥) **أرشيف س٨ ط.**، شحادة شحادة إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ١ أيار ١٩٣٠.

(١٦) **أرشيف س. ط.**، شحادة شحادة إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٧ آذار ١٩٣٣.

(١٧) **أرشيف س. ط.**، شحادة شحادة إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٥ آب ١٩٣٣.

الفصل السادس

أطوار نظام المحسوبية الجديد

التطورات الاقتصادية ونتائجها الاجتماعية

في الثلاثينيات، انهار اقتصاد الحرير وبدأت أزمة زراعات الحبوب التقليدية. وفي المقابل، شهدت البلدة نمواً سريعاً للدباغة شجّع عليه المردود الإيجابي للحرب العالمية الأولى. في نهاية العشرينيات، أخذ رأس المال التجاري يستثمر في الدباغة وتشجّع مَن كانت له دباغة في بيروت على نقلها إلى مشغرة. ذلك هو حال سمعان ناصيف، شقيق شاكر ناصيف، الذي نقل دباغته إلى بلدته عام ١٩٢٨. وأخذ معلمو الصنعة يفتحون المدابغ على حسابهم الخاص. وأدخلت الوسائل الآلية إلى المدابغ باستخدام البراميل الآلية والمحرّكات البخارية. وبدأ تصدير الجلود المشغرية إلى الخارج.

وفّرت الحرب العالمية الثانية دفعاً جديداً للصناعة. كانت البلدة

خلالها تملك ٤٣ دباغة تنتج نحواً من ٢٠٠ طن من الجلود شهرياً من فئة النعل خصوصاً[١]. حول تلك الصناعة نمت سلسلة من المهن الملحقة كإنتاج الكلس والغراء العضوي وصناعة البراميل والسكافة والنجارة والحدادة ناهيك عن الحرف والمصنوعات الجلدية. تأسس أول معمل للغراء العام ١٩٣٨ وبلغ عدد معامل الغراء سبعة معامل في الأربعينيات كانت تشغّل نحو ١٥٠ عاملاً وتنتج نحو ٧٠٠ طن من الغراء سنوياً. ويدلّ على تطور السكافة أنها بلغت ٢٢ مشغلاً العام ١٩٥٣ يعمل فيها ٥٥ حرفياً وعاملاً[٢] ونمت تبعاً لذلك فئة من المكارية والوسطاء والتجار. ولم يقتصر النمو التجاري على التجارة الداخلية. نمت أيضاً تجارة استيراد المواد الأولية والمواد الدابغة وتصدير المنتجات الجلدية، ما ربط البلدة أكثر فأكثر بالمراكز المدينية، كما ربطها بالتجارة الدولية. كانت الجلود والحوامض الدابغة تستورد من إثيوبيا والبرازيل انطلاقاً من أوروبا، بواسطة تجار دمشق وبيروت. أما جلود الجواميس فترِد مباشرة من مصر والسودان. من جهة أخرى اتسعت دائرة تصدير الجلود المشغرانية فصارت تصدّر إلى سورية وفلسطين والعراق وقبرص والسودان والعربية السعودية. وأخذ أهالي مشغرة يفتحون المتاجر لبيع الجلود. وجدير بالذكر أن عدداً من أهالي مشغرة كان يسكن فلسطين، وبقي اثنان منهم على الأقل بعد قيام دولة إسرائيل واحد من آل أبو عرّاج والثاني من آل مرهج.

انعكست الانقلابات التي أدخلتها صناعة الجلد في حياة البلدة انعكاساً مباشراً على التراتب الاجتماعي والتوازنات الطائفية. وكان الأثر الأول قسمة اقتصادها إلى قطاعين ارتبطت بكل منهما فئتان مختلفتان من المصالح لكل فئة تعبيرها السياسي: قطاع زراعي ورعوي آيل إلى تقهقر، تسيطر عليه أسرة من كبار الملاكين

العقاريين؛ وقطاع صناعي وتجاري نام، بقيادة شريحة برجوازية صاعدة. وكانت تلك الشريحة من أصحاب المدابغ تتكون من أبناء أسر سلمون وحبوش وناصيف ودبس وأبو عرّاج ورفّول وأبو خليل وحجّار وشرارة والصايغ والبطل والغزال وطرابلسي. وانتمى القسم الأكبر من أصحاب الدباغات إلى الحزبية المناوئة للحزبية الطرابلسية.

وقد ارتدّت تلك التطورات الاقتصادية سلباً على أسرة كبار مالكي الأراضي. فإلى هامشيتهم بالنسبة إلى القطاع المالي من الاقتصاد، كانت الزراعة تشهد أزمة بسبب انهيار اقتصاد الحرير، بدءاً من الثلاثينيات، ونظراً للمردود السلبي للزراعات التقليدية. تظهر دفاتر المحصول التي تركها سليمان طرابلسي تلك الآثار السلبية على نحو عياني واضح. كذلك تدلّ وثائقنا على أن تلك الفترة كانت فترة ضائقة اقتصادية بالنسبة إلى سليمان طرابلسي. فقد كثرت استدانته من المصارف في زحلة ومن المترسملين من الأقارب في لبنان والمهجر. بل إن تلك الأزمة أثّرت على ملكية سليمان العقارية ذاتها. فالأبناء وقد استقرّوا في المهاجر، أخذوا يبيعون حصصهم من الأراضي في البلدة و«المزارع» ويحرّضون الأب على بيع أراضي العائلة في المزارع وتجميع الممتلكات في مشغرة.

أما الأثر الثاني لتلك التطورات الاقتصادية فهو نشوء تراتب اجتماعي جديد يضع مجموعتين من المصالح الواحدة في مواجهة الأخرى. يتبدّى ذلك التراتب الجديد من خلال عدد من التناقضات.

١ - التناقض داخل علاقات الإنتاج الزراعية حيث يتعرض آل طرابلسي أكثر فأكثر إلى معارضة الشركاء والرعاة في المزارع الذين يعاندون بالنسبة إلى شروط الشراكة ويطالبون باستعادة

مشاعات قراهم والمزارع، ويثيرون مسألة حقهم في استملاك الأراضي التي يفلحونها. في البلدة نفسها، أخذت شريحة من الملاك الزراعيين الصغار والمتوسطين تضع موضع تساؤل سلطة آل طرابلسي على الشروط الإضافية للإنتاج الزراعي كمثل سيطرتهم على توزيع الماء للسقاية وتعيينهم النواطير والمخاتير، إلخ.

٢ ـ التناقض داخل علاقات الإنتاج الصناعية بين أصحاب الدباغات وعمال الدباغة. وكان أصحاب الدباغات والتجار ينتمون إلى الفئات غير الزراعية، وبينهم نسبة لا بأس بها من أفراد حزبية آل إبراهيم. وأصحاب الدباغات كلهم في تلك الفترة من المسيحيين بينهم نسبة كبيرة من غير الكاثوليكيين. ومن جهة أخرى، عمل في الدباغات ما لا يقل عن ٥٠٠ عامل وحرفي ومعلّم، معظمهم من المسيحيين أيضاً يعملون في ظروف غاية في الصعوبة.

إن النزول إلى الدبّاغة مهنة شاقة. وهي تتطلب مؤهلات جسدية استثنائية ولا تعد إلاّ بدخل شحيح ومصير جد متواضع. فإلى الجهد العضلي يجب إضافة القدرة على تحمّل الروائح الكريهة التي لا تطاق والأبخرة الكيماوية الضارة. يعمل العمال من الفجر إلى النجر، بين اثنتي عشرة وست عشرة ساعة. وكان يقال في البلدة أن المشغري محكوم عليه أن «يركب الخشبة» من خروجه من بطن أمه إلى موته. والإشارة إلى الخشبة الذي يعتليها المعلّم لممارسة التلحيم، أي قحط اللحم الحيواني عن الجلد، وهي المهمة الأكثر دقة في تحضير الجلد للدباغة. ولكن التلحيم، الذي يتم عادة خارج الدباغة، أرحم المهن. فالمهن الأصعب هي التي تتم داخل الدباغة. ثم إن المهنة ذاتها لم تكن معتبرة، تعاني من نظرة احتقار إلى العمل

اليدوي، وتعتبر من «المهن الحقيرة». وقد ساد الاعتقاد لبعض الوقت بين مسلمي البلدة بأن الدباغة مهنة نجسة، ما أبعدهم عن العمل فيها لفترة من الزمن.

بين هاتين الفئتين المالكتين، الملاك الزراعيين والملاك الصناعيين والتجار، نمت طبقة وسطى مهنية من الأطباء والصيادلة والمهندسين والمحامين ومن المثقفين المعدّين للمهنة الإدارية أو التعليم. شجع على نشوئها نمو التعليم الخاص وسهولة الوصول إلى مدارس وكليات بيروت والخارج. فلم يعد التعليم امتيازاً للأسر الميسورة. فالازدهار النسبي الذي وفّرته الدباغة خلال الحرب والتجارة والهجرة سمح للعديد من الأسر أن توظف في «رأس المال التعليمي». أضف إلى ذلك نمو التعليم الرسمي مع الاستقلال ما أدى إلى نشوء مركزين تعليميين: مركز خاص ومركز عام. من المحامين الأوائل عوض إبراهيم وإسكندر رزق وولداه فؤاد وشفيق. ومن الأطباء الأوائل، نسيب غطاس، وجرجس طرابلسي، وسالم أبو خليل وطانيوس أبو غنام. ومن الصيادلة نايف غطاس.

الأحزاب السياسية الحديثة وأجهزتها النقابية

مطلع الثلاثينيات، دخلت الأحزاب العقائدية الحديثة إلى البلدة، وتحديداً الحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي اللبناني. ارتبط التأثير الذي سوف يمارسه هذان الحزبان والأجهزة النقابية التي أنشآها ارتباطاً وثيقاً بالتحولات الاقتصادية الاجتماعية المذكورة آنفاً.

تأسس فرع الحزب السوري القومي في مشغرة في أواسط الثلاثينيات على يد مدرّس في المدرسة الإنجيلية أخذ يستقطب

التلامذة والأساتذة في تلك المدرسة التي تحولت إلى أحد مراكز الدعوة لذلك الحزب. وما من شك في أن عقيدة الحزب المشبعة بالعداء للإقطاع والمعارِضة للانتداب أسهمت في استقطاب سريع لأعضاء حزبية إبراهيم ـ ناصيف والحشد مصالح أصحاب الدباغات والفئة التجارية الصاعدة والمزارعين. من جهة ثانية، انتشر الحزب في «المزارع» وخصوصاً في سحمر حيث كان قسم كبير من جمهوره من «شركاء» آل طرابلسي. ومن أوائل السوريين القوميين في مشغرة وليام أبو خليل، المولود عام ١٩٠٤، وهو تاجر جلود كاثوليكي درس في الجامعة الأميركية ببيروت؛ والبروتستانتي إلياس حبّوش، المولود سنة ١٩١٨، وهو صاحب دباغة جلود؛ ومعلّم المدرسة عبد الله محسنة، الشيعي من أسرة فخر الدين، المولود ١٩١٨، وهو ابن مهاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية حصّل دراسته في دمشق[٣]. والثلاثة من الحزبية المناوئة لآل طرابلسي.

بمبادرة الحزب السوري القومي الاجتماعي، تأسست نقابتان مهنيتان. الأولى هي «لجنة أصحاب الدباغات» التي أكدت حضور الشريحة الجديدة في البلدة في مواجهة ملاك الأراضي، وأخذت اللجنة تدافع عن المصالح المشتركة لأصحاب الدباغات في وجه العمال. أما الجهاز الثاني، فهو «لجنة الملاكين» التي تدافع عن مصالح صغار ومتوسطي الملاك الزراعيين الذين حافظوا على ملكياتهم أو أولئك الذين وظّفوا في الملكية العقارية أموالاً مجمّعة من التجارة أو الهجرة.

انعقدت الصلة مباشرة بين الحزبية العائلية المحلية والحزب العقائدي على مستوى الزعامة التي أمسك بها ثنائي من أصحاب الدباغات أثريا خلال الحرب: حنا كرم، الماروني، وهو ابن أسرة من مالكي

قطعان الماعز، عمل في الدباغة عند آل ناصيف قبل أن يفتح دباغة على حسابه؛ وصهره شفيق شاكر ناصيف، الكاثوليكي، وهو أيضاً صاحب دباغة وتاجر ومرابٍ وزعيم حزبية آل إبراهيم. انتسب ناصيف إلى الحزب السوري القومي وصار المنفّذ العام لفرع الحزب في البلدة مجسّداً في شخصه وحدة الحزب العقائدي والحزبية العائلية المحلية. فيما انتسب ابن حنا كرم، ألبير، المولود ١٩١٤، إلى «الرابطة المارونية» وتزوّج من أسرة من وجهاء بلدة عيتنيت المجاورة، آل القيم الكاثوليكيين. وفي مواجهة آل طرابلسي الذين كانوا لا يزالون مرتبطين بالزعامات الموالية للانتداب، انحاز آل كرم إلى الكتلة الدستورية بزعامة بشارة الخوري. على الصعيد المذهبي، انتشر الحزب السوري القومي في أوساط الأقليات المسيحية كالروم الأرثوذكس ـ ومنهم آل الحجار، أكبر عائلة مسيحية في البلدة ـ والبروتستانت. أما في الحارة التحتا، فكان الحزب حاضراً لدى أسرة فخر الدين، من خلال عبد الله محسنة وأيضاً من خلال حسين منصور، العامل في دباغة آل حبوش، كما كان حاضراً لدى جبّ من آل الزيات.

في المقابل، نشأ الحزب الشيوعي على صلة وثيقة بالحركة العمالية ونسّب أعضاءه من حزبية آل طرابلسي. يحدثنا جاك كولان عن إضراب لعمال الدباغة قام في مشغرة العام ١٩٢٠ بتأثير من الإضراب المركزي الشهير الذي نظّمه عمال وموظفو سكة الحديد. وفي عام ١٩٣٤ أسس سليم الدبس، وهو معلّم دباغة، جمعية تعاضدية لعمال الدباغة، هي «النادي الثقافي الرياضي» الذي تحوّل بعد عام من ذلك «إلى الرابطة التعاضدية للعمال» التي أسست لنفسها صندوق تعاضد للمشاركة في مصاريف العمال المرضى أو المصروفين من العمل. وشكلت تلك الجمعية النواة

التأسيسية لنقابة عمال الدباغة في مشغرة وهي واحدة من أولى النقابات العمالية في لبنان[٤]. وفي عام ١٩٣٦، نظّم عمال الدباغة إضراباً شهيراً ما لبث أن كسره أصحاب الدباغات، ولما استنجد العمال بخوري القرية، رفض مساعدتهم متّهماً سليم الدبس بالـ «بلشفية». في تلك السنة ذاتها، تعاون أصحاب الدباغات وخوري القرية والحزب السوري القومي على منع الاحتفال بالأول من أيار. وما لبث سليم الدبس أن غادر القرية إلى بيروت بعد تلك الحادثة.

تأسست نقابة عمال الدباغة لاحقاً على يد عاملين كاثوليكيين وعاملين مسلمين، وضمت نحواً من ٣٦٠ عاملاً بعد شهور معدودة من تأسيسها ونالت الترخيص الرسمي في العاشر من حزيران ١٩٤٧. ترأسها أول الأمر حنا طرابلسي، وكان نائبه علي سعد وما لبث أن حلَّ نعيم الحاج، عامل الدباغة ومسؤول فرع الحزب الشيوعي في البلدة، محل حنا طرابلسي. وانتسبت النقابة إلى اتحاد نقابات العمال والمستخدمين الذي يرأسه مصطفى العريس ويسيطر عليه الحزب الشيوعي. وظلّت النقابة بقيادة مسيحية إلى العام ١٩٦٠ عندما تولى فيها الأخوان محيدلي، العضوان في الحزب الشيوعي وأنسباء آل عواضة، منصبي الرئاسة وأمانة السرّ.

مثلما انتشر الحزب السوري القومي الاجتماعي في أوساط حزبية آل إبراهيم، انتشر الحزب الشيوعي خصوصاً بين الكاثوليكيين تحت رعاية الحزبية الطرابلسية، ممثلة بشفيق طرابلسي، ابن أخ سليمان ووريثه السياسي والمشرف على أملاك أبناء وبنات عمه المغتربين، وبحليفه الشيعي عقل عواضة. لعب حسن، ابن هذا الأخير، دوراً أساسياً في إدخال الحزب الشيوعي إلى البلدة. وكان حسن أول

شيعي في البلدة ينال الشهادة الابتدائية عام ١٩٣٧، وقد درّس في التكميلية الرسمية التي تحوّلت إلى معقل للشيوعيين في مقابل المعقل الدراسي للسوريين القوميين في المدرسة الإنجيلية. وطالع الصحافة الشيوعية في زحلة وتأثر بدور الاتحاد السوفياتي في النضال ضد الفاشية خلال الحرب العالمية الثانية. على أن الأثر الأكبر عليه كان من خلال احتكاكه بأفراد من وحدة تابعة لـ «الفرقة الأجنبية» في الجيش الفرنسي تعسكر إلى جوار منزلهم. وكان قسم كبير من عناصرها من الإسبانيين الجمهوريين من لاجئي الحرب الأهلية. أخذ هؤلاء يزوّدون المدرّس المشغري الشاب بأدبيات يسارية وشيوعية. ولما كان عواضة على صلة بعمال المدابغ وقد زاد تذمّرهم ضد أوضاعهم ومعاملة أصحاب الدباغات لهم، بعد إحباط تحرّكهم في الثلاثينيات، اقترح عليهم الانضمام الجماعي إلى الحزب الشيوعي. وهكذا حصل مطلع الأربعينيات عندما زار مشغرة طنوس دياب، عضو اللجنة المركزية، وأنشأ فرعاً للحزب في البلدة. ومن طرائف تلك الفترة أن الاجتماعات الشيوعية كانت تعقد في كنيسة البروتستانت لأن القيّم عليها، نعمة عبود، أحد أوائل البروتستانت في البلدة وصهر لآل أبو سمرة طرابلسي، كان من أوائل الشيوعيين. أما شبان حزبية آل طرابلسي الذين انتسبوا لاحقاً إلى الحزب الشيوعي فكانوا من المثقفين والمهنيين، بينهم أبناء سليم الدبس، عصام المهندس، وزاهي أستاذ الكيمياء، وخليل الصحافي والمتفرّغ الحزبي، وجورج، ابن سليم البطل، الدباغ وتاجر الجلود، وهو صحافي ومتفرّغ حزبي؛ وابن شفيق طرابلسي، نقولا، المهندس الكهربائي والمدرّس في المدارس المهنية، وعلي، الابن الآخر لعقل عواضة. ومن الشيوعيين الأوائل أيضاً رشدي عبودي، الذي تنتسب أمه إلى جب أبي سمرة طرابلسي وهو ابن عامل دباغة قُتِل أبوه على يد آل رزق ـ وسوف يتولى رشدي المسؤولية عن فرع الحزب

في البلدة ومنطقة البقاع. ومن الشيوعيين أيضاً أفراد من أسرة الحاج، بينهم وكلاء أعمال آل طرابلسي في المزارع، وآل إبراهيم الشيعيون، والأخوان محيدلي، وهم أنسباء لآل عواضة ونقابيون في قطاع الدباغة.

للوهلة الأولى، يبدو أن الحزبية العقائدية الحديثة قد تطابقت مع الحزبية المحلية العائلية، وأن الأجهزة النقابية إن هي إلاّ صنيعة هذا الحزب السياسي أو ذاك. هذا جزء فقط من حقيقة التحولات والتقاطعات والتشوهات التي أحدثتها التطورات والتغيرات الاقتصادية الاجتماعية مضاعفة بتدخلات الحزبية العقائدية. ذلك أن الحزب الشيوعي كما الحزب السوري القومي خلخلا أشكال التضامن التقليدية للحزبيات العائلية دون أن ينجحا تماماً في إحلال علاقات انتماء وتضامن جديدة محلّها. من جهة أخرى، اخترقت الحزبيات الحديثة الحزبيات العائلية إلى حد ما. فانقسم آل أبو خليل بين الحزبين الحديثين. وانضم عدد كبير من آل بركة وعبود إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي مع أنهم من مصاهري آل طرابلسي. وخرق أنصار أنطون سعادة حزبية آل طرابلسي أول الأمر فاستمالوا إليهم أحد أبناء شفيق طرابلسي نفسه وأفراداً من آل البطل والدبس وشرارة. ومن لفيف آل عواضة، حلفاء آل طرابلسي التقليديين، استمالوا جبّ آل عمار الواسع الانتشار وأخذوا يجنّدون الأعضاء بين آل الزيات ونصر الله. على أن مجرد نشوء فرع للحزب الشيوعي ما لبث أن أعاد معظم هؤلاء إلى حظيرة الولاء للحزبية العائلية.

ولعل التحوّل الأهم الذي أدخلته الحزبية العقائدية قد تمّ في الحراك الاجتماعي ـ السياسي الذي أحدثته داخل كل حزبية عائلية. فقد

لعبت الأحزاب الحديثة دور الرافعات لتأكيد العائلات الدونية لذاتها ولتأمين صعودها وارتقائها داخل البلدة وداخل الحزبية العائلية متكئة على ولائها ونشاطها وموقعها في الحزب العقائدي. يتجلى ذلك مثلاً من خلال الدور القيادي الذي لعبه آل الدبس وآل الحاج داخل حزبية آل طرابلسي بسبب دورهما القيادي في الحزب الشيوعي. ويتجلّى الارتقاء الاجتماعي داخل الحزبية العائلية اعتماداً على الحزبية العقائدية أيضاً في حلول نعيم الحاج، وهو عامل دباغة من أسرة من وكلاء آل طرابلسي في المزارع، محل حنا طرابلسي في قيادة فرع الحزب في البلدة. وقد حصل أمر مشابه داخل الحزب السوري القومي الاجتماعي عندما عارض السوريون القوميون المحليون شفيق ناصيف، زعيم حزبية آل إبراهيم، الذي كان يتقلّد منصب المنفّذ العام لفرع الحزب في البلدة، مطالبين باستبداله. وقد بلغ التعارض بين الزعامة الحزبية العائلية والحزبية العقائدية مبلغاً من الحدة استوجب تدخّل زعيم الحزب أنطون سعادة شخصياً عام ١٩٤٧ لإزاحة ناصيف عن مسؤوليته الحزبية وتغيير إميل رفّول مكانه، وهو ابن أسرة متواضعة من أسر البلدة.

تبدو إعادة التشكيل هذه والانقلابات والتحولات في الولاءات وأشكال التضامن التي اخترقت الحزبيات التقليدية أكثر شفافية داخل التنظيمات النقابية. فمع أن هذه كانت تحت رعاية الحزبيات العائلية إلاّ أنها لم تلبث أن اخترقت الولاءات التقليدية لصالح أشكال من التضامن المهني والطبقي. فضمت لجنة الملاكين، التي نشأت بمبادرة الحزب السوري وآل ناصيف، أعضاء من الحزبية العائلية المناوئة ـ أي الحزبية الطرابلسية ـ من صغار ومتوسطي الملاك الزراعيين المتعارضين مع زعماء حزبيتهم العائلية من كبار ملاّك الأراضي في شأن الأراضي والري والنوطرة وما شابه. أما الأقلية من

أصحاب الدباغات المنتمين إلى حزبية آل طرابلسي، فمع أنهم لم ينضموا إلى الحزب السوري القومي، إلاّ أنهم لم يجاروا الحزب الشيوعي على الصعيدين السياسي والنقابي. وقد مال بعض هؤلاء نحو القومية العربية، جرياً وراء أسواق توزيع منتجات الدباغة المشغرية في سورية وفلسطين. ومن جهة أخرى، مع أن نقابة عمال الدباغة كانت تحت نفوذ الحزب الشيوعي إلاّ أنها ظلت عرضة لتنافس طويل بين الحزبين العقائديين. وقد نجح إميل رفّول، المنفّذ العام للحزب السوري القومي، في أن يترأسها عام ١٩٤٩. ولكن لم يطل به الأمر على رأس النقابة أكثر من بضعة شهور بسبب القمع الذي طاول الحزب بعد «ثورته» في ذلك العام وتفرّق العدد الأكبر من السوريين القوميين ومغادرتهم البلدة.

من معالم نمو الوجه الصناعي في البلدة، ونمو الحركة النقابية والعمالية فيها، إرساء تقليد الاحتفال بالأول من أيار. لم تكن البلدة تخلو من تقاليد المجاملة بين الجماعتين الدينيتين. وقد تمثلت تلك التقاليد في التبرعات المتبادلة لبناء الصروح الدينية لدى الطائفتين وفي الحضور المتبادل في المناسبات الدينية في الجوامع والكنائس، بما في ذلك حضور ممثلين عن المسيحيين في الاحتفالات بذكرى عاشوراء في حسينية البلدة. ولكن إلى جانب هذه المظاهر التقليدية للتعايش، نمت وشائج جديدة عابرة للطائفة متمحورة حول العمل والهوية الاجتماعية. وكان الأول من أيار الاحتفال الأكثر تعبيراً عن حال مشغرة الجديد والأكثر عرضة للتنازع. إنه احتفال مشبع بالرمزية، لأنه يتجاوز مجرد طقوس التعايش بين الطائفتين، المسيحية والإسلامية، ليعقد أشكالاً أرقى من التضامن بين أبناء البلدة حول العمل. بدأ الاحتفال بما هو احتفال حزبي يثير القلاقل والنزاعات من قبل الغرضية المنافسة. ففي العام ١٩٤٤ أدى الاحتفال إلى

اشتباك دامٍ بين محازبي السوري القومي ومحازبي الشيوعي استدعى تدخل الدرك، وقتل أحد آل غزال خلال تبادل إطلاق النار. ولكن مع الوقت أخذ الاحتفال مظهر الاحتفال المتعدد الطوائف للبلدة برمتها. ها هي وفود الحارة التحتا ترقى السلالم السليطة من حارتهم فيما أهالي الحارة الفوقا، ينزلون لملاقاتهم على الطريق الرئيسي قبل أن يصعدا معاً إلى ساحة القرية للاحتفال بعيد العمال في باحة كنيسة سيدة النياح الكاثوليكية. وقد ظل هذا الطقس يمارس إلى مطلع الحرب الأهلية، بهذا القدر أو ذاك من المشاركة غير الحزبية فيه. فكأن التخلي عنه، منذ تلك الحرب، جاء تعبيراً عن تكرّس الانقسام الطائفي في البلدة.

وفي تعداد آثار الحزبية العقائدية على الوضع في البلدة، لا بد من إضافة أثرين مهمين. **الأول** هو حصر دور ونفوذ رجال الدين المحليين، للمسلمين والمسيحيين، أو الأحبار الزحليين للمسيحيين، في حدودهما الدنيا. **والثاني**، توطيد فكرة التعايش داخل البلدة بما هي نمو ثقافة تتجاوز الطائفية برمّتها، نحو الانتماء الوطني والمواطني، أكثر منها مجرد تعايش بين طائفتين، كما كان سائداً في الحزبية العائلية.

لنعد إلى التطورات السياسية. أدى الاستقلال إلى انقلاب علاقات القوى داخل البلدة لصالح الحزبية المناوئة لآل طرابلسي. فبعد عامين على وفاة سليمان طرابلسي عام ١٩٤٦، كانت حزبيته قد فقدت السيطرة على المجلس البلدي. إذ حلّ توفيق ناصيف، شقيق شفيق ناصيف، محل نسيب طرابلسي، صهر سليمان ووكيل أعماله، في رئاسة المجلس البلدي، مدعوماً من آل كرم، وهم عائلة أثرت خلال الحرب. وحافظ ناصيف على منصبه في انتخابات العام ١٩٥٢.

وإذا الأكثرية الحاسمة التي كانت للكاثوليكيين في المجلس البلدي يجري تعديلها لصالح المذاهب الأخرى: ثلاثة مقاعد للمسلمين الشيعة، بدلاً من اثنين في السابق، ومقعدين للروم الأرثوذكس بدلاً من واحد، فيبقى ثلاثة مقاعد للكاثوليكيين بدلاً من خمسة.

على أن نجاحات الحزب السوري القومي والحزبية العائلية المحالفة له إن في البلدية أو في نقابة عمال الدباغة لن تعمّر طويلاً. ففي الأول من تموز ١٩٤٩، أعلن أنطون سعادة الثورة القومية الاجتماعية. وكانت مشغرة تقع في مركز خطة سعادة الانقلابية. قضت الخطة أن تجري مشاغلة الجيش في البقاع الأوسط والشمالي (وأشيع أن سعادة عقد لهذا الغرض صفقة مع عشيرة الدنادشة) فيما قوات الحزب تضرب ضربتها في البقاع الجنوبي والشوف وضواحي بيروت ومن ثم تزحف على بيروت ذاتها. في البقاع الغربي، شكل سعادة مجموعتين من المقاتلين وعيّن الملازم عساف كرم قائداً لإحداهما وكلّفه السيطرة على مشغرة فيما تولى زيد الأطرش قيادة المجموعة الثانية ومهمتها السيطرة على راشيا. وكانت السيطرة على البلدتين مطلع عملية عسكرية للسيطرة على كامل البقاع الغربي وإعلان «الدولة السورية القومية» فيه ومن ثم تنفيذ باقي مراحل الخطة. في الثالث من تموز وقعت معركة في سهل سحمر بين الجيش اللبناني والثوار السوريين القوميين، استمرت أربع ساعات قَتَل خلالها الجيش قائد المجموعة عساف كرم وأسر المقاتلين السوريين القوميين. وفي ٤ تموز/ يوليو أعلن سعادة «الثورة القومية الاجتماعية الأولى» ضد الحكومة اللبنانية. وكرّر محاولة الاستيلاء على مشغرة وراشيا لكن المحاولة باءت بالفشل. فقد احتل مسلحو الحزب مخفر مشغرة ليوم واحد قبل أن يضطروا إلى إخلائه والتراجع.

مع تنفيذ حكم الإعدام بسعادة ومنع الحزب، شلّ الفرع المشغري وقد بات معظم أعضائه ملاحقين، وفرّ العديد منهم إلى دمشق. ويوم ٧ تموز، تولت وحدات من الجيش احتلال مشغرة ومطاردة المطلوبين في سحمر ومجدل بلهيص والقرعون. وقد أخليتْ منازل المطلوبين في مشغرة ونُسِفَت نسفاً. وطاول نسف البيوت أبرز الوجوه الحزبية: شاكر ناصيف، والد شفيق ناصيف، الصادر بحقه مذكرة توقيف والمتواري عن الأنظار، حنا رفّول، والد إميل رفّول المعتقل، ومحمد محسنة، والد عبد الله محسنة، ومحمد علي مرعي. كذلك اعتقل مختار مشغرة غانم أبو غنام الذي اتهم بالتقصير في واجبه تجاه المحاولة المسلحة ولكن ثبتت براءته فأطلق سراحه(٥).

لن يمكث السوريون القوميون طويلاً في العاصمة السورية. فاغتيال الضابط البعثي عدنان المالكي عام ١٩٥٤ وما تبعه من ملاحقات ضد السوريين القوميين في سورية ذاتها، أعاد منفيي مشغرة إلى بلدتهم وقد أفادوا من العفو الرسمي الذي أصدره الرئيس اللبناني الجديد، كميل شمعون، عن حوادث العام ١٩٤٩ في سعي - ناجح - منه لاستمالة الحزب إلى صفه.

في عام ١٩٥٨، انشقت البلدة بين الحزبيتين عند اندلاع المعارضة المسلحة ضد كميل شمعون. ومع أن السوريين القوميين كانوا مسلحين ومدعومين من سلطة شمعون إلاّ أنهم خسروا معركة السيطرة على البلدة لصالح الشيوعيين والحزبية المناوئة. فمشغرة صلة وصل لتوصيل السلاح المهرّب من سورية إلى الشوف فلم يكن بإمكان كمال جنبلاط أو شبلي العريان التخلي عن ذاك الممر الستراتيجي. خلال تلك الأحداث، اغتيل حسن حمود، مسؤول

الحزب السوري القومي في البقاع الغربي، مما اضطر أعضاء الحزب إلى الفرار مجدداً من البلدة. وجدير بالذكر أن الحزب السوري القومي ضعف كثيراً بين شيعة البلدة جرّاء نمو المدّ القومي العربي والناصرية. ثم تلقى الحزب ضربة قاسية على أثر محاولة الانقلاب العسكري الفاشلة التي قام بها ضباط موالون للحزب ضد عهد الرئيس فؤاد شهاب، ليلة رأس السنة ١٩٦١ - ١٩٦٢، وما أعقبها من حملة مطاردات واعتقالات غير مسبوقة في تاريخ لبنان الحديث. ولم يعد للحزب نشاط يذكر في البلدة قبل العام ١٩٧٥.

أما الحزب الشيوعي، وقد استقوى بدوره في ثورة العام ١٩٥٨، فلم يخرج من تلك التطورات بأحسن حال. أدى نزاعه مع الناصرية إلى سلبه هو أيضاً قسماً كبيراً من شعبيته بين شيعة البلدة دون أن يكسبه كثيراً بين المسيحيين. من هنا سوف يسعى الحزبان العقائديان للتعويض عن ضعفهما الداخلي بالاستقواء بعناصر السياسة الوطنية.

أغنياء جدد ومدبّرو وظائف

ابتداء من الخمسينيات، تلقت دباغة الجلود ضربتين قويتين. وقعت الأولى عام ١٩٤٨ عندما أغلق في وجه الجلد المشغري السوق الفلسطيني بقيام دولة إسرائيل وإعلان المقاطعة الاقتصادية العربية لها. ووقعت الضربة الثانية في العام ١٩٥١ عندما استكملت القطيعة الاقتصادية بين لبنان وسورية. وبدأ إذذاك تراجعٌ تدريجي لاقتصاد الجلد في مشغرة. سافر قسم من أهالي مشغرة إلى السودان والعراق، ثم إلى العربية السعودية حيث ساهموا في إنشاء الصناعات المحلية فيها. بقي الأردن المستورد الأول للجلد المشغري إلى أن أنشئ في عمان مصنع دباغة كبير عام ١٩٦٠ برؤوس أموال أجنبية فقررت الحكومة الأردنية حماية «الصناعة المحلية» ومنعت الاستيراد.

أضف إلى هذا إغراق السوق اللبنانية بالجلود المستوردة. فتحوّلت دباغات مشغرة إلى العمل لصالح المصانع الأوروبية (ألمانيا، فرنسا، سويسرا، بريطانيا وهولندا) ومصانع قبرص وأفريقيا الجنوبية قبل أن يقفل معظمها ويقذف بمئات عائلات العمال إلى البطالة. فلم يبق من الدباغات الـ ٤٣ الأصلية إلاّ عدد لا يزيد على أصابع اليد الواحدة من الدبّاغات التي نجحت في استخدام الآلات الحديثة والتقنيات المتطورة.

في الزراعة، أدى غزو رأس المال للريف اللبناني إلى استبدال الزراعات التقليدية - الحبوب والكرمة والتوت - بالأشجار المثمرة. إلاّ أن انتقال المشغريين المتأخر إلى الزراعات النقدية لم يمر دون مشكلات. فلبنان يشكو أصلاً من تشبّع في إنتاج الفواكه مضافاً إلى ذلك أن لا طقس البقاع ولا تربته يشجعان على إنتاج فواكه من الصنف الأول تستطيع أن تنافس فواكه الجبل اللبناني. سريعاً ما أخذ المسيحيون يغادرون الزراعة ويهاجرون فيما المسلمون يتعلقون بالأرض ويشترون قطع الأرض ويوظفون مداخيل الهجرة فيها. بالجملة، وعلى الرغم من ذلك التفاوت، صارت الزراعة مصدر دخل رديف للقسم الأكبر من سكان البلدة، لا يعيش عليها دون سواها إلاّ قلة قليلة من الأهالي. أصاب التراجع الرعي أيضاً، وقد كان جزءاً أساسياً من الاقتصاد الكفافي يعيل عشرات العيل حتى الخمسينيات[٦].

تشهد تلك الفترة موجة من الهجرة نحو بيروت والخارج تحفزها الوظيفة الحكومية وفرص العمل في العاصمة ويشجّع عليها عاملان متناقضان، واحدهما سلبي هو أزمة الزراعة والصناعة والثاني إيجابي هو نمو التعليم. يقدر الزيات أن لا أقل من ثلث الأهالي غادروا

البلدة، بينهم ٣١ جباً مسيحياً باعوا أراضيهم وبيوتهم وممتلكاتهم وتركوا البلدة نهائياً للسكنى في سورية أو في بيروت أو عبر البحار. والبعض منهم نقل سجلات نفوسه إلى أماكن سكناه الجديدة. في دمشق وحلب استقرّ عدد من أصحاب الدباغات وعمال الدباغة وتجار الجلود حيث أنشأوا الدباغات مع شركاء سوريين أو فتحوا المتاجر لبيع الجلود. آخرون قصدوا العراق والسودان وتالياً العربية السعودية للهدف ذاته. أما الهجرة المسيحية فكان مقصدها أوستراليا والأميركيتين.

في البلدة، نشأت زعامة جديدة ارتبطت بالسياسة الوطنية، مركزها بيروت وتضم أثرياء جدداً أو موظفي دولة. فعمل الثنائي رفيق الدبس وحسن عواضة على إحياء الحزبية الطرابلسية. الأول هو ابن عم سليم الدبس ومتزوج مثله من آل ناصيف. بدأ عمله في محل تجاري عند نسيب أبو سمرة ثم أنشأ مصنع غراء في البلدة قبل الانتقال للعمل في محل تجاري في بيروت. ويعود مصدر نفوذ رفيق الدبس في البلدة والجوار إلى صلاته الوثيقة بالأوساط الشهابية وخصوصاً ضباط المكتب الثاني. أما شريكه ابن أسرة الشيّب، حسن ابن عقل عواضة، فبعد أن غادر إثر حادثة الاشتباك الدموي عام ١٩٤٤، واصل دراسته الجامعية في علم الأدلة الجنائية في فرنسا وعيّن قاضياً ثم مستشاراً في ديوان المحاسبة، وهو أحد الكوادر الشيوعية التي اكتشفها واختارها الرئيس شهاب لنزاهتها والكفاءة فعيّنه مفتشاً عاماً مالياً.

من جهة أخرى، تشهد حزبية آل إبراهيم صعود الثنائي ألبير كرم وحسين منصور بعد أن انسحب آل ناصيف من السياسة وقد أعلنوا إفلاسهم على أثر محاولة فاشلة لفتح مصرف في البلدة واستقرّوا

نهائياً في العاصمة. يتوازن الثنائي هنا أيضاً من الناحية الطائفية بمشاركة حسين منصور، الشيعي ذي الأصل المتواضع. وحسين منصور نموذج لحديث النعمة الوافد من الهجرة الأفريقية. كان عمه عامل تنظيفات في الحارة التحتا. وهو بدأ حياته نادلاً في المقهى المحلي، ثم تعهد حسبة البلدة قبل أن ينزل إلى دباغة آل حبوش. اعتقل لنشاطه في الحزب السوري القومي الاجتماعي في العام ١٩٣٩ مع إلياس حبوش، ابن صاحب الدباغة بطرس حبوش، وعدد من شبان مشغرة، معظمهم من السوريين القوميين. وقد اتهمتهم السلطات الفرنسية بالعمل لصالح دول المحور. قضى المعتقلون نحو أربعين يوماً في معتقل الميّة ميّة. وعند إطلاق سراحهم، حاول بطرس حبوش إجبار ابنه وحسين منصور على ترك الحزب. رفض الشابان. فرحّل بطرس ابنه إلى إيطاليا، فيما غادر منصور البلدة إلى بيروت حيث فتح محلاً أخذ يلتزم تعهدات من الجيش مع شريكين أرمنيين، خان أميريان وداديان، ثم أخذ يتاجر بالمواد الدابغة قبل أن يسافر إلى عند إحدى شقيقاته في الولايات المتحدة الأميركية. ولما عاد منصور إلى لبنان أخذ يتاجر بالملح مع مصر بشراكة سالم عبد النور - النائب الكاثوليكي عن الشوف لاحقاً على لائحة كمال جنبلاط - إلى أن غادر إلى أفريقيا. في أفريقيا جمع حسين منصور ثروة كبيرة من تجارة الماس. وعند عودته إلى لبنان، أسهم في تأسيس بنك بيروت - الرياض وكان من أكبر المساهمين فيه ورئيس مجلس إدارته ومديره العام.

تمحور التنافس بين الحزبيتين مذذاك حول توفير الوظائف والخدمات لجمهورهما. تمتّع الثنائي دبس - عواضة بالحظوة في الوظائف الحكومية - في وزارة المالية والتفتيش المركزي ومصلحة الكهرباء وفي مصلحة الليطاني التي كانت تبني سدّ القرعون ومحطة مركبا

لتوليد الكهرباء. أضف إلى هذا أن الدبس، كان ذا صلات وثيقة مع دير عين الجوزة للرهبان الكاثوليكيين، أكبر مالك عقاري في المنطقة، وقد سعى لتحويل المنطقة إلى منطقة للسياحة الداخلية عبر امتداد بناء سدّ القرعون وتكوّن بحيرة القرعون في جوارها.

في المقابل، عمل ثنائي منصور ـ كرم على توفير العمل لأنصارهما في القطاع الخاص: دباغة آل كرم، ووكالتهم البيروتية لفرش «دانلوب»، وفي بنك بيروت والرياض وغيرها. وفي عام ١٩٦٠، أحرزت حزبية منصور ـ كرم انتصاراً لا يستهان به إذ فاز حسين منصور في الانتخابات النيابية على لائحة جوزيف طعمه السكاف، ابن إلياس طعمه السكاف، الحليف التقليدي لآل طرابلسي. أجمعت الحزبيتان على اعتبار الفوز انتصاراً للبلدة كلها. فسارع حسن عواضة إلى الترحيب بالحدث، فما منصور، حسب قوله، إلاّ «ابن الضيعة» الذي وعد بأن يعمل من أجل تحقيق مطالبها وتحسين أوضاعها. ولكن كان في الأمر أكثر من ذلك، فمنصور كسب الانتخابات في لائحة تناوئ لائحة يرأسها جوزف أبي خاطر، السفير السابق في الجمهورية العربية المتحدة والمعروف بصداقته للرئيس جمال عبد الناصر. والمعروف آنذاك أن المعركة كانت مفتوحة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الأحزاب الشيوعية العربية. وكان حسن عواضة، المتزوج من شقيقة وصفي البني، أحد قادة الحزب الشيوعي السورية، يكتب مقالات قاسية ضد عبد الناصر والناصرية باسم مستعار (ابن خلدون) في المجلة الثقافية للحزب الشيوعي اللبناني آنذاك، **الثقافة الجديدة**.

وكان التعليم ساحة أخرى للمنافسة بين الحزبيتين المحلية منها والعقائدية. كان ميل العائلات الزراعية التوجه نحو التعليم العام

والمهني أما ميل العائلات التجارية والصناعية فالتمركز في التعليم الخاص، ما أدى إلى نشوء مركزين تعليميين شكّل كل منهما معقلاً لحزبية من الحزبيتين. وهكذا ففي مقابل المدرسة الإنجيلية التي كانت معقلاً للحزب السوري القومي الاجتماعي، كانت المدرسة الرسمية، التي يعلّم فيها حسن عواضة وسليم أبو خليل، معقلاً للشيوعيين ومثلها المدرسة المهنية الرسمية في البلدة، حيث تناوب مديرها نقولا ابن شفيق طرابلسي، وأحد المدرسين فيها إبراهيم الحاج، على قيادة فرع الحزب الشيوعي في البلدة. وكان ثمة مدرسة كاثوليكية للصبيان ظلت تعمل من بداية الحرب في حين أن المدرسة الأرثوذكسية كانت على علاقة بالروس وتعرف بالموسكوبية وأغلقت أبوابها منذ العشرينيات. وابتداء من سنوات الستين، باشر الحزب الشيوعي في توزيع المنح الدراسية إلى الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية. وهي واسطة إضافية لكسب الأنصار.

أما المعركة الأخيرة لاستعادة نفوذ حزبية عواضة ـ الدبس فقد خيضت خلال الانتخابات البلدية عام ١٩٦٣. ضمّت لائحة المرشحين التي قادها الابن الثاني لسليم الدبس، عصام، المهندس والعضو الفاعل في الحزب الشيوعي، المسيحيين والشيعة مناصفة فيما ضمت اللائحة المنافسة سبعة مسيحيين وخمسة مسلمين. حقيقة الأمر أن انتخابات مشغرة البلدية انخرطت في النزاع بين الشهابية وخصومها وانتهت إلى انتصار حزبية كرم ـ منصور، المتحالفة مع نائب رئيس الأركان في الجيش إسكندر غانم، من أبناء بلدة صغبين المجاورة[٧]. وحسب رواية أنصار الحزبية الخاسرة، تضافرت عدة عوامل على ترجيح كفة اللائحة المناوئة:

١ ـ تأجيل الانتخابات في البلدة صباح يوم الانتخاب لمدة شهرين

بأمر خاص من رئيس الجمهورية، شارل حلو، وضد رأي وزير الداخلية، كمال جنبلاط، المتعاطف مع لائحة عواضة ـ الدبس.

٢ ـ المال الذي دفعه متمولو اللائحة المخاصمة.

٣ ـ العراقيل التي وضعت على الحدود اللبنانية ـ السورية لعرقلة وصول الناخبين من أهل مشغرة وهم في أكثريتهم من الحزبية الطرابلسية. وكان الغرض الرسمي أيضاً منع الشيوعيين من السيطرة على بلدية مشغرة بعد أن فازوا في بلديات عديدة وكبيرة في منطقة الشمال قبل أسبوع وبخاصة نجاحهم في بلدية ميناء طرابلس.

الحرب وانتصار الطائفية

أنتجت الحرب الأهلية علاقات قوى جديدة بين الطائفتين داخل البلدة وبين البلدة والمزارع. خلال الفترة الأولى من الحرب، ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، أمكن المحافظة على نسبة من التوازن بين الجماعتين الطائفيتين بسبب تواجد الحزبين الشيوعي والسوري القومي في صف واحد، هو الحركة الوطنية، التي سيطرت أحزابها على المنطقة. على أن استعادة نفوذ هذين الحزبين العقائديين على حساب الزعامات العائلية ما لبث أن واجهها ظهور ميليشيات الحرب: تيار حركة أمل[٨] وأنصار الجبهة اللبنانية وأنصار حركة فتح. ولكن لم يخلُ الأمر من أعمال خطف وسرقة واعتداء وتفجير طاولت مسيحيي البلدة خلال تلك الفترة.

وجدير بالذكر أن «المزارع» لعبت دوراً مهماً في المرحلة الأولى من تلك الحرب إذ شارك المئات من أبنائها في القتال في بيروت، في صفوف اليسار الماركسي كما في صفوف الحزب السوري القومي. وكان لمنظمة العمل الشيوعي حضور واسع في سحمر فيما الحزب

الشيوعي واسع الانتشار في زلايا وعين التينة ولبايا. على أن دخول الجيش السوري عام ١٩٧٦ أدى إلى اصطفافات جديدة وإلى اشتباكات بين الأحزاب المؤيدة والمناوئة للدور السوري. فقد انضمت حركة أمل وجناح من السوريين القوميين إلى دمشق ومعهم آل كرم، الذين كانوا يرعون أنصار حزب الكتائب في البلدة، فيما وقع القمع على أنصار منظمة التحرير والحركة الوطنية. وقد عرفت تلك الفترة اغتيالات في المنطقة من جهة ومن أخرى.

غير أن الغزو الإسرائيلي صيف ١٩٨٢ شكل العامل الأبرز في التحولات السياسية التي سوف تقلب وضع البلدة رأساً على عقب. وقد أبدت فصائل الحركة الوطنية وأنصار المقاومة الفلسطينية مقاومة مسلّحة للاحتلال وقاتلت من بيت إلى بيت. فتدخل الطيران الإسرائيلي ودكّ عدداً من البيوت. ولما استقر الاحتلال، وفرّ معظم أنصار الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية، سيطرت على البلدة عناصر من القوات اللبنانية جاء معظمها من خارج البلدة. ولا يخفى أن هؤلاء تمتعوا بمقدار من التعاطف لدى بعض الأوساط المسيحية إضافة إلى انتساب عدد من الشباب المسيحي، ظل محدوداً، إلى حزب الكتائب. ارتكب مناصرو الاحتلال والحزبيون الكتائبيون، وقد تجندوا من أفقر عائلات البلدة، ارتكابات وتعديات في حق خصومهم وخصوصاً في حق السكان الشيعة ما أدى إلى انحياز قسم كبير من الأخيرين إلى حزب الله وحركة أمل.

المفارقة في أمر الاحتلال أنه كان مسؤولاً جزئياً عن حالة من الازدهار الاقتصادي شهدتها مشغرة خلال سنوات ١٩٨٢ ـ ١٩٨٥. فلم تشهد البلدة عمليات مقاومة ولا فُرض عليها منع التجول الذي فرض على قرى وبلدات الجوار. فاستعادت دوراً قديماً

لها بما هي سوق المنطقة ومركز الاتصال والتعليم فيها، خاصة بسبب انقطاع الصلة بين المنطقة والجنوب من جهة وسائر البقاع الغربي وزحلة من جهة أخرى.

وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية، خلال عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٦، صارت مشغرة خط مواجهة يقع على الحد الفاصل بين المنطقة المحررة والمنطقة المحتلة من البقاع الجنوبي وقاعدة أساسية من قواعد جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية ومن بعدها المقاومة الإسلامية. وبحلول العام ١٩٨٦ كان حزب الله وحركة أمل قد أحكما السيطرة على الحارة التحتا وتحوّلت عين التينة إلى قاعدة أمامية لعمليات المقاومة.

وجدت الأحزاب العابرة للطوائف نفسها متضائلة النفوذ أمام نمو نفوذ ميليشيات الحرب. زعامات الحزبيات العائلية متفرقة. حسن عواضة خارج البلاد. ورفيق الدبس قد توفي. وألبير كرم في شتورة يتعهد متجراً للمنتجات الحيوانية خاصة آل مسابكي. ورغم دخول وحدات من اللواء الأول إلى البلدة وفتح مكتب للاستخبارات السورية فيها، فإن ذلك لم يمنع التهديدات وأعمال الاغتيال التي طاولت كتائبيين ولكن التهديدات والتعدّيات طاولت المسيحيين عموماً. وسوف تنهار الأرجحية المسيحية في البلدة مع الهزيمة العسكرية التي مني بها الحزب الشيوعي ومن ثم الحزب السوري القومي الاجتماعي في وجه حزب الله وحركة أمل. واقع الحال أن المناكفات والمنافسات الحزبية المحلية منعت الحزبين العقائديين من التحالف في مواجهة صعود ميليشيات الحرب الطائفية التي نجحت في تحييد هذا الحزب العقائدي وهي تتولى تصفية ذاك. تلا ذلك هجرة أكثرية مسيحيي البلدة. كثرة منهم سكنت القرى المجاورة، عيتنيت وصغبين، فيما القسم الآخر لجأ إلى بيروت ودِيار الاغتراب.

حلَّ محل هؤلاء نازحون من قرى المواجهة وبخاصة ميدون ولوسيا وقليا وقد دمّرت بيوتهم جراء القصف الإسرائيلي.

ولم يطل الوقت حتى أعيد بناء الجامع في ساحة مشغرة، في المكان ذاته الذي كان يحتله الجامع الذي تهدم مطلع العشرينيات في خطوة مشبعة بالرمزية.

هوامش

(١) راجع: نجيب نجم كرم، **الدليل الاجتماعي للبنان**، بيروت، ١٩٤٥.

(٢) الزيات، **مصدر سابق**، ص ٣٧.

(٣) تولى عبد الله محسنة رئاسة الحزب السوري القومي الاجتماعي لمدة أربعة عشر شهراً خلال سنتي ١٩٥٨ - ١٩٥٩.

(٤) جاك كولان، **الحركة النقابية في لبنان**، الأصل الفرنسي، ص ١٢٤ و١٢٥ و٢٢٢.

(٥) راجع الخبر في: **النهار**، السنة ١٦، العدد ٤٢٣٩، ٨ تموز ١٩٤٩، ص ٤.

(٦) يبدأ تراجع الرعي من الستينيات. في ١٩٦٥ كانت البلدة تملك ١٥ ألف رأس ماعز و٤ آلاف رأس غنم، عام ١٩٨١، كانت تلك الأعداد قد تقلّصت إلى ٦٥٠٠ رأس ماعز و٥٠٠ رأس غنم (**الزيات**، ٣٦).

(٧) تقلّد غانم منصب قائد الجيش في عهد الرئيس سليمان فرنجية (١٩٧٠ - ١٩٧٦).

(٨) جدير بالذكر أن الإمام موسى الصدر لعب دوراً بارزاً في إنشاء تيار في مشغرة تبلورت عنده الهوية الشيعية بما هي هوية سياسية اجتماعية. وقد زار الإمام مشغرة باكراً، عام ١٩٦٩، وحاضر في جامعها بدعوة من «نادي الشباب العامل»، وهو نادٍ مختلط مناوىء لـ «نادي الشبيبة المنظمة» الأكثر نخبوية وارتباطاً بالحزبية الطرابلسية.

خلاصات

حوت الصفحات السابقة دراسة عينية في العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين التراتب الاجتماعي وشبكات المحسوبية والتوازنات الطائفية في بلدة مختلطة من الأطراف اللبنانية. انطلاقاً من أرشيف سليمان طرابلسي، تابعنا نشوء وتطور وانحلال ملكية عقارية من النمط الذي ساد ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتأثير من الانتفاضات الفلاحية وإلغاء نظام المقاطعجية وقانون الأراضي لعام ١٨٥٨ والرسملة المتزايدة للمناطق التي سوف يتكون منها لبنان الكبير. وقد تابعنا نشوء تلك الملكية، التي شملت عدداً من المزارع في جوار مشغرة، اعتماداً على التزام الضرائب ورأس المال التجاري والربوي وسمسرة الحرير. ولاحظنا أنه بناء على تلك الملكية العقارية الرأسمالية - التي لم تغيّر كثيراً في علاقات الشراكة التقليدية العائدة إلى النظام المقاطعجي - أمكن للأسرة المعنية بسط مقدار كبير من النفوذ والهيمنة على البلدة وعلى المزارع. ولما كانت

تلك الأسرة مسيحية كاثوليكية، تكرّست من خلال هيمنتها الاقتصادية فالسياسية أرجحيةٌ للجماعة المسيحية على الجماعة المسلمة الشيعية التي ينتمي إليها السكّان الأقدم حضوراً في البلدة والأكثر ارتباطاً بالنشاطات الاقتصادية التقليدية، الرعوية منها والزراعية. وقد تعزّزت تلك الأرجحية المسيحية مع ارتباط المسيحيين بالقطاعات الرأسمالية المتميزة من الاقتصاد ـ وخصوصاً الدباغة والتجارة والربا ـ وريادتهم في تحصيل التعليم الإرسالي «الحديث».

شملت الدراسة أيضاً شبكة المحسوبية التي كان يتوسطها سليمان طرابلسي. فاستخلصنا مميزات رئيسة لنظام المحسوبية من حيث أنماط تمثّله لذاته وتقديم نفسه إلى الآخرين والموقع البَيْني الذي يحتله وجيهنا بما هو ممثل السلطة لدى الأهالي من جهة والوسيط الذي لا محيد عنه بين الأهالي وحاجاتهم ومطالبهم تجاه السلطات والدولة من جهة أخرى. وقد سعينا للبرهنة على أن المحسوبية ـ عكس ما يدّعيه خطابها وزعماؤها ـ نظام غير متكافىء من تبادل الخدمات يعمل باستمرار لصالح المتنفذين سياسياً والمسيطرين اقتصادياً. بناء عليه، حاولنا إقامة الصلات بين المحسوبية بما هي عملية فرز عمودية للأهالي وبين الانقسام الاجتماعي الطبقي، بما هو انقسام أفقي، فتبيّن أن نظام المحسوبية نظام مشروخ بين الولاءات السياسية والمصالح الاقتصادية الاجتماعية، تخترمه التناقضات والنزاعات الداخلية العائدة إلى تفاوت المواقع من القطاعات الاقتصادية أو من علاقات الإنتاج أو تلك العائدة إلى تضارب المصالح الاقتصادية بعامة. تتجلّى تلك الثنائية بوضوح في حالة العلاقة بين الوجيه المحلي وأهالي المزارع.

ومع أن الانقسام السياسي في البلدة يغلب عليه انقسام بين لفيفين من العائلات، ومع أننا لم نستطع، عند المستوى الراهن من البحث،

استعادة كافة العوامل التي جمعت عائلات هذا اللفيف أو ذاك بعضها إلى بعض، إلاّ أن الذي يعطي ذاك الانقسام السياسي طابعه الأبرز ولونه الغالب هو الانتساب المتناقض إلى موقعين اقتصاديين بين لفيف عائلي بقيادة أسرة من كبار ملاكي الأرض ولفيف عائلي آخر ترتكز الزعامة فيه إلى المال في المقام الأول.

في أطوار لاحقة من تطور البلدة، طرأ تحوّل أساسي على نظام المحسوبية بسبب التطورات الاقتصادية والاجتماعية ومنها نمو دباغة الجلود وضمور اقتصاد الحرير والزراعات التقليدية. وقد ترافقت تلك التطورات مع دخول الحزبية العقائدية إلى البلدة في الثلاثينيات وتمفصلها على الحزبية العائلية. وقد درسنا الآثار المتبادلة للواحدة منهما على الأخرى. فقد غلّب المتنسبون إلى الحزب السوري القومي أولوية العداء للإقطاع فيما غلّب المتنسبون إلى الحزب الشيوعي مناهضة الرأسمالية متمثلة بأصحاب الدباغات. هكذا عكس الانقسام الجديد نمو فئات مرتبطة بمصالح جديدة أخذت تمثلها التنظيمات المهنية القائمة على المصالح المطلبية والاقتصادية المشتركة (نقابات أصحاب الدباغات ونقابات العمال ولجان الفلاحين والمزراعين، إلخ). فإذا الأحزاب الحديثة تقلق وتشوّه وتعدّل الولاءات وأشكال التضامن العائلية بإحداث خروقات في العائلات والأجباب المنتمية إلى الحزبية المنافسة وتشجيعها على الانتساب المشترك إلى تلك الهيئات والمنظمات الأهلية المشتركة. على أن الأهم من ذلك أن الحزبية العقائدية كانت وسيلة للارتقاء السياسي وحتى الاجتماعي لفئتين في البلدة: الفئة الأولى هم الشيعة عموماً. حيث شكلت الأحزاب العقائدية وسيلة فعّالة انتزعت بواسطتها الطائفية الشيعية حصة أكبر من التمثيل في الحياة السياسية للبلدة من خلال كثافة انتسابها إلى العمل الحزبي العقائدي، على الرغم من أن قيادة فرعي الحزبين العقائديين، الشيوعي والقومي، ظلت، خلال فترة

طويلة، محصورة بالمسيحيين. أما الفئة الثانية فهم الأفراد وأبناء الأجباب والعائلات المتواضعة أو الفقيرة، من مسيحيين ومسلمين، الذين ارتقوا في الموقع والنفوذ داخل البلدة كما داخل الحزبية العائلية، وعلى حساب الزعامات والوجاهات التقليدية من خلال تبوّئهم المناصب المسؤولة في الحزبية العقائدية.

من جهة أخرى، فالتحالف بين الحزب الحديث والحزبية العائلية التقليدية فرض قيوداً اجتماعية سياسية لا يستهان بها وتحالفات أقل ما يقال فيها أنها غريبة على الأحزاب العقائدية ذاتها وعلى أنماط تنسيبها الأعضاء وأشكال تمثيلها الاجتماعي. فكان على الحزب الشيوعي، حزب الطبقة العاملة، أن يكون حليف كبار ملاك الأرض وعلى الحزب السوري الاجتماعي أن يكون شريكاً سياسياً مع اللبنانويين المارونيين، ألدّ أعداء الدعوة السورية. ما يضعنا أمام هذا ظاهرة التمثيل المركّب والمشوّه، الطاغية على الحياة السياسية في لبنان بما تحمله من عناصر التفارق الكبير بين الموقع الاجتماعي والسياسي وبين الخطاب، أي التعبير العقائدي أو السياسي عن ذاك الموقع، وبين الخطاب السياسي ذاته من جهة والممارسة والسلوك من جهة أخرى.

في طور لاحق، ومع نمو الهجرة من البلدة إلى العاصمة وبلدان الاغتراب، والضمور المتزايد للدباغة، بعد الخمسينيات، أعيد تشكيل الحزبيتين العائليتين بقيادة وجهاء من نمط جديد أكثر ارتباطاً بالسياسة الوطنية وأوفر وصولاً إلى تقديم الخدمات المباشرة في القطاعين العام أو الخاص. وسوف يستمر هذا النمط من الحزبية إلى حرب ١٩٧٥ - ١٩٩٠ حيث تدخّل عاملان في تبديد الحزبيات العائلية العابرة للطوائف وإضعاف الحزبية العقائدية لصالح

الاستقطاب الطائفي في كلا الحالين. العامل **الأول** هو التطورات الاقتصادية الاجتماعية وأبرزها ضمور القطاعات الإنتاجية، الصناعية منها والزراعية، والهجرة الكثيفة إلى المدينة والمغتربات. أما العامل **الثاني** فسياسي يتمثل في الانقلابات التي أحدثتها الحرب، وبخاصة آثار الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٨٢ على البلدة وردود الفعل عليه. وقد تضافر هذان العاملان على إحداث تعديل جذري في موازين القوى بين الطائفتين، وبين البلدة والمزارع، تعزز، هذه المرة بتحوّل ديموغرافي حقق فيه المسلمون الأرجحية العددية والسياسية.

المراجع

١ ـ العربية

أبو عينين، ميخائيل، **صراع الحزم والظلم**، ساوبالو، ١٩٦١.

أبي هنا، الأب نقولا، «مشغرة من تراث الماضي إلى أمل المستقبل»، مقالة، لا مكان، لا تاريخ.

الخشن، الشيخ حسين، **مشغرة في التاريخ: الحركة العلمية والسياسية خلال عشرة قرون**، تقديم السيد محمد حسين فضل الله، دار القماطي، بيروت، ٢٠٠٣.

الزين، الشيخ علي، **فصول من تاريخ الشيعة في لبنان**، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٧٩.

سعيد، عبد الله إبراهيم، **الأرض والإنتاج والضرائب في متصرفية جبل لبنان والبقاع ١٨٦١ ـ ١٩١٤ ـ دراسة مقارنة في التاريخ الريفي استناداً إلى وثائق أصلية**، سلسلة التاريخ الريفي ٢، دار

الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣.

صليبي، كمال، **منطلق تاريخ لبنان**، نيويورك، ١٩٧٩.

العظمة، عزيز، **العلمانية من منظور مختلف**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.

عمار، يحيى حسين، **تاريخ وادي التيم والأقاليم المجاورة**، ينطا، ١٩٨٥.

المعلوف، عيسى إسكندر، **دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف**، المطبعة العثمانية، بعبدا، ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨.

- **تاريخ زحلة**، مطبعة «زحلة الفتاة»، زحلة، ١٩١١.
- **تاريخ سورية المجوفة**، مخطوطة.
- **الأخبار المدونة والمروية في تاريخ الأسر الشرقية**، مخطوطة.

النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، **التحفة النابلسية في المرحلة الطرابلسية**، تحقيق هربرت بوسه، بيروت، ١٩٧١

٢ ـ الأجنبية

AKARLI, Engin Deniz, *The Long Peace: Ottoman Lebanon, 1861-1920*. Berkeley, CA: University of California Press, 1993.

ARMSTRONG, L. and Hirabayashi, G.K., «Social differentiation in Selected Lebanese villages,» *Readings in Arab Middle Eastern Societies and Cultures*. The Hague and Paris, Mouton, 1970.

COULAND, Jacques, *Le mouvement syndical au Liban, 1919-1946*. Paris, Editions Sociales, 1970.

DUBAR, C. et Nasr, S., *Les classes sociales au Liban*, Paris, Presses de la Fondation nationale des sciences politiques, 1976.

HOURANI, Albert, «Political Society in Lebanon. A

Historical Introduction», *Papers on Lebanon*, Oxford, Center for Lebanese Studies, s.d.

HOURANI, Albert, «From Jabal» Amil to Persia», *Bulletin of the School of Otriental and African Studies*. London, University of London, vol. XLIX, part 1, 1986, pp. 133-140.

KHALIDY, Tarif (ed.) *Land Tenure and Social Transformation in the Middle East*. Beirut, The American University of Beirut, 1984.

NAFF, Alixa: *A Social History of Zahle, the Principal Market Town in Nineteenth Century Lebanon:* Ph D. Thesis in History, University of California, Los Angeles, 1972.

POLK, William *The Opening of South Lebanon, 1788-1840*, Harvard University Press 1963.

SABA, Paul, «The Creation of the Lebanese Economy-economic growth in the 19th and early 20th centuries,» in Roger Owen ed., *Essays on the Crisis in Lebanon*. London Ithaca Press, 1976.

SALIBI, K. et HOURS, F., «Muhammad Ibn al-Hanach, Muqaddam de la Biqa' 1499-1518- Un Episode Peu Connu de l'Histoire Libanaise», *Mélanges de l'Université Saint Joseph*. Tome XLIII, 1968, pp. 2-23.

SPAGNOLO, John, *France and Ottoman Lebanon, 1861-1914*. London, Ithaca Press, 1977.

STAVENHAGEN, Rodolfo, *Social Classes in Agrarian Societies*, Garden City, New York, Anchor Press/Doubleday, 1975.

WEULERSSE, J., *Paysans de Syrie et du Proche Orient*. Paris, 1964.

ZAYAT, Ali, *Contribution à l'étude des forces politiques Libanaises: les forces socio-politiques à Machghara*.

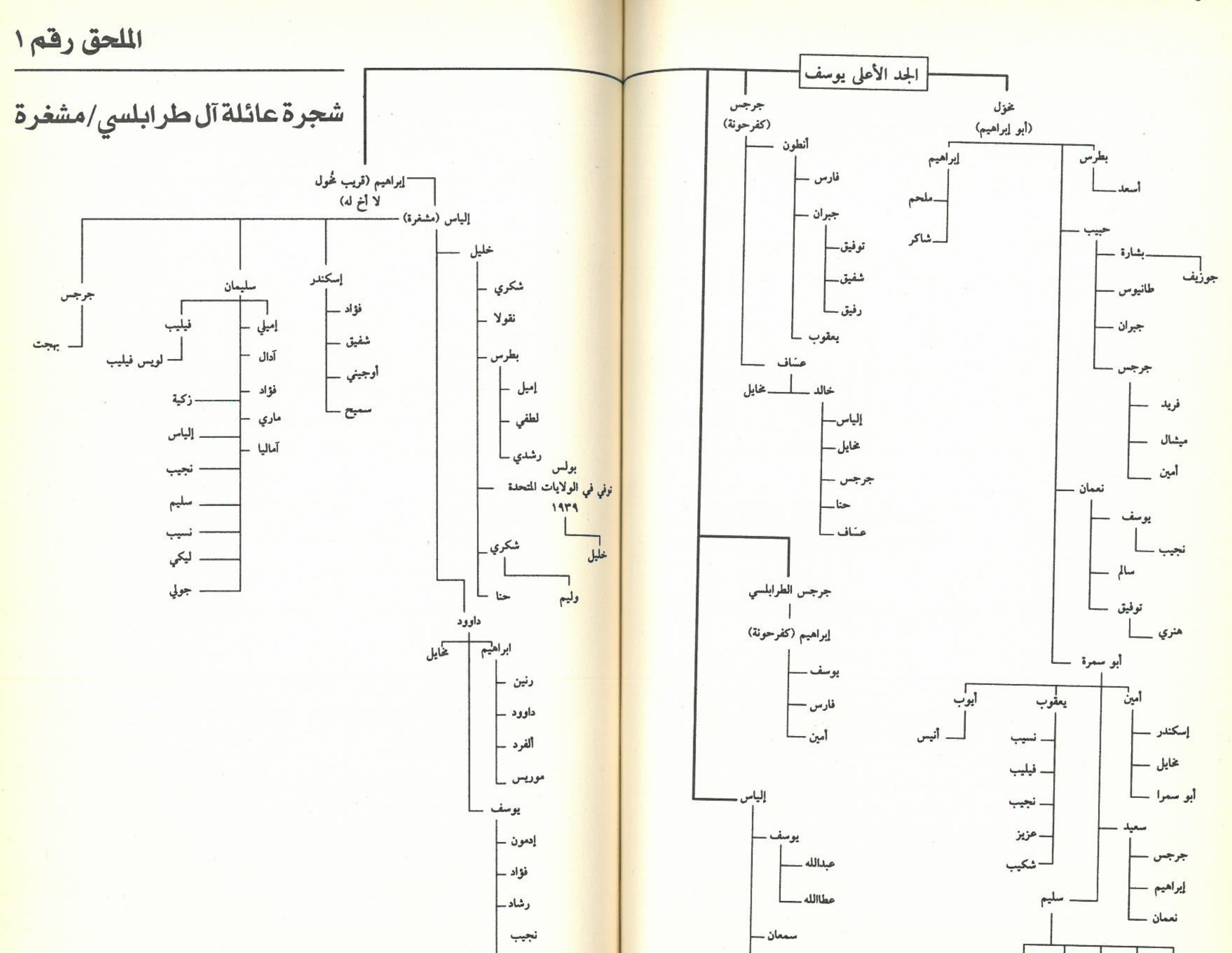
Thèse pour le doctorat de 3ème cycle, Université Paris V-René Descartes, Science Humaines, Sorbonne, Paris, Sous la direction du Prof. André Adam 1982.

الملاحق

١ - شجرة عائلة آل طرابلسي
٢ - أرشيف سليمان طرابلسي
٣ - وثائق زراعية
- أسماء بعض الأراضي والمواقع
- حجج زراعية
- حرير
- سندات وعقود ومقاسمات
٤ - ضرائب وإعانات
٥ - وثائق مالية وإدارية
٦ - مراسلات سياسية
٧ - مراسلات شخصية وعائلية
٨ - وثائق ماسونية
٩ - قصيدة المجدّرة
١٠ - صور

الملحق رقم ١

شجرة عائلة آل طرابلسي/مشغرة



الملحق رقم ٢

أرشيف سليمان طرابلسي

يضم أرشيف سليمان طرابلسي مجموعات الوثائق الآتية:

الوثائق الزراعية:

١ ـ الحجج: وهي صكوك ملكية وعقود بيع وشراء وقسمة ومبادلات الأراضي والأملاك. يبلغ عددها ٧٠ حجة ويعود أقدمها إلى العام ١٨٦٣.

٢ ـ سندات الديون والإيجارات والمقاسمات، وتشمل عقود إيجار الأرض وسندات الديون وطرائق إيفاء الديون المختلفة ورهون الأملاك لقاء الديون ومخالصات جماعية بين الدائنين ومَدينين فرديين أو جماعيين (أهالي قرية أو مزرعة بأكملها) إلخ. مجموعها ٨٧ وثيقة. يبلغ عدد السندات والقروض ٤٠ وثيقة ووصولات الإيجارات وعقود المقاسمات ٢١ وثيقة.

٣ ـ المراسلات الزراعية من قبل وكلاء سليمان طرابلسي في القرى والمزارع: تتعلق باستثمار الأرض والديون والنزاعات مع الفلاحين والشركاء، إلخ. ويبلغ عددها ٢٦ رسالة وقصاصة وبطاقة.
٤ ـ بيانات الضرائب الرسمية ووصولات سَداد الضرائب والرسوم والتبرعات الجهادية، وتتعلق برسوم وضرائب الويركو والميري والأعشار والخراج وتبرّعات لمؤسسات خيرية أو عسكرية عثمانية، عددها الإجمالي ٣١ وثيقة.
٥ ـ **الدفاتر**: عددها ١٢ دفتراً تحوي حسابات وموزانات وسجلات الحاصلات الزراعية وقيود المداخيل والديون والأملاك وسواها. وهي على النحو الآتي:
- «دفتر حاصلات الشرانق» المرسلة إلى معمل الأرملة غيران وأبنائها»، ١٩٠٠.
- «تقويم، خاصة كاتبه سليمان طرابلسي في ١٨ آب/ أغسطس ١٩٢٨» وهو دفتر ميزانية العام ١٩٢٨.
- «دفتر جرد الأملاك في مشغرة من الأساس رقم ١»، تاريخ ١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٢٨.
- «سجل أملاك العقارية في لوسيا»، ١٩٢٨.
- «دفتر أملاك قليا سنة ١٩٢٩» وعنوانه الفرعي «كشف الأملاك الخاصة لنا والخاصة للفلاحين وأهالي المزرعة والأراضي الشراكة».
- «مفكرة، خاصة كاتبه سليمان طرابلسي من قرية مشغرة، نومرو ٥٠».
- «تقويم حسابات سليمان طرابلسي ودفتر الفعالة نومرو ٣» ويتضمن موازنة سنة ١٩٣٣.
- «دفتر حاصلات قليا» بما فيها محصول الدخان (التبغ) لسنتي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧.
- «دفتر الخمارة، شراكة ميخائيل حموي ١٩٤٠، نومرو ١».

- «دفتر قيد زراعة قليا لمحصول ١٩٤٠، نومرو ٣١».
- «دفتر حاصلات قليا لسنة ١٩٤٣، على يد المختار سالم علي ناصر».
- «دفتر الحاصلات ومبيعها والبزار والقرفة، نومرو ٣».

المراسلات:
وهي رسائل واردة من أفراد مختلفين، معظمها بين السنوات ١٩١٤ و١٩٣٧، وبعض الرسائل بتوقيع سليمان طرابلسي. يبلغ مجموعها ١٨٨ رسالة وقصاصة وبطاقة وتنقسم على النحو الآتي:
١ ـ مراسلات شخصية وعائلية من لبنان ومصادر مختلفة من المهجر (العراق، السودان، الولايات المتحدة الأميركية، أوستراليا، أفريقيا وسواها) بما فيها بطاقات معايدة وتعازٍ، ويبلغ عددها الإجمالي ٦٧ رسالة؛ ١٤ للمراسلات الشخصية و٢٤ للمراسلات العائلية و٩ لمراسلات مع رجال دين، و٢٠ لرسائل وبطاقات المعايدة والمجاملة والتعازي.
٢ ـ مراسلات سياسية وإدارية وقضائية. متبادلة مع وجهاء بقاعيين وشخصيات سياسية من رجالات الانتداب من لبنانيين وفرنسيين وأعضاء مجلس نواب ووزراء وموظفين حكوميين ورجال دين. وتضم ١١ رسالة من موسى نمور و١٣ من إلياس طعمة السكاف ورسالة واحدة من شبل دمّوس. ويبلغ عددها الإجمالي ٦٢ رسالة وبطاقة، ٤٨ منها سياسية و١٤ إدارية قضائية.
٣ ـ المراسلات الماسونية وهي عبارة عن عشرة رسائل ودعوات موجهة من الأستاذ الأكبر لمحفل الماسونيين الأحرار في لبنان، جورج رزق الله، إلى سليمان طرابلسي خلال الفترة ما بين ٦ نيسان/ أبريل ١٩٣٦ و٢٣ نيسان/ أبريل ١٩٣٧.
٤ ـ مراسلات تجارية ومالية متبادلة مع تجار وأصحاب مصارف

وتجار آلات وأدوية زراعية ومواد بناء في زحلة ودمشق وسواهما وتتضمن أيضاً وصولات من معمل حلّ الشرانق التابع للشركة الفرنسية «الأرملة غيران وأولادها» في القريّة، بحمدون المحطة، بين الأعوام ١٩٠٠ و١٩٢٩ ويبلغ عددها ١٢ رسالة وبطاقة.

٥ ـ بطاقات شخصية.

واردة إلى سليمان طرابلسي من شخصيات متفرقة في السياسة والأعمال والإدارة والحياة العامة. ويبلغ عددها ٣٥ بطاقة مرسلة من الآتية أسماءهم:

١ ـ سليم تقلا، محافظ البقاع، يشكره نيابة عن رئيس الجمهورية على تهنئته الرئيس بمناسبة إبرام المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية، زحلة في ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٦.

٢ ـ ألبير ماري، Albert Marie من مؤسسة الأرملة غيران وأولادها، في القريّة.

٣ ـ المحامي فؤاد رزق.

٤ ـ القس بولس أرضمان، زحلة.

٥ ـ ناظم عكاري، رئيس دائرة محافظة لبنان الشمالي (بطاقتان).

٦ ـ إميل إده، رئيس مجلس الوزراء.

٧ ـ محمد الجسر [نائب طرابلس ومرشح لرئاسة الجمهورية]، شكر على تهنئته بالعيد.

٨ ـ موسى نمور، بطاقة شخصية باسمه فقط.

٩ ـ إلياس طعمة سكاف، نائب البقاع، شكر على تهنئة بالعيد.

١٠ ـ حسين الأحدب، يشكره على «ولائه»، ١٩٢٤.

١١ ـ يوسف الزين [مالك عقاري ووجيه، جبشيت النبطية]، بطاقتا معايدة برأس السنة ١٩٢٤ و١٩٣٧ وبرقية تعزية.

١٢ ـ علي أحمد طربين، لالا، البقاع.

١٣ ـ أمين يوسف جريصاتي، لوازم بناء وحدادة وخرضوات، زحلة.

١٤ ـ منصور يوسف يزبك، تاجر بزر القزّ، بكفيا، لبنان.

١٥ ـ الدكتور جان بارتي، طبيب قضاء جزين، معايدة برأس السنة ١٩٣٠.

١٦ ـ الخوري خليل حائك، مشغرة.

١٧ ـ كرم أنور، ضابط مشاة، معايدة بالسنة الجديدة، ١٩٣٦.

١٨ ـ البكباشي فوزي إسكندر طرابلسي، معايدة برأس السنة (بلا تاريخ).

١٩ ـ شارل كروازا، Charles Croisat بيروت، يشكره على تبغ أرسله له كهدية، ٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٩.

٢٠ ـ أ. پريڤا أوبوار A. Privat Aubouard الحاكم بالوكالة لدولة لبنان الكبير، «مع أفضل تشكراته».

٢١ ـ محمد عبيد صبحي، طالب بالكلية السورية الأميركية.

٢٢ ـ نخلة نقولا ينّي، بيروت.

٢٣ ـ جادرجيان مغرديج، بيروت، الديون العمومية، نائب رئيس التحريرات.

٢٤ ـ مأمور بوسطة وتلغراف زحلة.

٢٥ ـ إميل مشاقة، مدير ناحية مشغرة

٢٦ ـ جوزيف حمصي، تاجر أثاث.

٢٧ ـ تهنئة بـ «العهد الجديد» من يوسف بك الزين، النبطية، في ١٩٢٤/١/١٠.

٢٨ ـ تعزية من موسى نمّور في ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤١.

٢٩ ـ إبراهيم أبو خاطر، وجيه، زحلة.

٣٠ ـ سكاف وحرب، مصرفيان، زحلة.

٣١ ـ شبل دمّوس، نائب البقاع، زحلة. يشكره على برقية تهنئة لعلها بمناسبة انتخابه نائباً.

٣٢ ـ خليل يوسف قَرْوَشان، نحت حجارة.

٣٣ ـ كنعان الضاهر، وجيه وقائم مقام سابق لقضاء جزين.

٣٤ ـ ناظم عكاري، رئيس دائرة في محافظة لبنان الشمالي.

٣٥ ـ شحادة شحادة، رئيس جمعية خريجي الجامعة الأميركية ببيروت.

الملحق رقم ٣

وثائق زراعية

١ ـ نماذج عن أسماء قطع الأرض من دفاتر وحجج سليمان طرابلسي

الزعارير	جعارة
خَلّة الجنجال	السهم
الزراقية	صاغيّا
وادي المصري	غلّة الوزّالة
عريض الهوى	جورة الجارور
الشعيرية	قلعة النِمر
وادي الأبيض	مَعْقَب عيسى
الدواوير	قلعة البيّاضة
روس الشبارة	كرم الناهود ـ الجوار

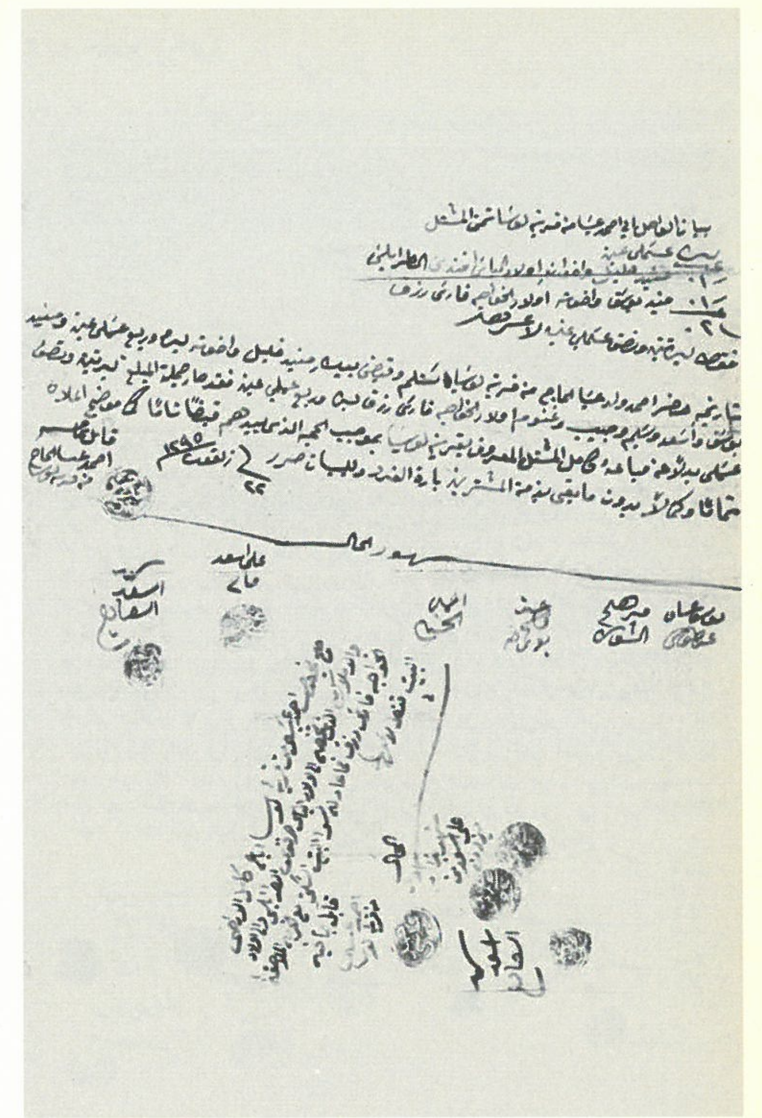
الهوّة
الخرايب
المنزله
جعارة ـ معبور تيرون
رجمة إبليس
جُورة رأس العقبة
جُورة الغصير
عريض المخّاضة
قلعة بوزيد
حقل العين
مراحات البُطم
شعاب الحوراني
حقل الحامد
الرويسات
ظهور وادي الشيخ
الحريقة
الحَمّار
كْسَار الجَيْب
السَيّار
الغِزوانية
وادي الحَمام
السيرة
كرم عين الحجل
مَحْوَرَة المقابر
كرم القوّاد
حاكورة عين الكلاب

الدوارة
أوخة عين الكلاب
حاكورة الشالوف
مكسر بارود
الياخور
فرخ المقابر
كرم جورة وعر المقاريق
كرم عكاشة
فرخ التنّور
سهلة سهوم العلّيق
بيادر الجدوعة
قلع لاوساني
السلاليم
المطلّ
المنطرة الزريقية
وادي سكسك
شعاب الكردي
حقل العين
وادي المصري
خلة اللوزة
عريض اللبّاني
الفراقة
مقسم شاويتا

٢ ـ حجج زراعية

حجة بيع أراضي بالجملة، لوسيا، ١٢٨٩/١٨٧٥

١ ـ حجة أحمد علي ياسين من لوسيا إلى أولاد فارس رزق. يعترف فيها أنه باع عدة قطع أرض «نظراً لضعف حاله ولسداد أموال الميري المطلوبة منه»، ٣ شعبان ١٢٨٩/١٨٧٢.



٢ ــ حجة شراء مشتل تبغ، لوسيا، ٢٢ ذي القعدة ١٢٩٥/ ١٨٧٩.

البائع أحمد عيسى الحاج إلى أولاد الياس طرابلسي وأولاد فارس رزق. يقول البائع في الحجة انه باع كامل أملاكه ولم يبقى له «غير البيت السكن والخربة الملاصقة للبيت».

٣ ــ مبادلة أملاك بين آل طرابلسي وآل رزق، في ميدون ولوسيا، ٢٥ أيار ١٨٩٧ (أو ١٨٨١/١٢٩٧)

٤ ـ حجة بيع قطعة أرض حسين علي عواضة إلى اسكندر طرابلسي، مشغرة، تاريخ غير واضح.

٥ ـ بيع نصف بيت من حسين علي حسين ويوسف علي حسين ـــ لوسيا ـــ إلى آل طرابلسي وشركاءهم «أصحاب مزرعة لوسيا» الذين يملكون النصف الآخر من البيت لقاء ١٠ ليرات عثمانية ذهب، ١٧ تشرين الأول ١٩٣٢.

٣ ـ حرير

Vve GUÉRIN & FILS
LYON
PARIS - MILAN
SAINT-ÉTIENNE - NEW-YORK
BEYROUTH

FACTURE N° 149 Le Krey. le 12 novembre 1929

Doit Monsieur Sleyman Trabulsi
Machgara

étouffage 844 k 300 Cocons frais
garde assurance au 30/9/29
à 5 P — 42 23

Quarante deux livres vingt trois piastres syriennes
Valeur 30 Septembre 1929

Vve
BEYR

١ ـ وصل استلام وتخنيق شرانق، عدد ٨٤٤,٢٠٠ شركة الارملة غيران واولادها إلى سليمان طرابلسي، القرية، ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٩.

Vve GUERIN & FILS
LYON
PARIS - MILAN - MOSCOU
NEW-YORK - St-ÉTIENNE
BEYROUTH

ADRESSE TÉLÉGRAPHIQUE :
VEUGUERIN-BEYROUTH

TÉLÉPHONE N° 6-39, COGEF LUGAGNE

Monsieur LE KREY Bhamdoun Gare le 23 Nov 19

Monsieur SLEYMAN TRABOLSI
Prôpriétaire
MACHGARA Beqaa

Monsieur

Nous vous remettons sous ce pli facture N° 149 à nos frais su vos COCONS DEPOSES, jusqu'au 30 Septembre 1929 qui s' élèvent à 42 Liv 23 Syri valeur 30 Septembre .

Le TRIAGE de vos COCONS est terminé ; il est ressorti:

COCONS de filage 92 %
COCONS Morts et Tachés, 5 %
COCONS Chiques noires 1 %
COCONS DOUBLES. 2 %

Les prix qu'on peut obtenir sont: Cocons Morts et tachés 140P
id. Chiques noires 60
id Doubles 140

Les COCONS de filage vaudraient envîron 325 P.Sy ; mais il n'y a pas d'acheteur pour le moment à cause de la crise actuelle.

Veuillez nous dire si vous nous autorisez à vendre au mieux vos COCONS D' écarts, aux prix ci haut sauf mieux.

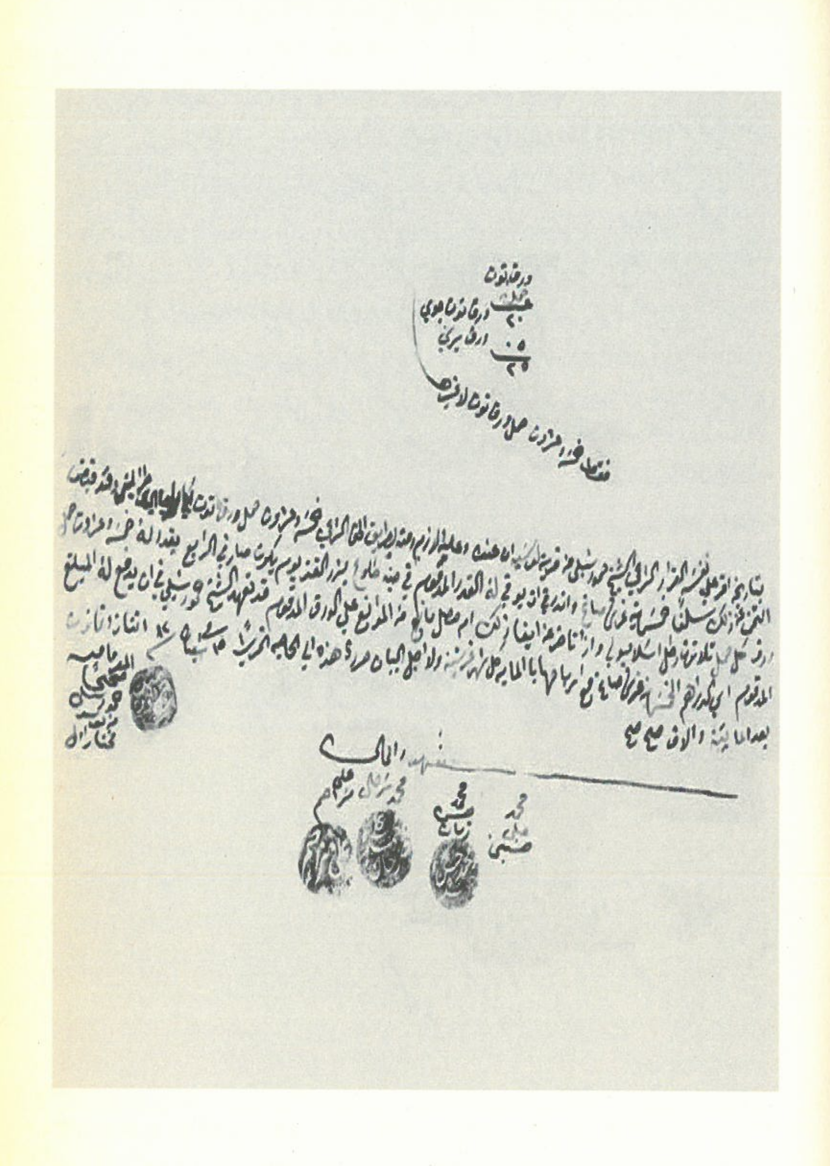
Recevez Monsieur ,nos sincères salutations.

P.P. Vve GUERIN & FILS

٢ ـ تصنيف الشرانق وتقدير أسعارها، شركة الأرملة غيران وأولادها إلى سليمان طرابلسي، القريّة ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٩.

٤ ـ سندات وعقود ومقاسمات

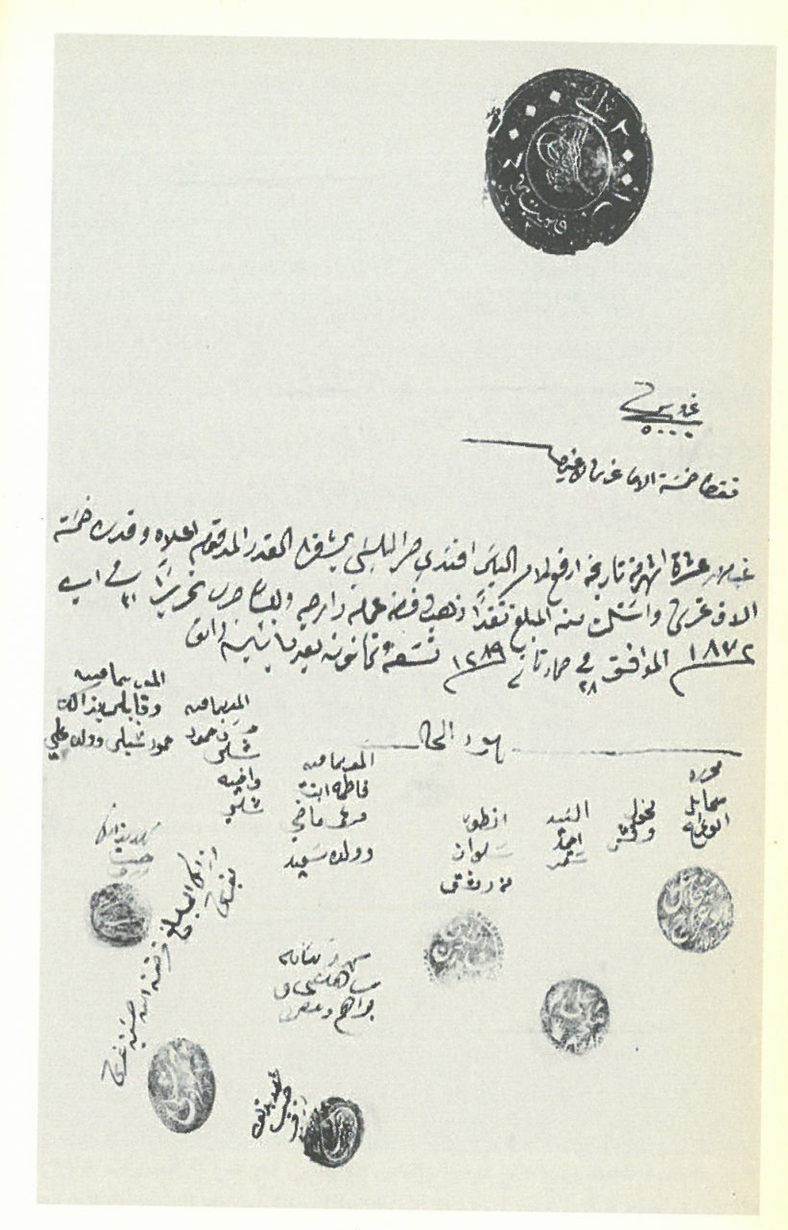
١ ـ أقدم سند دين يسدد عيناً ١٥٠ رطل تبغ ـ حمود شبلي إلى الياس طرابلسي ـ لوسيا، ١٥ صفر ١٢٨١/ ١٨٦٤.



٢ ـ تسليم أحمال ورق توت لقاء دين نقدي وزيادة «الأرباح» على الدين في حال التأخر ـ حمود شبلي إلى إلياس طرابلسي، لوسيا، ١٥ شعبان ١٢٨٢/١٨٦٥.

٣ ـ محاسبة شاملة بين أهالي لوسيا وإلياس طرابلسي عن شراكة السنوات ١٢٧٥ إلى نهاية ١٢٨٣ لقاء دفعه أموال الميري والاعشار والخراج. كذلك أجرى الطرفان حساب «بيع» أرزاقهم وأجريا محاسبتها بمعنى اتمام بيع البعض منها وتحويل البعض الآخر إلى سندات دين، ٢٠ ذو الحجة ١٨٦٧/١٢٨٤.

٤ ـ دفع الميري مقابل ثلث كامل محاصيل لوسيا محرم، ١٨٦٤/١٢٨١.

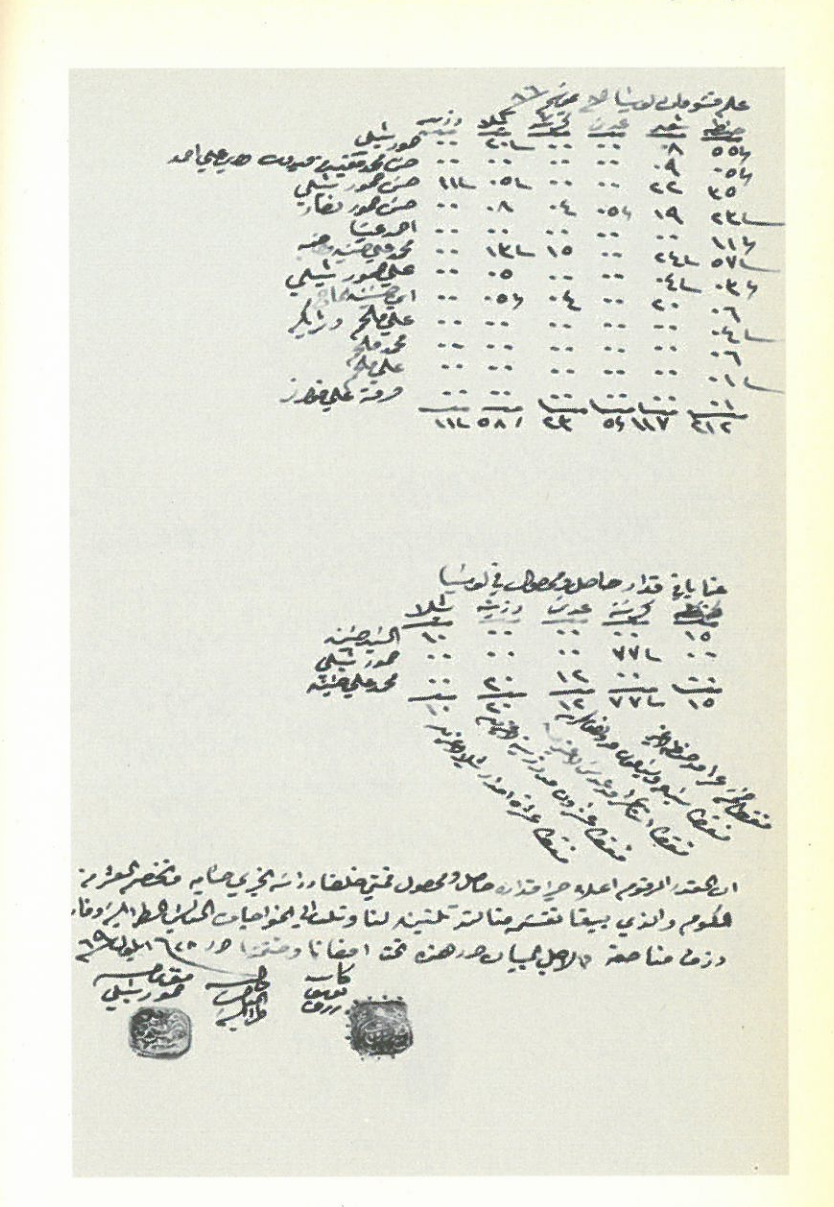


٥ ـ اقرار دين بمبلغ ٥٠٠٠ غرش يسدد نقداً، حمود شبلي إلى إلياس طرابلسي، ٢٨ جمادي الثاني ٣١/١٢٨٩ آب ١٨٧٢.

٦ ـ ديون على أهالي عين التينة تسدد نقداً إلى إلياس طرابلسي ٢٦ محرم ١٢٩٩/ ١٨٨٤.

٧ ـ دين بمبلغ ٩٥٠ غرشاً لقاء رهن كرم وجل توت خاصة محمد وأحمد حسين الحاج إلى خليل طرابلسي على أن يعود إليه ثلثا «نماهم»، ١٨ جماد أول ١٣٠٠/ ١٨٨٥.

٨ ـ دين جماعي مقداره ٣٦٨٥ غرشاً يُسدّد في الموسم التالي مع «فائدة» وجزاءات لقاء التأخير، ١٥ ربيع ثان ١٢٨٢/١٨٦٥.



٩ ـ سجل قسومات لوسيا عن موسم ٢٨٦٩ بين الأهالي والياس طرابلسي، ٢٨ أيلول ١٨٦٩.

١٠ ـ شراكة دخان، محمود شبلي ـ لوسيا ـ لصالح الياس طرابلسي، لقاء ثلث المحصول للطرابلسي بعد إخراج العشر والكوم والرسومات، ٢٠ أيار ١٨٧٥.

١١ ــ ايجار مطاحن، ١٩٢٤.

١٢ ــ صك استلام أجرة نقدية لقاء فلاحة أرض ١٢٩٢/١٨٧٦.

١٣ ـ متاعبة الفلاحين وشق صفوفهم، الوكيل جبران الحاج إلى سليمان طرابلسي، لوسيا، ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٠.

الملحق رقم ٤

ضرائب وإعانات

١ ـ وصل ايفاء ويركو على يد إلياس طرابلسي عن قرية لوسيا بالليرات الإنكليزية والفرنسية، ١٥ تموز ١٢٨٠/١٨٦٣.

٢ ـ تسديد ويركو بدل عسكري عن لوسيا على يد الياس طرابلسي ١٢٩٨/ ١٨٨٢.

الملحق رقم ٥

وثائق مالية وإدارية

بيان مخالصة ورصيد حساب لدى بنك سكاف وحرب بما فيه صرف جنيهات استرلينية (الأرجح أنها واردة من الأبناء في المهجر).

ARRETE PERSONNEL No 2357

portant acceptation de démission et nomination d'un Mudir à Mechghara

Le Gouverneur P.I. du Grand Liban
Vu l'Arrêté 1936 du 23 Mai 1923
Vu les Arrêtés 318 du 31 Aout et 336 du 6 Septembre 1923
Vu l'Arrêté No 1??4 bis du 8 Mars 1923
Vu la lettre de démission présentée par Mr Suleyman Trabulsi gérant du Mudiriet de Mechghara
Sur la proposition du Directeur de l'Intérieur et après avis conforme du Secrétaire Général du Gouvernement

ARRETE:

Article 1er.- Est acceptée la démission offerte par Mr Suleyman Trabulsi de son emploi de gérant du Mudiriet de Mechghara.

Article II.- Mr Emile Méchaka, Commis de 2e. classe à la Direction de l'Intérieur, licencié par suppression d'emploi est nommé Mudir à Mechghara au traitement mensuel de 17 Livres Syriennes (dix s[illegible] bonifié de l'indemnité de vie chère.

Article III.- Ces dispositions auront effet à dater de la notification aux intéressés.

Article IV.- Le Secrétaire Général et les Directeurs de l'Intérieur et des Finances sont chargés chacun en ce qui le concerne de l'exécution du présent arrêté./.

Beyrouth le 15 Mars 1924
Le Gouverneur P.I. du Grand Liban
Signé: AUBOUARD

Vu:
Le Secrétaire Général
Signé: ADIB

Le Directeur de l'Intérieur

Destinataires:
S.G.
C.G.
Intérieur
Finances
Bekaa
Intéressés.

P. A.
Le Chef de Bureau du Secrétariat Général

مرسوم بقبول استقالة سليمان طرابلسي من مديرية ناحية مشغرة، توقيع اوبوار، الحاكم المؤقت للبنان الكبير، والأمين العام أوغست أديب، ومدير الداخلية دجيسير، بيروت ١٥ آذار ١٩٢٤.

١ ـ رجل الدين وسيطاً بين الوالي العثماني والوجهاء المحليين

الملحق رقم ٦

مراسلات سياسية

من المطران نيقولاوس إلى داوود طرابلسي وسليم الصايغ، في ١٣ أيار ١٩٠٣:

السلام والبركة والدعاء

لجناب الماجدَين داود أفندي طرابلسي وسليم أفندي صائغ المحترمين

لا بد يكون قد بلغكم ولدنا خليل ما جرى أمس بعد مقابلة دولة الوالي واليوم بعد الظهر حضر عندي من قبل دولته يوسف أفندي طنوس ترجمان الولاية مع أحد المأمورين وقال لي «إن دولته الذي كنتم عنده بالأمس بدعوى مشغرة أمرني أن أكلّفكم استحضار مخائيل طرابلسي وبولس وإسكندر طرابلسي وسليمان أبو عبيدة وأن تأتوا بهم إلى عند دولته وبعد التنبيه عليهم بعدم معارضة أستاذ المدرسة وأخذ كفالة عليهم بعدم إتيان أو تكرار ما يخدش بالراحة يطلق سبيلهم بلا حرج. أجبته أن دولته كان قد قِبَلَ معي نهار

الأمس بإحالة الدعوى إلى المعلقة وأن تُرَى في محكمة البداية والمذنب يؤخذ بذنبه فما الذي جدّ حتى عاد دولته يطلب المذكورين أجابني كنْ على ثقة أنه لن يحدث على المطلوبين أقل تكدير أو إهانة بل أنت تأتي بهم ويعودون معك ويذهبون بسلام قلتُ وما المقصود من ذلك قال تهدئة الخواطر وبعد مشاحنة طويلة قال إذا كنتم ترفضون الكتابة لهم فدولته سيعود يطلبهم بواسطة القائمقام مشدداً قلت أنا أكتب لهم ولكن أنا مسافر إلى حوران قال لا بأس يحضر معهم المطران أغناطيوس وأردف بيمين أنه لا بأس عليهم أصلاً ولا يجري بحقهم غير التنبيه بعدم تكرار ما تقدم وأنه لو وجدوا عندما ذهب يوسف أفندي نفسه لكان أصلحهم مع بعضهم وأنه خيرٌ لهم مقابلة دولته لما هو مشهور عنه من الحلم والموانسة من تطويل العلية[؟] إلخ. فأتيتُ حضرتكم بهذه الوجيزة باسطاً المسئلة كما هي وقد عدلتُ عن سفري إلى حوران بينما يردني الجواب من أحدكم سليم أفندي وعندي أن حضوركم لا يضرّهم أصلاً بل يخفف أهمية المسألة وما عاد محل لتنفيذ البعض وتقليل شأن البعض طالما دولته تنازل وطلبهم بواسطتنا بطريقة حبيّة غير مكدّرة ولا من حجة ولا ريب عندي أن دولته يعاملهم بالحسنى لا بالقسوة اللهمّ إلاّ بعض الكلام التأديبي وعمل صورة كفالة بعدم تخديش الراحة وبما أنني متأكد أن هذا الأمر ما عاد يتكرر مرة أخرى فلا أهمية للكفالة نفسها وإذا لم يمكن حضور الجميع فأقله البعض حتى إن نكدّر دولته هذا رأيي الخصوصي ولكم الخيار والسلام وإلاّ أنه يظهر لي أن دولته لا يقلع عن الطلب حتى يحضروا والسلام ختام.

نيقلاوس

١٣ أيار ١٩٠٣

٢ ـ النائب «في خدمة» الوجيه المحلّي

من إلياس طعمة سكاف إلى سليمان طرابلسي، ١١ تشرين الأول ١٩٢٨

سيدي العم الفاضل،

بعد تقديم الاحترام. تشرفت بتحاريرك وعليه أجيب بخصوص الآخر يوسف أفندي قد أجّلنا له المال إلى ستة أقساط كل شهر قسط بكل نفس ذائقة الموت. وجرجي غنطوس عندما تأتي جلسته في بيروت يحضر قبل الوقت وندبّرها له. نعيم سالم غطاس لا يوجد فارغ الآن منتظرين تصديق الميزانية بعد تصديقها يكون من المدرستين إلى الثلاثة في البقاع فيتعيّن بأي صورة كانت لواحدة منهما. وأخبرك أيضاً بأنه دخل اعتماد في الميزانية مقرّر إلى الطريق عشرين ألف وخمسمائة ليرة سورية من عيتنيت إلى مشغرة ومسألة سليم أفندي بو عربيد قد انتهت تقريباً على ما ترغب مع الوزير وباقي سوء تفاهم بينه وبين المفتش سنزيله إنشاء الله قريباً. رجوتك قبلاً عندما تحرّر لي لا لزوم للتبجيل والتكريم لأنه فرض واجب على كل شخص منا أن يتمّم أوامرك مع الشكر والمنّة راجياً تقديم احترامي إلى العائلة الكريمة مع تشريفي بكل خدمة تلزم ودمت. في ١١ تشرين الأول ١٩٢٨.

الداعي

إلياس طعمة سكاف

٣ ـ في أدب طلب الوساطة وتقنيات تحقيقها



من بشارة الحداد إلى سليمان طرابلسي، ١٤ كانون الأول ١٩٢٩:

حضرة سيدي الفاضل سليمان أفندي طرابلسي الأفخم،

بعد تقديم فائق احترامي لذاتكم الكريمة أعرض لقد كنتم تساعدوني بكل فرصة عند أولياء الأمر مظهرين رغبتكم الشديدة بإرجاعي إلى وظيفتي وللمرة الأخيرة كانت المساعدة مع الوزير الحالي الأمر الدال على غيرتكم الوطنية ومحبتكم الخصوصية لعائلة بشارة حداد ولذلك أتيت بعريضتي هذه راجياً مراجعة الوزير بإرجاعي لمديرية مال جزين إذا تمّ التشكيل الجديد: هذا إن أردتم ورأيتم الأمر مناسباً لأنني أعتقد عن ثقة بأنه لا يرد لكم طلباً،

إن المراجعة تكون تأكيداً للواسطة الأولى لأن مأموري الحكومة تعوّدوا على عدم الاكتراث بالواسطة لأول مرة لأنهم يعتقدون بأنها كُتِبتْ تخلّصاً من طالب الوساطة،

سيدي إن الحالة الحاضرة هي أنسب فرصة لمساعدتي ولما كنتم لا تبخلون بها على كل طالب ولو كانت... إن أثقل على حضرتكم حتى أتخلص من الاضطهاد وبُعدي عن بيتي نحو ثلاث سنين وبمثل هذه الظروف يجبر الإنسان حتى يكون ثقيلاً ولذلك سامحوني هذه المرة،

وبالختام إنني وعائلتي نحفظ لكم ولحضرة مدامتكم الفاضلة السيدة أم نسيب الحب الصادق والاحترام من قديم الزمان والآن نبادل عواطفكم السامية بالشكر الوافر سائلين المولى أن يجزيكم عنا خيراً ويطيل حياتكم حياة سعيدة ولتكونوا ملجأ وسنداً لكل صديق،

سيدي/ في ١٤ كانون الأول ١٩٢٩

بشارة الحدّاد

٤ ـ وساطة سياسية لدى القضاء

من إلياس طعمة السكاف إلى سليمان طرابلسي، ٢٤ شباط ١٩٣٠:

سيدي الفاضل،
بعد تقديم الواجب. أعرض أخذنا كتاباتك الأول والثاني. من جهة المزارع لا يكون لكم أدنى فكر على الإطلاق وكل الذي بلّغوه غير صحيح أما من خصوص الأشخاص الذين تكلفوني بهم فهذا فرض واجب عليَّ لمساعدتهم فإذا نجحنا بالطلب كان عملاً خيراً وإذا لم ننجح نكون لم نخسر شيء وأما بخصوص الرجل جوز [زوج] الصانعة [الخادمة] عندكم فمتهوم [متّهم] بجناية وقد أرسلتْ محكمة طرابلس أوراقه إلى الهيئة الاتهامية والمذكور معترف بالجريمة وثابتة بحقه وعلى كل قد سعينا اللازم بالنظر لفقره وحبّاً بخاطركم ولكن مسألته صعبة وإنشاء الله تكون النتيجة حسنة راجياً تقديم احترامي للعائلة الكريمة وتشريفي بما يلزم، ودمتم، ٢٤ شباط ١٩٣٠، الداعي

إلياس طعمة سكاف

٥ ـ موسى نمّور مفاخراً بمكانة سليمان طرابلس عنده

من جورج طرابلسي إلى سليمان طرابلسي، كفرحونة، ٣١ آب ١٩٣٠

سيدي العم الفاضل لا عدمته،

لم تسمح لي الظروف بمشاهدتك قبل تركي مشغرة لأودعك ولأبثك شكري وامتناني لما لقيته منك من الغيرة والهمّة والمحبة التي لا أنساها لك ما دمت حياً. نحن يا سيدي العم نلجىء [كذا] إليك في ضرائنا لأنك أنت عميدنا وسندنا وفخرنا وكبيرنا. لقد جمعتَ القلوب على محبتك لأن عطفك على أمورنا وحنوّك علينا قد جعلنا بأن نقدّس حبّك في قلوبنا ودائماً ندعو إلى الله بأن يأخذ بيمينك في كل أمورك ويحفظك ويقيك لنا عوناً وسنداً إنه خير مجيب...

«عندي ثلاثين نائب منتخَب وخمسة عشر نائب معيّن، كلهم على رجلي لا يعلقون عند كلمة من سليمان أفندي» هذه كانت العبارة الأخيرة من فم الوزير موسى بك نمور عند وقوفه على مسألتنا ومنها تعرف يا سيدي العم النجاح الذي أحرزناه بسفرتنا والذي كان لك الفضل الأكبر بذلك فلك من كل فرد من أفراد عائلاتنا هنا ومني خصوصاً الشكر الكثير داعين إلى الله بأن يقدّرنا على مكافئتك خيراً...

سيدي العم وامرأة العم بصحة جيدة يهدونك عواطفهم وشعورهم سيديَّ الوالدين يبثونكم تحياتهم ومحبتهم وجميع العائلة بخير ينطقون بالثناء عليكم. عروستي تقبّل أيديكم وتهديكم حبها واعتبارها ولو بدون معرفة. أرجوك يا سيدي العم بأن تنوب عني وعن كل فرد منا بتقديم عواطفنا ومحبتنا لسيدتنا امرأة العم أم

نسيب وعساها بصحة حسنة كذلك تحياتنا وشعورنا للحبيبة اللطيفة ابنة العم إملي كذلك للحبيبتين ليلي وألِس مع إهداء عواطفي للنسيب الحبيب نسيب ولعائلته الكريمة وبالاختصار سلاماتنا لجميع العائلة وأنت تكرّم بقبول عواطف وحُبّ؟ ولدك

جورج

٦ ـ وساطة فاشلة

RÉPUBLIQUE LIBANAISE — الجمهورية اللبنانية

MINISTÈRE DES FINANCES — وزارة المالية

N°.......... — عدد..........

من موسى نمّور إلى سليمان طرابلسي، ٥ شباط ١٩٣٠

الجمهورية اللبنانية	Republique Libanaise
وزارة المالية	Ministere des Finances
عدد........	No.........

حضرة الوجيه الأمثل سليمان أفندي طرابلسي المحترم،

تشرفت من مدة بكتابكم الكريم الذي توصوني بالخواجه أمين رفول الطالب الدخول بصفة موزّع في جزين. وقد أوعزت بحينه لمدير البوستة لكي يجري له امتحاناً بسيطاً لمعرفة ما إذا كان بالإمكان تعيينه فتبيّن لسوء الحظ أن الشاب لا يحسن الإفرنسية بتاتاً ومعرفته بالعربية ضعيفة جداً كما يظهر من كتابته الواصلة ضمنه. وعليه فلم يكن بالإمكان تعيينه، فمع الاعتذار لعدم تمكني من تلبية أمركم أقدم لحضرتكم وللفيف الكريم واجب التحية والإكرام،

الداعي

موسى نمور/ ٥ شباط ١٩٣٠

إن ابن أخيكم يوسف عُيّن كاتباً في محافظة زحلة مع زيادة راتبه وسيفرز له حصة من التحصيلات العمومية التي تجبى في البقاع عموماً. فأرجو أن يسرّكم هذا الأمر كما أني أطلب منكم أن تنبّهوه للقيام بواجباته خير قيام لأن وجودي في الوزارة غير دائم وفهمكم كفاية.

٧ ـ امتحان أمين رفّول وعدم أهليته

الجمهورية اللبنانية RÉPUBLIQUE LIBANAISE

No.

امين رفول

المادة الخامسه / انا اختيار اطباء واعريثه الصحة والاسنان العام يكون بعد اجراء موسابقه بينه المورشحين فيما عدا احوالاً اسنسنانية

لا اعرف الاغة الافرنسيه

امين رفول

تولد ١٨٩٦

الجمهورية اللبنانية Republique Libanaise

أمين رفول

[امتحان إملاء]

«المادة الخامسة/ أنا اختيار أطباء واعريثه الصحة والأسنان العام يكون بعد إجراء موسابقه بين المورشحين فيما عدا احوالاً اسنسنانية»

لا أعرف الاغة الإفرنسية

أمين رفول

تولّد ١٨٩٦

يرفع للتفضّل بالاطلاع والأمر بما [يلزم؟]/ ١٥ كانون الثاني ١٩٣٠

توقيع

١٩٣٠

١٨٩٦

---

٣٤. يجهل الإفرنسية وتجاوز السن القانوني

٨ ـ خلاف على المخترة في لبّايا

الشيخ علي الزين إلى سليمان طرابلسي، ٢٧ أيار ١٩٣٠

سيدي الماجد أبي نسيب الأفخم دام بهناء،

بعد سؤال الخاطر أعرض: لقد طال الأخذ والرد من الحاج علي الشيخ بمساعدة محيي الدين مختار لبايا السابق الذي قدم استعفاءه فقبلتْ الحكومة ذلك وعيّنتْ وكيلاً غيره وبما أن قسم [كذا] من الأهالي مع الحاج علي يريدون إرجاعه للمخترة والقسم الثاني يريد رفضه وتعيين أحدهم علي الحاج محمد الذي يحسن القراءة والكتابة والحسابات ولقد بلغني أن محيي الدين عمل مظبطة ووضع بها إمضاوات بغير علم أربابها ورفعها للمحافظة وحيث إنه لا يوافقنا ولا يمتزج مع قسم من الأهالي وأن علي الحاج محمد يكون بخاطركم وخاطرنا لذلك أكرر الرجاء بإعطاء كتابة فعالة لعطوفة الوزير المحبوب كما هو اللازم كي تصدر من عطوفته إشارة لمقام المحافظة بتعيين علي الحاج محمد مختار للبايا ولو بصورة مؤقتة بينما يصير قرار بالانتخاب إما تبقي على التعيين وبضل [وبظل] كتابكم سأكتب إلى نجيب بك شمعون وإلياس أفندي الخوري بهذا الخصوص. هذا ما لزم عرضه وأطال الله بقاكم.

الداعي

علي الزين

٩ ــ تدخل زعامات جنوبية في خلافات المزارع

من الشيخ علي الزين إلى سليمان طرابلسي، بلا تاريخ.
جناب الماجد سليمان أفندي طرابلسي الأفخم دام مجده،
عساك مع لفيف الأسرة الكريمة بصحة وهناء وبعد سؤال الخاطر أعرض: شَرّف بالأمس خنجر أفندي عبد الله قاصداً قليا فمشغرة عن التماس من جماعة يحمر ولبايا وسحمر ومشغرة حيث يهمهم إهمال الحاج علي وانتخاب عقل عواضة وبالمقابلة فهمت أن حضوره ناتجاً عن دعوة الشيخ عبد الله له وعمه زعيم عائلة آل عبد الله لإقناعي والتماس جنابكم بمجاراة الحاج علي وتلبية رجاء المزارع فبحثنا مطوّلاً بهذا الخصوص وبعد أن فهم إصرار الداعي أجاب على أنه يريد الحضور لمحلكم للبحث بتلك الغاية وملاحظة من أن يحدث ما لا يوافقكم ولا يسرّ صديقي الحميم خنجر أفندي موقتاً بينما أخابركم وعلى هذا رجع وسينتظر إشارة من الداعي...
فعموم المزارع خلا عن قليا يريدون إما انتخاب الحاج علي وإما إسقاطه وإسقاط عقل وانتخاب رجل كالحاج قاسم أم محمد نصر الله أو إسقاط جماعة مشغرة بتاتاً وانتخاب مرشحين من الشرقي أو ترشيح اثنين من قليا التي هي بلدتكم وبناء على كثرة المراجعات والإلحاح الصادر جئت أعرض على سمعكم صدى الرأي العام فلعله يوافق الجناب وجه من تلك الوجوه المار ذكرها كي أتمكن من مخابرة خنجر أفندي وجلبه لمحلكم بطريقة شريفة تقضي بطلوع الجماعة لعندكم وحل تلك القضية على الوجه الذي تروه موافق وأطال الله بقاءكم ودمت،

الداعي
علي الزين

الملحق رقم ٧

مراسلات شخصية وعائلية

١ ـ طلب قرض مالي لابن أخيه شفيق

من سليمان طرابلسي إلى شقيقته زهيّة، مشغرة ٢٤ نيسان ١٩٣٠:
شقيقتي المحبوبة زهية حفظك الله تعالى
أقبلك كثيراً وكذلك العزيز سليم وأهديكما محبتي الأخوية الخالصة. وقد استلمت كَرْتَكِ العزيز وشكرتك عليه ومنه تطمنّا عن صحتكم. أطمنك عن أم نسيب الحمد الله بخير وسرور وتتقدم إلى الصحة تدريجياً لا جديد عندنا الآن سوى البرد ونزول المطر وهذه الأمطار جيدة جداً للمزروعات ولكن لا نعلم ماذا يكون مفعولها في بزر الجراد لأن الطقس البارد [يلائم] البزر فعلى كل الإرادة لله وهو يدبر بما يشاء.
أيها العزيز سليم، لا خفاك أن دخان لوسيا وهو مقدار ١٥٠٠ أقة لم يزل إلى الآن بدون تصريف وهو ثمنه لنا والباقي بتصرف ابن أخينا شفيق حيث بقية الشركاء على المزرعة ساحبين دراهم من شفيق على الدخان بناء يأخذ مطلوبه عند بيع الدخان وعليه فإن شفيق له أكثر من نصف هذا الدخان وتجاه هذه الحالة أي عدم بيع الدخان فشفيق أصبح محشور للدراهم وعليه لبنك سكاف وحرب في زحلة مبلغ ستين ليرة عثمانية ذهب تستحق في ٧ أيار ١٩٣٠ وهو ملبوك لهذا الأمر جداً وقد طلب مني أن أضع إمضائي معه في البنك ليغير القيمة ولكنني كما تعلمون لا أحب أن أتعلق بوضع إمضاء بالبنك وشفيق مستعد أن يعطي التأمين اللازم على هذه الدراهم كحجة أراضي بيع خالص بشيء يسوى [يساوي] طاقي [ضعفين] عن القيمة وعليه فإنني أحرركم طالباً منكم هذه الستين ليرة عثمانية لمدة ستة أشهر وأنا أحرركم سند على نفسي والتأمين

من شفيق يرجع إليَّ. أحرر لكم هذا حتى تكونوا مطمئنين عن الدراهم والفائدة التي تريدونها أعطيكم إياها فأرجو الجواب منكم برجوع البوسطة وهي القيمة تعطوها حوالة على بيروت حتى بعد رجوع جوابكم بالإيجاب أجري المعاملة اللازمة مع شفيق وأرسل لكم سند عليَّ كما ذكرت لكن أعلاه.

وبالختام أحييكم وأطلب منكم مداومة التحرير للاطمئنان عنكم من هنا الجميع يقبلونكم ويهدونكم سلامهم واشتياقهم والله يحفظكم

لأخيكم

سليمان طرابلسي(*)

(*) أجابت شقيقته معتذرة عن تقديم الدَّين.

٢ ـ عن الحياة في بغداد

من لِلِي طرابلسي إلى والديها، بغداد، ١١ كانون الأول ١٩٣٢ [مقاطع]

بغداد في ١١ كانون الأول ١٩٣٢،

سيدي الوالدين

قبلات وأشواق أرسلها لكم ولو عن بعد وأرجو أن تكونوا بتمام الصحة العافية. صار لي مدة طويلة لم أكتب لكم وكل يوم أجمع الأخبار حتى أقدر أن أكتب مكتوب طويل تلتذون به.

الخبر الأول هو أن البرد في العراق لا يطاق كما أن شوبها [حَرّها] أيضاً لا يطاق. برد عظيم أكثر من مشغرة يخرق في العظم وبدون شتاء [مطر]. لما تمطر يكون الطقس من أجمل ما يكون وكل شيء أمطرته ليس أكثر من ساعتين فقط ومطر قليل جداً وكل جمعة [تقصد: كل أسبوع] عندنا يوم غبر صيفاً وشتاء. لا تخافوا عليَّ من جهة البرد أنا دائماً أدير بالي على حالي. يعني الله يسلّم إديّك يا ماما على كيس السخن لأنني دائماً استعمله.

وصلني كتابكم العزيز وكم سررت خصوصاً بمكتوب الصهر العزيز ميشال. ضحكت جداً. يا ماما ما في أقدس منك بس كلمتين تكتبين. إنشاء الله المكتوب القادم يكون أطول يكون فيه أيضاً من خط والدي العزيز ليتم سروري حتى ولو كلمتين.

من مدة جمعتين [أسبوعين] أو بالأحرى أكثر كنا معزومين إلى عند بيت الملك على الشاي وقبل الشاي لعبوا الأميرات باسكت بول. هيئتهم مش ملاّ هيئة ولا قصرهم ولكن هم ألطف وأحسن ما يكون.

جمعة الماضية نادينا المعلمات عمل حفلة للآنسة أم كلثوم. تكلمتْ

وحَيَّتْ جميع أعضاء النادي وكان هذا ثاني مرة تكلمت أو بالأحرى خطبتُ في مجتمع. أول خطبة خطبتها في حفلة تكريمية للملك فؤاد في مصر. هيئتها حلوة كثير أجمل من صورتها وصوتها أجمل وأجمل [...]

٣ ـ رسالة تعزية من المهجر

انتاشتني المنون من كل مهجتنا | القلب يخفق والعين تدمع
ابكي عليه دماً اذ عز البكاء | واني لفقد الصديق موجع
اذ لم تعودوه واي هم اصابه | بينما كنا سوية نزهة [illegible]
وكلما جاء على بالي تذكارها | فاحس روحي من [illegible] له

الى حضرة عميد [illegible] ابو نجيب [illegible] افندي [illegible] ونجاه
ومن كل مكروه وقاه بعد السلام والاحترام عرض انه نهار تاريخه ومن [illegible] مكتوب
من مشغرة ذكر كاتبه فيه ان صديقكم وجاركم نقولا افندي نجيب حرابجي
انتقل الى رحمته تعالى [illegible] ومعلوم ان اخي نقولا رفيق مدرسة وشبيبة
وصباه فقد شق علينا وكدرنا هذا الخبر خسارة لا تعوض من [illegible]
انا لله وانا اليه راجعون ومعلوم ان الموت لا سلطان عليه وهذه الدنيا زوال وتنقل
وان عائلة حرابجي ارفع من ان تضعضعها الخطوب وان حضرتكم عميدها
ومرشدها ومدبر امرها فبناءً على ما تقدم بادرت لتقديم تعزيتي [illegible]
حضرتكم مقدم الاخوان وجميع عائلة عواضة نشاطركم الاسف والحزن
بوفاة الفقيد فلنا معوض بسلامتكم يا ابو نجيب وسلامة اخوانه
بطرس وبولس وحنا وجميع عائلة حرابجي [illegible] منه تعالى
ان يكون هذا خاتمة احزانكم وليلهمكم الصبر على فقده ولا يريكم مكروه بعده
فانه على كل شيء قدير وليس عليه امر عسير هذا [illegible]
[illegible] بقيام بما يليق بالمقام ولحضرتكم [illegible] محبكم
علي عواضة

تنبيهاً
ولا يخفى عليكم اني اريد ان تعلموا اني لا اعرف شيئاً عن [illegible]
كما اني لا اعلم اذا كان نقولا مجوز ام لا؟
ثم لا اعلم اذا كان اخوانه بطرس وبولس وحنا موجودون
في مشغرة ام لا حيث لم يخبرني احد فبناءً على ما تقدم
ارجو من كرم اخلاقكم ان تبلغوا عائلة الفقيد بالنيابة عني اني مشاركاً لهم
في الاسف والحزن بوفاة فقيد الادب والفضل اخي نقولا افندي
رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مأواه واسكنه [illegible] تعزيهم
بطرس وبولس وحنا وشقيقتهم اننا لم نهملهم لا لامر
وانما لا نعلم محل اقامتهم في [illegible] ام في اماركاه وقد بلغني
ان ثلاث ارباع البلد موجودون في اماركاه الا هذا ما عرفناه عن مشغرة
ثم ارجوكم ان تبلغ سلامنا واحترامنا الى السيدة ام نجيب وخصوصاً
نجيب افندي واخوانه وكل من يعتب [illegible] دمتم [illegible] المخلص
علي ابن الحاج حسين عواضة — حرر في ٤ سبتمبر ايلول ١٩٢٨
لم اشاهد احداً من مشغرة في مدة [illegible]
سنة

من علي عواضة إلى سليمان طرابلسي، الولايات المتحدة؟ ٤ أيلول ١٩٢٨

إنتاشني؟ الحزن من كل جهتاً
القلبُ يخفق والعين تدمعُ
أبكي عليه دمّاً إذا عند البكاه
وأنيّ لفَقْد الصديق موجَعُ
أذكر نقولاه وأيّامُ الصباه
حينما كنّا سويّةْ نرتعُ
وكلما جاء علي بالي تذكارها
فأحسّ روحي من المفاصل ططلعُ

إلى حضرة العميد الفاضل أبو نسيب سليمان أفندي طرابلسي حفضه الله ونجاه ومن كل مكروه وقاه بعد السلام والاحترام أعرض أنه نهار تاريخه وصل لسيدي مكتوب من مشغرة ذكر به كاتبه قوله أن صديقكم وجاركم نقولا أفندي خليل طرابلسي انتقل إلى رحمته تعالى إلخ إلخ ومعلوم أن أخي نقولا رفيق المدرسة وعشير الصباه فقد شق علينا وكدرنا هذا الخبر خصارة لا تعوّض أمر عظيم والخطب جسيم إنّا لله وإنا إليه راجعون ومعلوم أن الموت لا صلطان عليه وهذه الدنيا زوال وانتقال وإن عاءلت طرابلسي أرفع من أن تضعضعها الخطوب وإن حضرتكم عميدها ومرشدها ومدبر أمرها فبناءً على ما تقدم بادرت بتقديم هذه الشقة إلى حضرتكم مفادها أنا وجميع عاءلت عواضه نشاطركم الأأسف والحزن بوفات الفقيد فلنا العوض بسلامتكم يا أبو نسيب وسلامة اخوانه بطرس وبولص وحنا وجميع عاءلت طرابلسي النبيلة طالباً منه تعالى أن يكون هذا

خاتمة أحزانكم ويلهمكم الصبر على فقده ولا يريكم مكروه بعده فإنه على كل شيء قدير وليس عليه أمراً عسير هذا ولا خلافه أرجوكم غض النضر عن التقصير بلقيام بما يليق بل مقام ودمتم سالمين محبّكم

علي عواضة

تنبيه
ولا يخفي عليكم أني أريد أن تعلم أني لا أعرف شيء عن مشغرة كما أن لا أعلم إذكان نقولاه مجوّذ أم لاه
ثم لا أعلم إذكان إخوانه بطرس وبولص وحنا موجودون في مشغرة أم لا حيث لم يخبرني أحد بناء على ما تقدم أرجو من كرم أخلاقكم أن تبلغ عاءلت / عيال الفقيد بلنيابة عني أني مشاركاً لهم في الأأسف والحزن بوفات فقيد الأدب والفضل أخي نقولاه أفندي رحمه اللّه رحمته واسعة وجعل الجنة ماءوه وأرجوك أن تفهم بطرس وبولس وحنا وشقيقتهم أننا لم نهملهم لاأمر وإنما لاا نعلم محل إقامتهم في مشغرة أم في أماركاه وقد بلغني أن ثلاث أرباع البلد موجودون في اماركاه إلخ هذا ما عرفناه عن مشغرة
ثم أرجوكم أن تبلغ سلامنا واحترامنا إلى السيدت أم نسيب وخصوصاً نسيب أفندي وإخوانه وكل من يحوي محلكم العام ودمتم سالمين محبكم المخلص
علي ابن الحاج
حسين عواضه

حرر في ٤ سبتمبر أيلول ١٩٢٨
لم أشاهد أحد من مشغرة في مدة خمسة وعشرون سنة

الملحق رقم ٨

وثائق ماسونية

١ ـ نحو التحاق محفل حرمون بالشرق الأكبر المصري

من جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت ٤ حزيران ١٩٣٦:

عن بيروت في ٤ حزيران ١٩٣٦

حضرة الأخ الوجيه الفاضل الشيخ الكامل سليمان أفندي طرابلسي المحترم،

تحية أخوية مثلثة واحتراماً وأشواقاً فائقين [ثلاث نقاط على شكل هرمي وهي من علامات التعارف الماسونية] وبعده أخذنا كتابكم الكريم وشكرنا كلما تفضلتم به من عبارات التهاني والتبريك. فقط مع الكتابة والتعبير اعترانا شيء من التأثر لعدم حصولنا على تشريفكم بوقت الحفلة الكبرى حتى كان تكتمل أنوارها بطلعتكم الفاضلة الجليلة.

هذا والأخ يوسف أفندي أوعدنا بعد أسبوع يعود لبيروت ويقرر ما أمرتم به من إلحاق محفل حرمون وارتباطه بالشرق الأكبر المصري الذي سيكون سعيداً يوم تكريسه وإعلان انضمام عديداً كبيراً من أبنائكم الأعزاء إلينا فنصبح كتلة لا تغلب أصلاً بعضد ومعونة مهندس الكون الأعظم مع إخلاص ومحبة الأخوان!

وخصوص الاستدعا تقدم أمس يدا بيد مع الرجا الحار بحوالة شديده منعاً للتعدي والإجحاف بحقوق الغير غرساً وزرعاً وأحراشاً. فأوعدونا بذلك وإنما طلبوا منا تسهيل أمر الورود على المياه للشرب فقط لا غير فأكدنا عدم اعتراض أحد على ذلك. فسرّوا من تصريحنا واليوم يتقدم الاستدعاء لزحلة لإجراء الإيجاب والمطلوب بشدة كونوا براحة بال واليوم حضر من زحلة الأخ إبراهيم أفندي

داود ومخصوص يقبّل أياديكم الكريمة ومخصوص سؤال خاطر الست أم نسيب المحترمة والتحيات إلى أفراد الأسرة الكريمة والأصدقاء عموماً عندكم وشرّفونا بما يلزم وأدام الله بقاكم لصديقكم

وأخيكم

جورج رزق الله ٣٣

٢ ـ دعوة إلى سليمان طرابلسي لحضور جناز وتأبين الملك فؤاد الأول، ملك مصر، حزيران ١٩٣٦.

المحفل الاكبر الاقليمي للبنان

تحت رعاية الشرق الاكبر المصرى

يدعو حضرتكم لحضور حفلة جناز وتأبين يقيمها للمغفور له صاحب الجلالة الملك احمد فؤاد الاول في الدار الماسونية اللبنانية المصرية (الكائنة بساحة النجمة) وذلك في الساعة التاسعة زوالية من يوم الثلثاء الواقع في ٢٣ حزيران سنة ١٩٣٦.

الاستاذ الاعظم الاقليمي

جورج رزق الله ٣٣

(برنامج الحفلة)

افتتاح الاشغال

استقبال الاخوان الزوار

الجناز الماسوني

كلمة الاستاذ الاعظم الاقليمي

كلمة للاخ الياس نقاش

كلمة للاخ مصطفى جعفر

قصيدة للاخ احمد دمشقيه

كلمة للاخ الشيخ حسن المكى

انصراف المدعوين

ختم الاشغال

الملابس قاتمه

٣ ـ عن صلة الماسونية بالسلطات السياسية (وفيه تزويق)

جورج رزق الله إلى سليمان طرابلسي، بيروت، ٢٦ آذار ١٩٣٧

بيروت في ٢٦ آذار ١٩٣٧

حضرة الأخ الفاضل الشيخ الجليل سليمان أفندي طرابلسي المحترم أطال الله بقاه،

تحية وأشواق واحترام فائقين مقرونين بخير الأدعية لحفظك مع الآل الكرام ودوام وجودكم متسربلين بوشاح السلامة والانشراح مع لفيف الأسرة النبيلة ومن يلوذ بكم أيها الأخ الكريم والصديق الوفي الجليل أدامكم الله مفخرة الأخوان والأصدقاء والمحبين اللهم آمين.

وبعده برجوعي في العاشر من الحالي لبيروت مع صاحب المعالي محمد رفعت بك بعد زيارات الشام وتكريس محافلها الكبرى التي انضمت جميعها تحت لواء الشرق المصري الأكبر، وتسمّى لمحفلها الأكبر الإقليمي الدمشقي دولة عطا بك الأيوبي الكلّي الاحترام مع الأركان العظام من الوزراء الفخام الفائقي الاحترام الأمر الذي أثلج الصدور مسرّة وافتخارا بتوحيد صفوف العشيرة وجمع كلمتها الحرّة ووفّقنا الله جميعاً لما به تعزيز المبادىء الشريفة وخدمة الإنسانية وأبنائها البررة إنه السميع المجيب.

هذا وبمناسبة حلول الأعياد والمواسم الفدائية أتقدم من حضرتكم والسيدات المصونات الست الجليلة أم نسيب أفندي والآنسات المحترمات بالتهاني والتبريك بأن تكون أعياداً مباركة ومسعودة على الدوام بوجودكم المحبوب كبلسم لجميع القلوب وأن يهبكم الإله القادر طول الحياة السعيدة بالصحة وسلامة الآل والأنجال والبنين مع الأصهرة ومن يلوذ بكم ويختص بشخصكم الوقور كباراً وصغاراً بجاه الفادي العظيم.

هذا وإني كم ازداد سروراً وافتخاراً إذا صار اقتران العزائم بالاعتماد الفعلي من معاضدة حضرة الصهر الكريم وشفيق النابه ومع ابن الأخ

العزيز ولفيف الشباب الراقي من تعضيد مشروعكم هذا النبيل المؤيد من عناية الباسل الآخر الليوتنان محمد سعيد أفندي الهمام كما وظهوره للوجود بجدية العقود والتي ننتظر تحقيقها بقلوب متشوقة لسماع بشائرها المفرحة بعيون ومهج مهتاجة كزروع سهول البقاع لمطرة من إطلال نيسان!

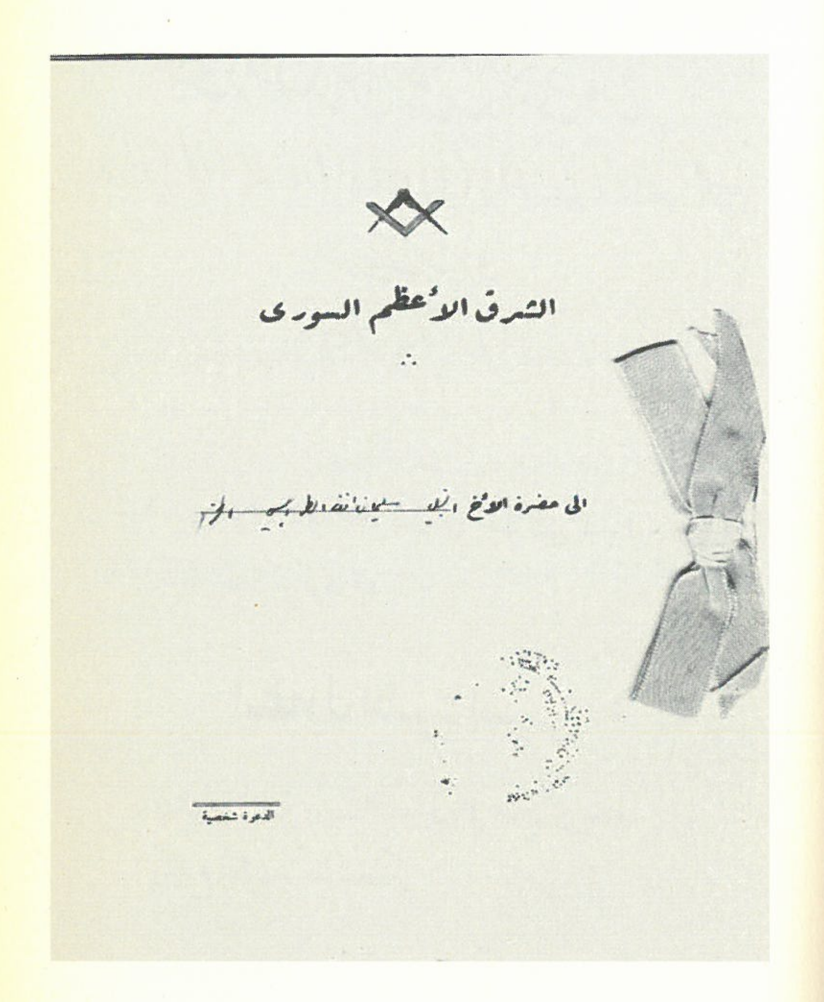
ومخصوص أرجو الإعراب عن أصدق شواعري مخلوصة لحضرة الأخ المومي إليه مع أرق التحيات الفوأدية لشخصيته اللطيفة الممتازة ومثل ذلك لحضرات الأخوان الكرام بدون تسمية حفظهم لقلبكم النبيل وللعشيرة خير ذخيرة ببركة المهندس الأعظم حافظكم ومؤيدكم.

ومن عندنا العائلة تشاركني بالتبريك والتهاني بالفصح المجيد والأدعية لوجودكم مع الفاضلة الكريمة بهجة الأعياد بوافي اليمن والإسعاد والرفاهية والإقبال اللهم آمين واسلموا لأخيكم المخلص،

توقيع: جورج رزق الله

صح. وأرجو تطميننا عن صحة الآنسة اللطيفة كناري العلالي والقصور انشاء الله متمتعة بتمام الصحة والحبور وحائزة على كمال الانشراح والسرور بظل وارف عنايتكم وحنانكم إلى أبد الدهور كزنبقة الزهور.

٤ ـ دعوة الشرق الاعظم السوري إلى سليمان طرابلسي لحضور الحفل بذكرى عيد استقلال الماسونية السورية، دمشق ١٧ نيسان ١٩٣٧.



الشرق الأعظم السوري

الى حضرة الاخ

الدعوة شخصية

لمجد مهندس الكون الأعظم

A∴L∴G∴D∴G∴A∴De L'U∴N∴

الشرق الأعظم السوري

G∴O∴D∴S∴

يتشرف بدعوة حضرتكم الى الحفلة التي يقيمها في
بنايته احتفاء بذكرى عيد

استقلال الماسونية السورية

في الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة في ٢٣ نيسان ١٩٣٧
ومبدع الكون الأعظم يحفظكم .

دمشق ١٧ نيسان ١٩٣٧

برنامج الحفلة

١ – افتتاح الجلسة القانوني
٢ – استقبال الزائرين
٣ – كيس المراسلات
٤ – كلمة السدة الافتتاحية
٥ – الخطبة العظمى للأخ الكلي الاحترام والقدرة القطب الاعظم
« الاسباب الموجبة وماسونية (الشرق الاعظم السوري) »
٦ – خطاب الاخ فارس البلاغة الاعظم
« تبرير (الوجود) المستقل ـ الشرق الاعظم السوري »
٧ – كلمة مندوب محافل الشام العاملة تحت رعاية الشرق الاعظم السوري
٨ – كلمة الفرسان الحكماء
٩ – كلمات مندوبي المحافل
١٠ – كلمة الختام للاخ مدير المخابرات الاعظم
١١ – كيس الحسنات
١٢ – قفل الاعمال

مائدة العيد

الملحق رقم ٩

«قصيدة المجدَّرة»

فلتَعِش ولو كرِهَها الإفرنج

(بلسان مريض من مشغرة)

لم أنسَ يوماً فيه كاد يميتُني
مرضٌ وعمرُ المرء يا ما أقصرَهْ
لم أحتمل ألماً شديداً نابني
منه فأفقدني الهُدى والمقدره
فظننتُ من فرط التألم أنني
لا بدّ لي من أن أزورَ المقبره
فإلى السماء رفعتُ صوتي قائلاً
يا ربّ إني منك أرجو المغفره

أأموت عن وطني بعيداً ليت لي
من قبل موتي فرصة كي أنظره
فأتى يعزّيني صديقٌ قائلاً
هذه الأمور من الإله مقدّره
أعطيته مالي وقلت ابعث به
حالاً إلى أمي بقرية مشغره
قال الصديق أصبر فما من صابر
يوماً أضاع له الإله تصبّره
ومضى فأحضر لي طبيباً ماهراً
شهد الجميع بقولهم ما أمهره
لكنه لم يعرف المرض الذي
بي قد ألمَّ وقد رأيت تحيّره
قال الطبيب لقد ألمَّ بجسمه
داءٌ غريب في زماني لم أره
ما من طبيب يستطيع علاجه
ولقد يعزّ على الدوا أن يقهره
لكن سأنتدب الأطبّا كلهم
فلربما نشفيه بعد المشوره
فأتوا وكلٌ حاملٌ جزدانه
مِن أنفع الوصفات فيه مسطره
جهلوا جميعاً ما الدواء لعلّتي
والكلُ منهم قد أطال تفكره
قلت اذهبوا عني أطباء الورى
فالكل منكم جاهل ما أحمره
الله يلعنكم ويلعن ديككم
فالطُبّ في ذا العصر أمسى مسخره

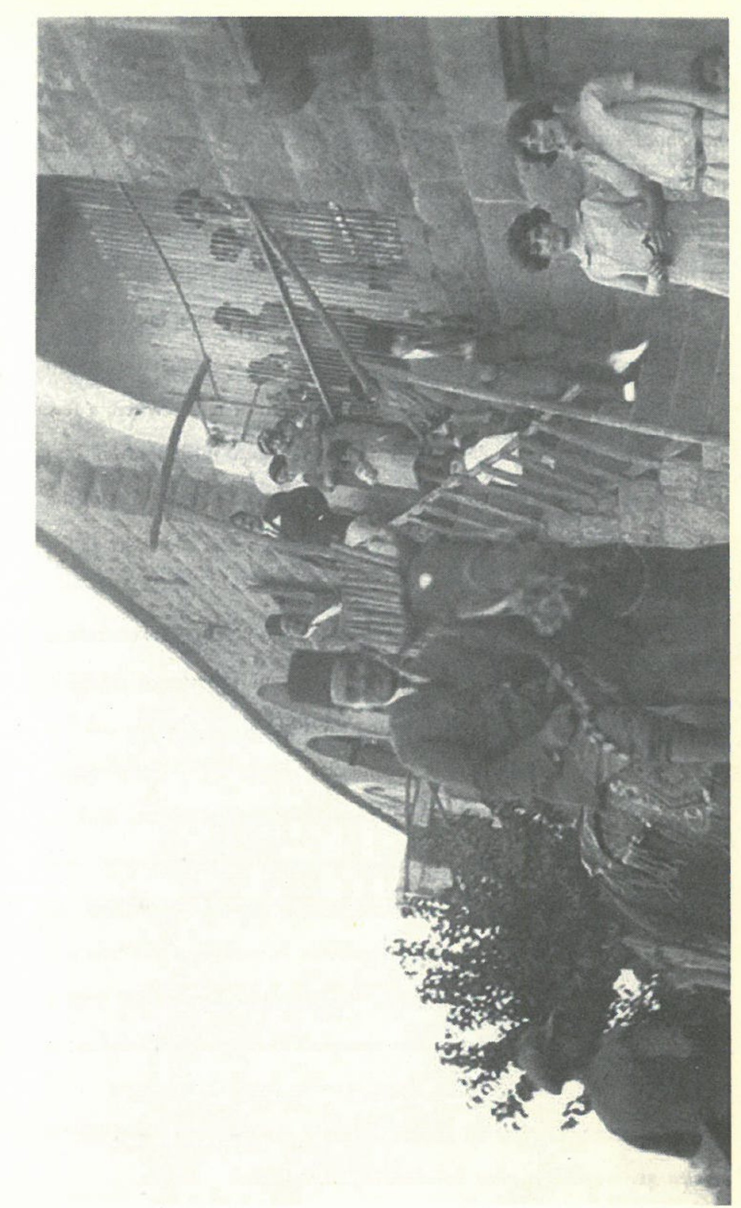
قال الصديق إذا قدرتَ فقُلْ لنا
ما الذي يشفيكَ؟ قلتُ: «مجدَّره»
فأكلتُ منها ثم قمتُ وبَعدها
كادت تزعزعُ لَبْطَتي سطحَ الكُره

الملحق رقم ١٠

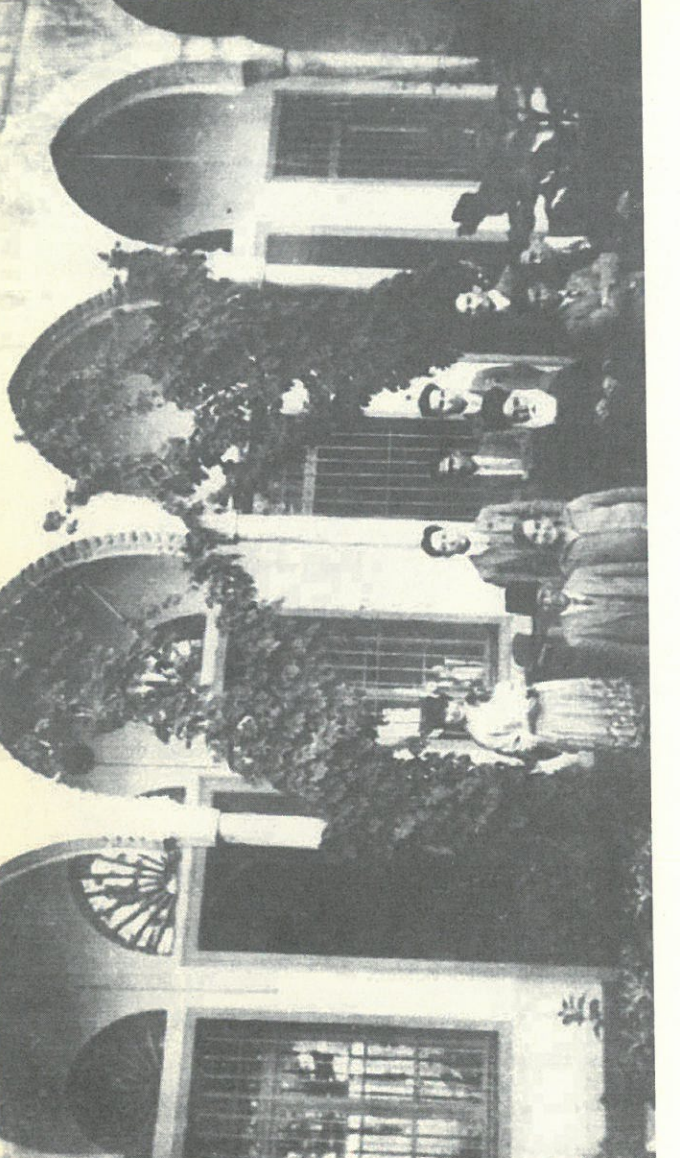
صور



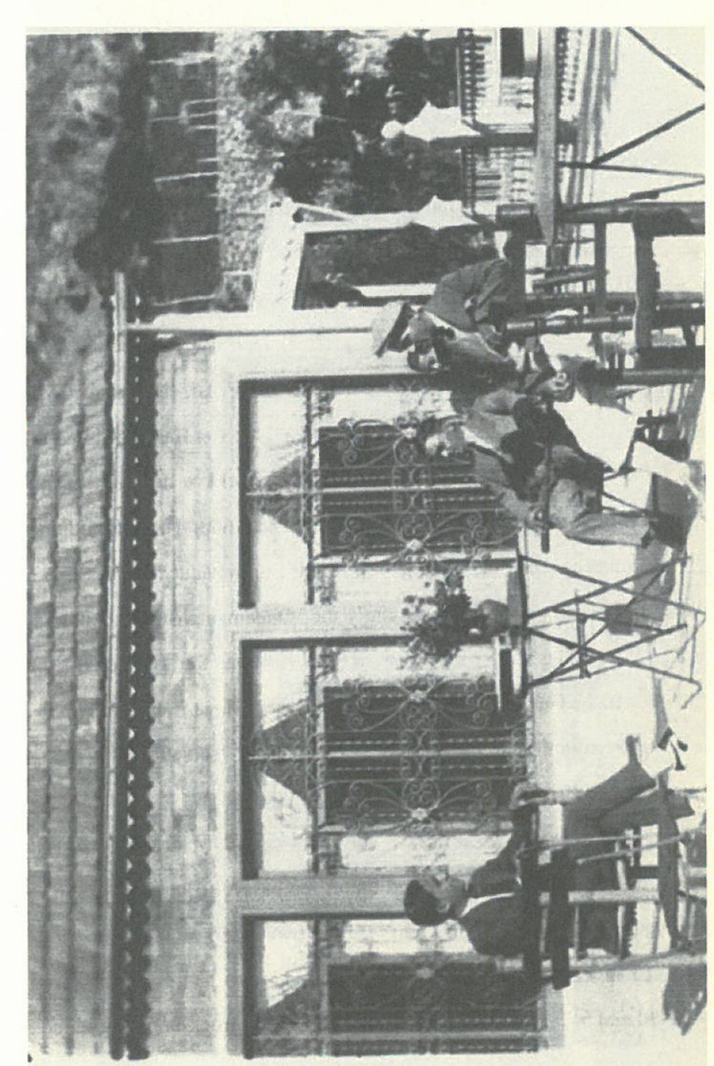
سليمان طرابلسي وزوجته



مدخل «القصر»



«القصر» — الفناء الداخلي



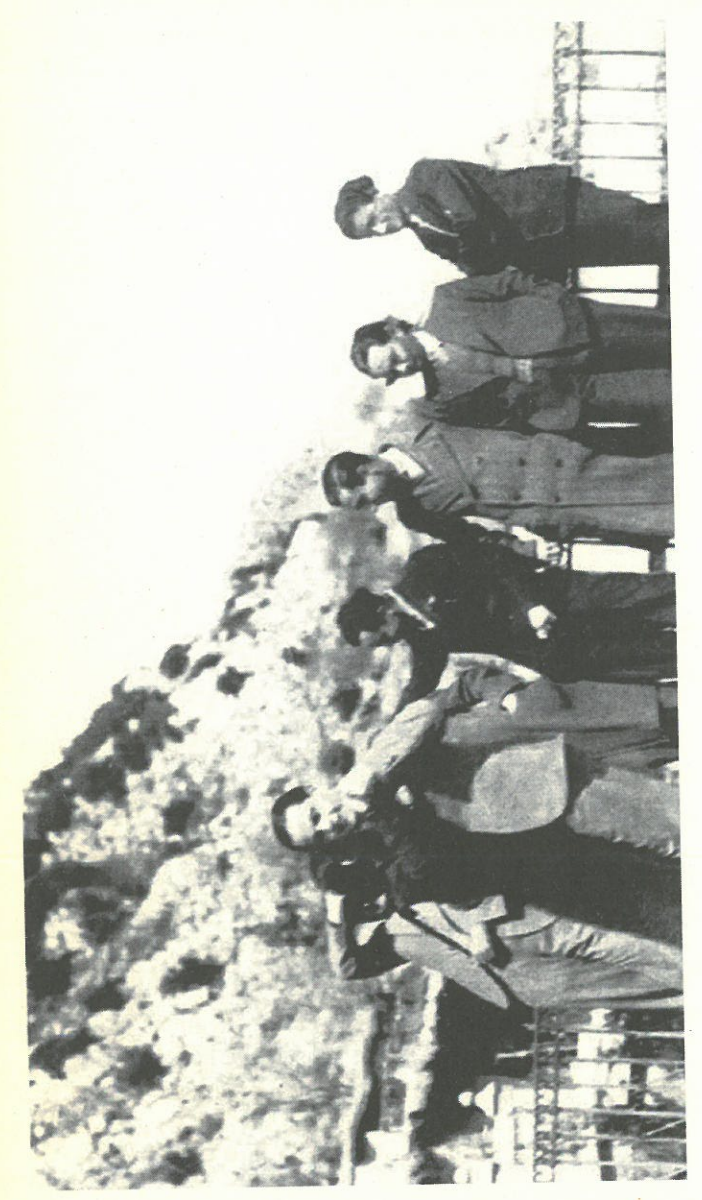
الجناح «الغربي» من «القصر»



نسيب وللي سليمان طرابلسي ووفد من المزارع.
الشيخ علي الزين في الوسط بالنظارات. ونسيب أبو سمرة خلف نسيب سليمان



زيارة أهل المزارع لـ «القصر»



رقص فرنجي على سطيحة «القصر»

كتب صدرت للمؤلف

(مع آخرين) **لبنان الاشتراكي، العمل الاشتراكي وتناقضات الوضع اللبناني**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩.
قضية لبنان الوطنية والديموقراطية، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨.
عن أمل لا شفاء منه. من دفاتر حصار بيروت، حزيران - تشرين الثاني ١٩٨٢، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤.
الماركسية وبعض قضايانا العربية، بيروت، منشورات بيروت المساء، ١٩٨٥.
غيرنيكا - بيروت. الفن والحياة بين جدارية لبيكاسو وعاصمة عربية في الحرب، بيروت - نيقوسيا، كتاب الكرمل - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.
(مع عزيز العظمة) **الأعمال المجهولة لأحمد فارس الشدياق**، بيروت - لندن، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٥.
صورة الفتى بالأحمر ـ يوميات في السلم والحرب، بيروت، لندن، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٧.
صلات بلا وصل، ميشال شيحا والإيديولوجيا اللبنانية، بيروت،

رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٩.
وعود عدن ـ **رحلات يمنية**، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٠.
عكس السير ـ **كتابات مختلفة**، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢.
ظفار ـ **شهادة من زمن الثورة**، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٤.

ترجمات:

جون ريد، **عشرة أيام هزت العالم**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى ١٩٦٦، الطبعة الثانية ١٩٦٦، الطبعة الرابعة ١٩٧٩.
شارل بتلهايم وآخرون، **بناء الاشتراكية في الصين**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٧.
لينين، ستالين، تروتسكي، بريو براجنسكي، غيفارا، مانديل وآخرون، **مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية ١٩٧١.
أنطونيو غرامشي، **قضايا المادية التاريخية**. بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١.
إسحق دويتشر، **ستالين**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى ١٩٦٩، الطبعة الثانية ١٩٧٢.
(مع منير شفيق) أرنستو تشي غيفارا، **يوميات غيفارا في بوليفيا**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢.
لينين، **تطوّر الرأسمالية في روسيا**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩.
جون برجر، **وجهات في النظر (نقد أدبي وفني)**، دمشق، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩٠.
يانيس ريتسوس، **إغريقيات (شعر)**، دمشق، دار المدى، ١٩٩٦.
إدوارد سعيد، **خارج المكان**، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٠.

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

فهرس الأماكن

أ

ب

ن

هـ

و

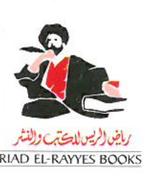
ي

فــواز طرابلسي

يا قمر مشغرة

تعتمد هذه الدراسة على أوراق عائلية أو أرشيف عائلي. وتخصّ الأوراق العائلية أسرة مالك عقاري ووجيه محلّي من بلدة مشغرة في البقاع الغربي، يعود قسم منها إلى إلياس طرابلسي والقسم الآخر إلى ابنه سليمان وأسرته. وتشكل مجموعة الوثائق التي نجح المؤلف في فرزها والاحتفاظ بها أو تسجيل ملاحظات عنها جزءاً صغيراً من أرشيف مدهش في حجمه وفي الدأب الذي به جمعه ونظمه صاحبه محتفظاً بأصغر وصل أو قصاصة ورق.

إذن يعالج هذا الكتاب القيم بلدة مشغرة وجوارها والسكان. ويعطي لمحة عن تاريخ البلدة في إطار منطقة البقاع والكيان اللبناني من خلال نشوء وانحلال الملكية العقارية وكذا من علاقات المحسوبية، كل ذلك عبر رواية نمط حياة سليمان طرابلسي وعائلته.



ISBN 9953-21-163-9

